النور السائر
من
خطب المنابر

النور السائر
من خطب المنابر

التنسيق والإخراج طالب عفو ربه الأكمل
هشام بن حسين بن علي الأهدل

777 966 145 الأهدل 711 311 745
لفن الطباعة

النور السائر
من
خطب المنابر

المجموعة الثالثة

تأليف الشيخ

عبد الله عبده نعمان العواضي

2

مقدمة المجموعة الثالثة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فهذه المجموعة الثالثة من الخطب التي ألقيتها لتوفي مجموعتين سابقتين، أسأل الله تعالى أن يتقبلها بقبول حسن وأن ينفع ملقيها وغير ممن يشاء من المسلمين.

وكتبه: عبد الله بن عبده نعمان العواضي
إمام وخطيب مسجد ابن الأمير الصنعاني
اليمن-صنعاء

Moh3517@gmail.com

الإيمان هو الحياة(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن شدة عناية الإنسان بشيء ما في هذه الحياة يجعله يأخذ مساحة كبيرة من أفكاره وجهوده وأعماله وأوقاته. وكثرة الاهتمام بشيء تدل على الحرص عليه والخوف من فواته. فمن كان محباً للمال حباً شديداً عاش لأجله مفكراً وجامعاً مانعاً ليله ونهاره.

ومن كان مغرماً بالجاه والترأس قضى وقته في أسباب نيله والحفاظ عليه بعد

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١١/٧/١٤٣٥هـ، ١١/ ٤/ ٢٠١٤م.

حصوله.

ومن كان محباً للعلم والمعرفة بذل لأجل ذلك الغالي والرخيص وغدا شغله الشاغل الذي لا يستطيع الانفكاك عنه.

وهكذا كل إنسان في هذه الحياة له اهتماماته وهواياته التي تأخذ جزءاً كبيراً من عمره، وحيزاً واسعاً من تفكيره.

والملاحظ في واقعنا -نحن المسلمين- الذين عرفنا لماذا جئنا وإلى أين المصير أننا قد غفلنا عن أمر عظيم لم نوله جُلَّ اهتمامنا وعنايتنا، وهو كنز ثمين لو اهتمينا به اهتماماً كبيراً لصلحت دنيانا وأخرانا. لكن حينما قلّت العناية به بدأ يضعف ويخبو بريقه مع كثرة تكاثف ظلمات الغفلة والانزواء عنه إلى غيره. هذا الأمر العظيم هو الإيمان.

أيها الأحبة، الإيمان كلمة عظيمة تحمل في طياتها الحياة السعيدة والمستقبل المشرق، وتكتنز بين جنباتها العزة والرفعة والسيادة والريادة. تلك الكلمة التي تعدّ سفينة النجاة من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك.

هذه الكلمة السامية ليست عبارة تقال باللسان، وإنما هي معتقدات صحيحة وأعمال صالحة ابتغاء وجه الله تعالى.

إنها تعني التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والعمل الصادق الذي يتلو هذا الاعتقاد.

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[البقرة:١٧٧].

إن الإيمان-يا عباد الله- جهاد صادق للنفس على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده والبحث عن الحق والسؤال عنه للتمسك به والتزامه. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾[النور:٥١].

وهو حقائق ومعانٍ تنتج أعمالاً صالحة وسلوكاً مستقيماً. الإيمان درجة رفيعة في بنيان الإسلام الشامخ يصل إليها المسلم بصفاء قلبه من كل ما يعارض ما يجب اعتقاده واستقامة جوارحه على أوامر الشرع. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات:١٥].

والإيمان هو دواء للنفس والمجتمع، وصلاح للدين والدنيا، والحكومات والشعوب.

أيها المسلمون، إن الأزمات المتتابعة على الأمة الإسلامية إنما جاءت بسبب أزمة ضعف الإيمان ونقصانه، فلو عولجت أزمة ضعف الإيمان لعولجت جميع أزماتنا؛ لأن

الله تعالى وعد المؤمنين بالنصر والتمكين فقال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[النور:٥٥]. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[محمد:٧].

وتكفل الله بالدفاع والحماية للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[الحج:٣٨].

وأقسم تعالى على حصول الحياة الطيبة لمن آمن وعمل صالحاً فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧].

فمن أراد هذه الوعود من النصر والحماية والحياة الطيبة فليحقق الإيمان عملياً في سره وعلنه، فمن وفى وفى الله له.

معشر المسلمين، إن الإيمان هو الحياة، فلا طعم للحياة بلا إيمان مهما اتسعت ورحبت وأينعت، فمن رزق الإيمان عرف العيش الهنيء والراحة النفسية والاستقرار الروحي وأحس لذة الاطمئنان وانشراح الصدر وسلامة البال.

إذا تغلغل الإيمان في القلوب ثبت المسلم على دينه وأحبه وأحب كل ما جاء به، ورآه أعظم نعمة عليه وصار محالاً لديه أن يبيعه بالدنيا وما فيها. قال هرقل لأبي

سفيان-في أسئلته عن النبي عليه الصلاة والسلام عندما كان أبو سفيان في الشام قبل أن يسلم-: (وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب)[١].

ذكر ابن حجر رحمه الله في كتابه الإصابة "أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجه جيشاً إلى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة فأسروه فقال له ملك الروم: تنصر. أشركك في ملكي فأبى، فأمر به فصلب وأمر برميه بالسهام فلم يجزع، فأنزل وأمر بقدر فصب فيها الماء وأغلى عليه وأمر بإلقاء أسير فيها فإذا عظامه تلوح فأمر بإلقائه إن لم يتنصر. فلما ذهبوا به بكى قال: ردوه فقال: لم بكيت؟ قال: تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في الله، فعجب فقال: قبّل رأسي وأنا أخلي عنك فقال: وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبّل رأسه فخلى بينهم، فقدم بهم على عمر فقام عمر فقبل رأسه". فانظروا ماذا يصنع الإيمان.

إذا رسخ الإيمان في القلوب هانت على صاحبه آلام الجسد إذا كانت من أجل الله تعالى.

وتعرفون ثبات الصحابة المعذبين في مكة كبلال وخباب وأسرة آل ياسر وغيرهم. ما الذي جعلهم يتحملون ذلك العذاب الشديد؟ إنه شيء واحد اسمه الإيمان.

وحينما يستقر الإيمان في القلب تقل الدنيا وتصغر في عين صاحبه، فلا يقدم على

(١) رواه البخاري.

الآخرة شيئاً من الدنيا يذهب إيمانه أو يضعفه، فلو ذهبت دنياه كلها وبقي له دينه فلا يبالي.

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه   فما فاته منها فليس بضائر

ترك المهاجرون في مكة أموالهم وتجاراتهم وأهاليهم ودنياهم كلها ثم خرجوا بالإيمان.

عن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ص إلى المدينة وخرج معه أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكنت قد هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه، ولم أكن شاكياً فقاموا فلحقني منهم ناس بعدما سرت بريدا ليردوني فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وتخلون سبيلي وتفون لي؟ فتبعتهم إلى مكة فقلت لهم:احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواق واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين وخرجت حتى قدمت على رسول الله ص قبل أن يتحول منها يعني: قباء، فلما رآني قال: يا أبا يحيى، ربح البيع ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام)[1].

وحينما يكون القلب معموراً بالإيمان تثبت النفوس أمام البلايا والمحن من مرض أو فقر أو تشريد.

وعندما يزيد الإيمان في القلوب يغدو صاحبه منصفاً للناس من نفسه، فيكون مع

(١) رواه الطبراني والحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الحق أينما كان، لا يتعصب لجنسه أو لونه أو عرقه أو قبيلته أو وطنه أو حزبه أو جماعته في الباطل؛ لأن الإيمان يفرض عليه التوجه مع الحق أينما مضت ركائبه.

قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: " ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار".

عباد الله، إن الإنسان إذا زاد حظه من الإيمان فسيخاف الله تعالى من أن يقع في معاصيه، ويخاف الله أن يؤذي عباده بقول أو فعل. قال تعالى عن ابني آدم: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ ﴾[المائدة:٢٨]. وقال رسول الله ص: (الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن)[1]. والفتك قتل الإنسان غيلة.

عباد الله، إن المسلم لما يرتقي إلى درجة الإيمان تستريح به نفسه، ويسعد به أهله وقرابته، وينعم به مجتمعه الذي يعيش فيه؛ لأن أعماله وأقواله وأحواله وفق شريعة الله التي هي سعادة الدنيا والدين. قال عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "المؤمن مثل النحلة تأكل طيباً وتضع طيباً". ولا يعني هذا أنه معصوم من الأخطاء، لكنه إذا أخطأ أقلع وعاد إلى حالته السابقة من الخير.

فما أحسن الحياة بالإيمان والمؤمنين، وما أسعد المجتمع بالصلاح والمصلحين، وما أنعم العيش بالتقوى والمتقين.

---

(١) رواه الحاكم وأحمد وأبو داود، وهو صحيح.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧].

نسأل الله أن يصلح إيماننا، وأن يقويه في قلوبنا، وأن يصلح به دنيانا وأخرانا.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

أيها الأخوة الأخيار، كما أننا نهتم بأمور معاشنا وحياتنا علينا كذلك أن نهتم بترسيخ الإيمان في قلوبنا. وكما نربي أطفالنا ونرعاهم ونحميهم ونحافظ عليهم علينا كذلك أن نربي إيماننا ونرعاه ونحميه من كل ما يذبله ويوهيه.

وكما نهتم بتجديد حياتنا وتلوينها بما يسعدنا ويفرحنا علينا أيضاً أن نجدد إيماننا بما يرقيه ولا نجعله عرضة للتآكل والذوبان يوماً بعد يوم.

عباد الله، إن الحب الصادق لله ورسوله والرضا بذلك والعمل الصالح كل ذلك يقوي الإيمان في القلوب ويزيده ويجعل له حلاوة ومذاقاً ولذة لا تساويها لذات الدنيا.

قال رسول الله ص: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً)(١).

وقال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

ويقوى الإيمانُ ويزيد إذا كان حب المسلم وبغضه من أجل الله يحب ما أحب الله ويبغض ما أبغض الله. قال رسول الله ص: (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان)(١).

ويقوى الإيمان ويزيد حينما يرضى المسلم بقضاء الله وقدره من غير سخط ولا جزع.

قال عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لابنه: " يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ".

ويقوى الإيمان ويزيد حينما يكون المسلم سليم اللسان لإخوانه المسلمين الأحياء والأموات لا يغتابهم ولا يطعن فيهم، وحينما يكرم ضيوفه وجيرانه.

قال رسول الله ص: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)(٢).

ويقوى الإيمان ويزيد حينما يتصف المسلم والمسلمة بالحياء؛ لأنه يحمل المسلم والمسلمة على أحسن الأفعال وترك أقبح الأعمال.قال رسول الله ص: (الحياء من الإيمان)(٣).

---

(١) رواه أبو داود والطبراني والحاكم، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

أيها المسلمون، إن مساعدة الآخرين والتعاون معهم وحب الخير لهم وقضاء حوائجهم وتفريج كروبهم مما يرقي الإيمان إلى درجات عالية.

قال النبي ص: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[١].وقال: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٢].

فيا أيها المسلم، جدد إيمانك وحافظ عليه من كل ما ينقصه، واعلم أنه كنزك فاحرسه، وسعادتك فاحرص عليه، وحياتك فعش من أجله، فإن فعلت فقد ربحت الدنيا والآخرة.

فاللهم ارزقنا لذة الإيمان وحلاوته، وارتقاءه وزيادته، واجعلنا من المؤمنين الصادقين واحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

الجليس وأثره على جليسه(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

أيها الناس، إن مما تعارف عليه الناس: أن الإنسان مدني بطبعه، يميل إلى مخالطة غيره ويأنس بمن سواه، ولا يستطيع -في حالة الصحة والاختيار- أن يعيش وحده ويبقى بعيداً عن مجالسة الناس والالتقاء بهم.

لقد جعل الله تعالى في نفس الإنسان قابلية التأثر والتأثير على غيره، فهو يتأثر بمن

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٦/٨/١٤٣٢هـ، ٦/٧/٢٠١٢م.

وبما حوله ويؤثر كذلك. والمؤثرات التي ترد على الإنسان في هذه الحياة كثيرة، وتستطيع تلك المؤثرات أن تصل إلى اعتقادات الشخص وأفكاره، وأعماله وأخلاقه، ونفسيته وسلوكه. وقد تكون صحيحة أو باطلة نافعة أو ضارة.

عباد الله، لقد أدرك الإسلام هذه المعاني كلها، ولحرصه على استقامة الإنسان وصلاحه، وإبعاده عن كل سبيل يورد إلى الأخطار والأضرار حث على اختيار الجليس والصاحب من بين الجموع الكثيرة.

فقد رغب ديننا الحنيف الزوجَ في اختيار الزوجة الصالحة، كما رغب الزوجة وأولياءها في اصطفاء الزوج الصالح؛ لأن الزوجية أطول المجالسات وأشدها تأثراً وتأثيراً، وتنشأ من هذا الارتباط الوثيق الذرية التي تتأثر بالأب والأم.

قال رسول الله ص: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها. ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)[(١)].

وعن أبي حاتم المزني مرفوعا: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، ثلاث مرات)[(٢)].

كما حث أيضاً على القرب من الجلساء الصالحين وحذر من جلساء السوء؛ لأن كل إنسان لديه خلائق وطبائع قابلة للتصدير إذا وجدت من يرضاها.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي، وهو حسن.

فالجليس الصالح إما أن يحث جليسه على الصلاح والخير، فيصلح بمجالسته وحرصه على إيصال النفع إليه، وإما أن يسأله عن طرق الخيرات فيدله عليها، وإما أن يستفيد منه الخير والانتفاع بمجرد المجالسة والملازمة، وإن لم يدعُه إلى ذلك أو يسأله.

قال لبيد:

مــا عاتــب الحــر الكــريم كنفســه   والمــرء يصــلحه الجلــيس الصــالح

لقد سعد أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بمجالسة النبي عليه الصلاة والسلام قبل البعثة، فلما بعث رسول الله ص دعاه إلى الإسلام فاستجاب له، فكان سبب سعادته في الدنيا والآخرة.

وأما الجليس السوء فإما أن يدعو جليسه إلى فساده ويشجعه عليه فيتأثر الجليس المدعو بالجليس الداعي ويصير مثله أو أكثر. كما قال الأول:

وكنتُ فتى من جندِ إبليسَ فارتقَتْ   بي الحالُ حتى صار إبليسُ من جُندي

كان أبو طالب جليس أبي جهل وعبد الله بن أبي أمية فلما حضرت أبا طالب الوفاة شقي بأثر مجالستهما عند خروجه من الدنيا حينما زفّاه إلى مصير الهلاك وفاءً بحق الصحبة!.

عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره: أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ص فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله ص لأبي طالب: (يا عم، قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله).

فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله ص يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله[1].

يقول النبي ص في تأثير الجليس على جليسه: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة)[2].

أيها الأحبة الكرام، إن الجلساء يختلفون في التأثير على جلسائهم قوة وضعفاً، فمنهم من هو قوي التأثير حتى يربح موافقة جلسائه في أعماله وآرائه ومواقفه بسرعة؛ ويرجع ذلك إلى قوة شخصيته وتفكيره وبراهين إقناعه، وقد تعود قدرة تأثيره على غيره إلى قوته المادية وارتباط مصالح جلسائه به، فمن لم يقتنع من عقله وقلبه اقتنع من بطنه وشهوته. خاصة إذا غلب الطمع وكثرت الحاجة.

فداعي الخير أو داعي الشر إذا امتلك هذه القوى ووجد جلساء من أهل الذوبان السريع في شخصيات غيرهم وصل منهم إلى ما يريد.

هذا هو الواقع؛ ولذلك يحذر المسلم مجالسة أصحاب الشبهات الذي يفسدون عليه عقله وقلبه، ويحذر أصحاب الشهوات الذين يفسدون عليه قلبه وجوارحه.

أيها المسلمون، إن الأزمنة الماضية من تاريخ هذه الأمة حظيت بأهل صلاح

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

واستقامة كثيرين كانوا هم الموجهين لمسيرة المجتمع القائدين للناس فيه؛ فلذلك كثر الصلاح والمصلحون، وقل الفساد والمفسدون. لكن تلك الحال العامة الحسنة لم تبق إلى أيامنا، بل أخذت في الانحسار والتلاشي. مع أن الزمان لم يتغير والمكان لم يتبدل، وإنما تغير وتبدل الإنسان الذي فيهما.

يقولون الزمان به فساد وقد فسدوا وما فسد الزمان

وقال الآخر:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

عباد الله، إن الواقع الحاضر كثر فيه الفساد وأهله، وقل فيه الصلاح وأصحابه، لقد امتلك أهل الفساد وسائل التأثير الجذابة للجماهير فأخذوا يغزون النفوس في عقر دارها لينحرفوا بالأفكار، ويفسدوا الأخلاق الحسنة، ويُجهِزوا على ما تبقى من الفضيلة.

فكم هي الوسائل الإعلامية المتنوعة التي تحارب العقيدة الصحيحة، وكم هي تلك الوسائل التي تدعو إلى الرذيلة وتعادي الفضيلة، وكم هي تلك الوسائل التي تخدر المجتمعات وتحول بينها وبين العمل الجاد والتفكير السليم والعمل المستقيم؟!.

في ظل هذه الأجواء المكفهرة، وبين هذه السهام الحادة الكثيرة من كل جانب يتعب الإنسان الصالح في حماية نفسه وأسرته من هذه الأسلحة الموجهة إليه، فيخاف على زوجته من جليسات السوء اللاتي تأثرن بذلك الداء، ويخشى على أبنائه وبناته أن تصل إليهم الكارثة التي تطل عليهم من كل جهة في المجتمع توجهوا إليها، إذ يلاقون

فيها مندوبي السوء يدعونهم: هلم إلينا، مزينين لهم الباطل بكل زينة.

لكن مع ذلك لابد على أولياء الأمور أن يفتشوا عن الجلساء الصالحين لمن ولاهم الله عليهم. فإذا وجدوا أهل الخير الصادق والصلاح الباطن والظاهر فليشدوا أيدي من وُلّوا عليه بأيديهم.

أبلُ الرجال إذا أردت إخاءهم ... وتوسمنّ أمورهم وتفقدِ

فإذا وجدت أخا الأمانة والتقى ... فبه اليدين قريرَ عين فاشدد

إن أولئك الصالحين يوجدون في المساجد وفي حلقات العلم وفي الأماكن الطيبة الأخرى.

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

من كان ملتمساً جليساً صالحاً ... فليأت حلْقة مسعر بن كدام

فيها السكينة والوقار وأهلها ... أهل العفاف وعِلية الأقوام

أيها المسلمون، لا تملوا من متابعة الأولاد ومراقبتهم لتنظروا جلساءهم؛ فإن الناس إنما يعرفونهم بجلسائهم، فاحرصوا على سمعة أولادكم.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وكما قال الآخر:

أنت في الناس تقاس ... بالذي اخترت خليلا

فاصـــحب الأخيـــار تعـــلُ وتنـــل ذكـــراً جمـــيلا

فإذا لم تتابعوا فجليس السوء متابع حثيث سيقوم بمهمة المتابعة والتربية عنكم، ولكن إلى شفا الندامة ومنحدرات الألم.

أيها الشبان، اختاروا الأصحاب والأصدقاء الذين يعينونكم على صلاح دينكم ودنياكم، وإياكم ورفقة السوء فإنها نواب الشيطان؛ لأن الصاحب ساحب إما إلى المناقب وإما إلى المعاطب.

يكفي الشابَّ المرافق للصالحين أن يقال عنه: هو صاحب فلان ورفيق فلان الذي تعرفه المساجد ودور الخير، وتعرفه المدراس والجامعات بالتفوق والسلوك الحسن، ويعرفه حيه وجيرانه بدماثة الأخلاق وطيب المعشر وحسن المعاملة.

تذكر أيها الشاب، أن الإنسان يحشر مع من أحب، فمن أحب الصالحين حشر معهم، ومن أحب الطالحين حشر معهم، فمع من تحب أن تحشر؟.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً سأل رسول الله ص:متى الساعة؟ قال: (وما أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله، قال: (أنت مع من أحببت)، قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ص: (أنت مع من أحببت)، قال أنس: فأنا أحب النبي ص وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم[١].

إن من يجالس الصالحين تشمله بركتُهم ويعمه خيرهم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ص: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا

(١) متفق عليه.

وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم -وهو أعلم بهم-: ما يقول عبادي، قال: يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني، قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوك، قال: فيقول: فكيف لو رأوني، قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا، قال: فيقول: فما يسألوني، قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: فيقول: وهل رأوها، قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها، قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون، قال: يتعوذون من النار، قال: فيقول: وهل رأوها،قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها، قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، قال: فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم.قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)(١).

وقال النبي ص: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)(٢).

أيها الأحباب الأفاضل، من يجالس الصالحين يصلح عيبه، ويكمل نقصه؛ إذ بهم يتذكر إذا غفل ويتعلم إذا جهل، ويتقوّى إذا ضعف ويتسلى إذا حزن، ويعان إذا احتاج. قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: " المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيباً أصلحه".

ومن يجالس الصالحين يعرّفونه على الصالحين فينتقل بين تلك الرياض النضرة

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، وهو حسن.

فيشم من أريجها ويتنزه بين أفنانها فيعود بنفس منشرحة وسمعة طيبة.

من يجالس الصالحين يحفظ دينه ودنياه فيحفظ صحيفة عمله، ويحفظ وقته وعمره وماله.

عباد الله، إن الجليس الصالح مثل النخلة فما أخذت منها نفعك، قال سفيان الثوري رحمه الله: " لربما لقيت الأخ من إخواني فأقيم شهراً عاقلاً بلقائه". لأنه يتذكر برؤيته الطاعة والصلاح؛ لأن من خير الناس من إذا رآهم الناس ذكروا الله تعالى.

قال عيسى عليه السلام: " جالسوا من تذكركم اللهَ رؤيتُه، ومن يزيد عملَكم كلامه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله".

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم؛ إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

أيها المسلمون، إن الإنسان -صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى- إذا رضي لنفسه مفارقة الصالحين واللحاق بركب الطالحين سيجني على نفسه جنايات كثيرة، سيندم على تلك المجالسة لهم ولو بعد حين.

فمجالسة السيئين سم زعاف إن لم يقتل يُمرض، وإن سُرَّ مع أصدقاء السوء وقتاً وأحبهم زمناً فسيندم ولو بعد حين، فتنقلب المودة إلى عداوة والحب إلى بغض، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفرقان:٢٧-٢٩].

وقال: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزخرف:٦٧].

إن مجالسة أهل السوء دعوة ملحة إلى الوقوع في مساخط الله وما لا يحمد في الخلق الكريم فعله، وتكفي رؤيتهم فإنها دعوة غير مباشرة إلى الخطيئة.

ومجالسة أهل السوء خراب للبيوت وإهدار للطاقات وتضييع للأوقات الثمينة التي هي رأس مال الإنسان على هذه الدنيا. وهي بوابة إخراج الأسرار وكشف لأستار، وقد قيل:

يخرج أسرار الفتى جليسه ... رب امرئ جاسوسه أنيسه

عباد الله، إن الجلساء مفاتيح ومغاليق، فمنهم من جعله الله مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، ومنهم من جُعل مغلاقاً للخير مفتاحاً للشر. فاختاروا لأنفسكم مفاتيح الخير مغاليق الشر تربحوا وتنجوا.

قال رسول الله ص: (إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر. وإن من الناس ناساً مفاتيح للشر. مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه)(١).

أيها المسلمون، إذا نزل الإنسان مكاناً أو خالط مجموعة من الناس فلم يجد فيهم جليساً صالحاً فليفر من هناك فراره من الأسد، ولا يسوّف في الفرار والهروب؛ فإن البقاء هناك قد يفقده الإحساس بالخطر فيتسرب إليه الداء شيئاً فشيئاً حتى يعمه فيرضاه ويستمرأه. فلتكن الوحدة عن أولئك الأشرار كهفه الذي يأوي فسينشر له ربه من رحمته ويهيئ له من أمره رشدا. كان يقال: الجليس الصّالح خيرمن الوحدة، والوحدة خيرٌ من الجليس السّوء.

قيل لابن المبارك: إنك تكثر الجلوس وحدك. فقال: أنا وحدي؟! أنا مع الأنبياء والأولياء والحكماء والنبي وأصحابه، ثم أنشد هذه الأبيات:

ولي جلساء ما أمل حديثهم ... ألباء مأمونون غيباً ومشهدا
إذا ما اجتمعنا كان حسن حديثهم ... معيناً على دفع الهموم مؤيدا
يفيدونني من علمهم علم ما مضى ... وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا

(١) رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم، وهو حسن.

بــلا فتنــة تُخشــى ولا ســوء عشرــة ولا أتقــي مــنهم لســاناً ولا يــدا

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

آداب المجالس وآفاتها(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، لقد كان الحديث في خطبة الجمعة الماضية عن الجليس وأثره على جليسه، وفي هذا اليوم- بعون الله تعالى- يكون الحديث عن المجالس، فإذا كان اختيار

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني ٢٣/٨/١٤٣٣هـ، ١٣/٧/٢٠١٢م.

الجليس مهماً فاختيار المجالس كذلك؛ إذ ليست كل المجالس صالحة لأن يجلس فيها المسلم الحريص على دينه وأخلاقه.

إذا تكلمنا اليوم عن المجالس وآدابها وآفاتها فلا نعني بالمجلس ذلك المكان الذي يجتمع فيه الناس في بيت من البيوت فحسب، وإنما يراد بالمجلس كل مكان يجلس فيه الإنسان سواء كان في البيوت أم الطرقات أم الأسواق أم أماكن العمل أم الحدائق والمتنزهات.

عباد الله، إن مما يدعو المتكلم للحديث عن هذا الموضوع رؤية كثير من مجالس المسلمين تحولت من مجالس خير وفائدة إلى مجالس شر ومضرة. فبدل أن تكون مجالس نفع وذكر لله تعالى وتداول للكلمة الطيبة وحلول لمشكلات الواقع الخاص والعام، أصبحت مجالس قيل وقال وضياع للأعمار والأموال والأوقات، هذا إذا لم تصل إلى مجالس سخط وإثم في الأقوال والأفعال.

إن الإسلام يريد للمسلم أن يكون في منزلة رفيعة تقوم على أماكن الفضيلة والارتقاء بالروح والقلب والعقل إلى درجات الصفاء والبهاء لتحلق في آفاق السعادة الدنيوية والأخروية. وينأى به عن مهاوي الانحطاط إلى سخط الله وإهانة النفس التي كرمها الله.

ولهذا جعل للمجالس آداباً دعا إلى التحلي بها، ونهى عن آفات من الأقوال والأفعال لكي يتخلى عنها؛ لتصبح المجالس بذلك شاهدة للإنسان لا عليه.

أيها المسلمون، إن القرآن الكريم قد أدبنا إذا جلسنا مجلساً أن نختار مجالس

الصلاح والخير وأن نبتعد عن مجالس السوء والشر. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) ﴾[الأنعام:٦٨].

وقال: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾[النساء:١٤٠].

وهذا الترغيب الكريم في حضور المجالس الطيبة والتحذير من المجالس الأخرى لكون المجلس الذي يجلس فيه الإنسان إما أن يكون له وإما أن يكون عليه.

قال رسول الله ص: (ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة)(١).

فلكي تكون المجالس التي يجلسها المسلم أجراً له ورفعة عند الله وعند خلقه، وليست عليه وزراً ومنقصة فليتأدب بآداب الإسلام فيها، فمن تلك الآداب:

إلقاء السلام دخولاً وخروجاً، قال رسول الله ص: (إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة)(٢).

هذه تحية الإسلام تحية الاقتداء والأجر والأمان والسلامة، ولن تصل إلى رتبتها

---

(١) رواه أبو داود والحاكم، وهو صحيح.

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وهو صحيح.

أي تحية أخرى مهما حملت من الألفاظ والمعاني الجميلة.

ومن الآداب: اختيار أطايب الكلام والبعد عن العبارات التي تجرح الدين والخلق والناس؛ فالإنسان يوزن بكلامه وتعظم منزلته أو تدنو في النفوس من خطابات لسانه.

قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[البقرة٨٣].

ومن الآداب: تهادي النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجلس.

إن المجالس الخالية من سقط الكلام وأفعال السوء مما يرغب إليها ويدعى إلى ملازمتها، لكن قد يحتاج الإنسان أن يجلس في مجالس أخرى لمصلحة ما، فإذا كان لابد من الجلوس هناك فليجلس المسلم وهو حذر على دينه وأخلاقه، فلا يشارك أهل السوء في سوئهم، بل يأمر بالمعروف إن رآهم بعيدين عنه، وينهى عن المنكر إن وجده بينهم، بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن، ولا يسكت عن منكر حصل في ذلك المكان؛ فالساكت مشارك. فقيام هذه الشعيرة في المجالس تكثِّر مجالس الخير وتقلل مجالس الشر.

ومن الآداب أيضاً: الحرص على جمع الكلمة وإصلاح ذات البين واستغلال تلك الجلسات لتقريب وجهات النظر وجمع القلوب على الحق، والبعد عن تأجيج الصراعات والاختلافات فلا يخرج الجالسون إلا وقد شحنوا حقداً وبغضاً من بعضهم لبعض، خاصة في أيامنا هذه التي تموج بالفتن وتطفح بالصراع والاختلاف الذي قد

وصل إلى البيوت ليفرق بين الأخ وأخيه، فالحكمةَ الحكمة معشر المسلمين.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[النساء:١١٤].

ومن آداب المجالس: الابتعاد عما يؤذي الجالسين من قول أو فعل أو هيئة. فليحرص المسلم عند جلوسه مع غيره أن يكون نظيف الظاهر والباطن طيب الرائحة حلو اللسان، لا تصدر من قبله أفعال تكدر على الجالسين مجلسهم.

ومن الآداب: استعمال اليد اليمنى في الأخذ والإعطاء والأكل والشرب.

قال رسول الله ص: (لا يأكلن أحدكم بشماله ولا يشربن بها؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها)(١).

عباد الله، الستر على عورات الجالسين القولية والفعلية والمحافظة على الأسرار أدب آخر، فمن رأى من أخيه المسلم شيئاً يستحيا من ذكره فليستره؛ فالمجالس بالأمانة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة.

التوسع في المجلس وإبداء البشاشة والارتياح للقادم للمجلس أدب من آداب المجالس.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ

(١) رواه مسلم.

لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ..﴾[المجادلة:١١].

عدم إقامة أحدٍ أحداً من مجلسه ليجلس فيه من الآداب أيضاً، قال رسول الله ص: (لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم)وفي رواية: وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه)(١).

جلوس الإنسان حيث ينتهي به المجلس دون البحث عن رؤوس المجالس ووجوهها من الآداب كذلك، فقد كان رسول الله يجلس حيث ينتهي به المجلس.

احترام الكبار بالعلم أو السن من الآداب أيضاً. قال رسول الله ص: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)(٢).

ومن الآداب: ختم المجلس بكفارة المجلس؛ لأن الإنسان مهما تحرز وحرص على الخير في مجلسه فإنه قد يقع في زلة أو غفلة؛ فلذلك شرع هذا الدعاء محواً لخطيئة من الصغائر المتعلقة بالنفس. وهذا الدعاء هو: (سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)(٣).

أيها المسلمون، إن الآداب الإسلامية في المجالس كثيرة، وقد تختلف باختلاف الجلساء وتنوع المجالس. لكن هذه الآداب توحي بأن الإسلام والخلق الراقي يجب

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي، وهو صحيح.

(٣) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح.

أن يكون رفيقك وملازمك-أيها المسلم- في كل مكان نزلت فيه وكل وقت أنت فيه. وهذا كله يعلم الناس عظمة هذا الدين وحرصه على بناء الشخصية المسلمة السامية التي تفرض وجودها وحبها وعلوها وأثرها في أي مكان نزلت فيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إننا لو جئنا لنحاسب أنفسنا ونفتش عن هذه الآداب في مجالسنا فسوف نرى غيابها أو قلة حضورها فيها. بل إننا إذا وجدنا من يتمثلها ويتخلق بها أو ببعضها فسيكون غريباً بين الناس؛ لأنه أتى بما لم يتعود عليه الناس. وهذا من عجائب الزمن.

فماذا نجد في مجالسنا اليوم يا عباد الله؟

إن مجالسنا اليوم لتشكو التخمة من آفات الحديث ومساوئ الفعل، والناس فيها بين مستقل ومستكثر. فاكهة المجالس اليوم والحديث العذب فيها: الغيبة والنميمة، والسخرية والتحقير، والتعييب والتشهير، وحياكة المكائد وفتل حبال الشر. قذف وكذب، جدال وخصومة، سب وشتم، لعن وفحش، تنابز وتفاخر ولعب وعبث، وغير ذلك من الآفات.

أيها الأحبة، أما عن مجالس النساء فيما بينهن فحدث عن التعري والسفور والتشبه بالكافرات وتضييع الأوقات واللهو واللعب وتهذيب الحياء، فأين مجالس الخير والفضيلة والحشمة؟ لماذا أُعرض عنها واستعيض بها مجالس اللهو والخطيئة؟

فهل لنا من عودة قبل خروجنا من الدنيا بلا عودة إليها؟ فهلا اخترنا مجالسنا وجلساءنا وعمرنا تلك المجالس بما ينفعنا يوم حشرنا، ونزهنا تلك المجالس من الآفات التي تضرنا في حياتنا وبعد موتنا.

عباد الله، إن الحديث عن المجالس وآدابها وآفاتها لا يعني أن الإنسان لا يتكلم عما يهمه من أمر دنياه كعمله ووظيفته وهواياته المباحة، كالسياسي في السياسة والعسكري في الأمور العسكرية والتاجر في التجارة والمثقف في الثقافة ونحو ذلك من التخصصات. إنما المقصود أن يُلتزم بهذه الآداب ويبتعد عن الآفات في المجالس مهما كان الحديث في أمر الدين أو أمر الدنيا مادام الكلام مباحاً. نسأل الله أن يجعل مجالسنا شاهدة لنا لا علينا.

هذا وصلوا وسلموا على القدوة المهداة...

الأمانة في الحكم(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون،

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم   ولا سراة إذا جهالهم سادوا

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في١٣/٤/١٤٣٥هـ، ١٣/٢/٢٠١٤م.

تبقى الأمور بأهل العدل ما صلحوا   فـــإن تولـــوا فبـــالظُلاّم تنقـــاد

إن الجسد بلا رأس موت محقق، والماشية بلا راعٍ فرصة الذئاب ونُهبة الكلاب، والأسرة بلا ربٍّ ضياع وشتات، والسفينة بلا ربان غرق وهلاك. والشعوب بلا حاكم عادل ورق تذروها الرياح في كل مكان، ويُتمٌ ترعاه الجريمة والفوضى، وتربيه الخيانة والأيادي الأثيمة.

عباد الله، إن أي مجتمع بشري يريد النماء والاستقرار والاطمئنان والازدهار، لابد له من قائد يسوس أموره، ويدير شئونه بقوة وأمانة؛ لأن العيش الجماعي مظنة التنازع والتخاصم، والاختلاف والتظالم، فلو ترك الناس بلا سلطة حاكمة، وولاية حازمة لقهر القوي الضعيف، وغلب القادر العاجز، وظلم الغني الفقير.

معشر المسلمين، لقد عاش الناس منذ قديم الزمان وفي طبعهم ميل إلى أن يكون لهم رأس يأتمرون بأمره، ويرجعون إلى رأيه، وإن اختلفت أسماء ذلك الرأس من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، وسواء اتسعت مساحته الجغرافية التي يديرها أم ضاقت.

ومع مرور الزمام عُرف فضل هذه الرئاسة وأهمية الاستظلال بظلها، فلما جاء الإسلام جعل ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين. بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس.

عباد الله، إن اختيار الحاكم في الإسلام لا يقوم على القرابة أو الصداقة أو الشهادة أو كثرة الأتباع وظهور القوة، إنما يقوم على شروط تتوفر في حاكم المسلمين.

ومن تلك الشروط: الإسلام، البلوغ، العقل، سلامة الحواس، العلم بالدين والعلم بالسياسة والحكم والقدرة على الإدارة والقيادة. وترجع هذه الشروط ونحوها- مما لم يذكر- إلى ركنين أساسيين هما القوة والأمانة. قال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام الذي تولى أمر خزائن مصر: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾[يوسف:٥٤-٥٥].

ومعنى حفيظ: أمين، ومعنى عليم: ذو علم بما يتولاه.

فإذا ما نصب للأمة حاكم بالشروط السابقة وجبت طاعته والانقياد له بالمعروف.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[النساء:٥٩].

وقال النبي ص: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)[١].

أيها المسلمون، إن تولي الولاية العامة وحكم الناس بها وظيفة شاقة ومسئولية عظيمة ثقيلة الأعباء كثيرة التبعات؛ لأنها عرضة للنجاح الذي يكرم صاحبه في الدنيا والآخرة، أو عرضة للإخفاق الذي يذل القائم عليه في الدنيا وقد يهلكه في الآخرة.

ولذلك قال رسول الله ص: (ويل للأمراء، ويل للعرفاء، ليتمنين أقوام يوم

(١) رواه مسلم.

القيامة أن ذوائبهم معلقة بالثريا، يتذبذبون بين السماء والأرض، ولم يكونوا عملوا على شيء)(١).

إن هذا العمل ليس منصباً لتحقيق الرغبات الدنيوية، وليس مكاناً لتسهيل الانتقام من الخصوم، بل هو تكليف وخدمة للأمة، فإذا أدى متوليه الأمانة فيه كان من أعظم الأعمال التي تقرب صاحبها إلى الله تعالى.

قال رسول الله ص: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...)(٢).

عباد الله، لقد حدد الله تعالى وظيفة الحاكم في آية جامعة هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾[النساء:٥٨].

فهذه الآية الكريمة رسمت منهج دستور الحكم الإسلامي العادل المتمثل في أداء الأمانة الوظيفية من الحاكم إلى الشعب الذي يحكمه، وفي سلوك سبيل العدل في جميع شئون الحكم. وتحقيق هذه الغاية يتطلب بذل جهد كبير من الحاكم المسلم في إصلاح نفسه تقوى وعلماً بمتطلبات الحكم الرشيد، وفي اختيار بطانته وولاته على مفاصل الدولة؛ لأن صلاح الحكم بصلاح بطانة الحاكم ونوابه.

---

(١) رواه أحمد، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

قال رسول الله ص: (إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه)(١).

معشر المسلمين، إن أداء أمانة الحكم تتمثل في أعمال توصل الحاكم المسلم إلى تحقيق الحكم الصالح الذي يسعد الحاكم والمحكوم.

فأولى هذه الأعمال: توطيد دعائم العدل بين الناس. فالعدل هو إنصاف الرعية بحزم في موضع الحزم، ولين في موضع اللين، بلا محاباة مع القريب والبعيد والصديق والعدو.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله ص؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ص، فكلمه أسامة فقال رسول الله ص: (أتشفع في حد من حدود الله). ثم قام فاختطب ثم قال: (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)(٢).

إن العدل هو عماد بقاء الحكم وسبب قوته وهيبته في نفوس الرعية. والحاكم

(١) رواه أبو داود وابن حبان، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

العادل يحجزه الخوف من الله تعالى عن الظلم والجور والخيانة.

يقول النبي ص: (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة)(١).

وقال: (اللّٰهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به)(٢).

ثانياً: الحكم بما أنزل الله تعالى، وإبعاد كل ما يخالف هذا الأصل. قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾[المائدة:٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾[المائدة:٤٢].

قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: " حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدي الأمانة، فإن فعل فحق على الناس أن يسمعوا وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دُعوا ".

ثالثاً: رعاية مصالح الناس الدينية والدنيوية في جميع المجالات. قال بعض العلماء: "فالمقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم وهو نوعان: قسمة المال بين مستحقيه، وعقوبات المعتدين".

ومتى ما اهتمت الولاة بإصلاح دين الناس صلح للطائفتين دينهم ودنياهم، فإن

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

لم اضطربت الأمور وانفرط العقد على الجميع.

إن الاهتمام بإصلاح عيش الرعية-بعد الاهتمام بإصلاح الدين- من أهم المهمات التي تحفظ استقرار الحكم وعدم اضطرابه، خاصة الجوانب الثلاثة الكبرى: الجانب العلمي، والجانب الاقتصادي، والجانب الأمني. فرعاية الدولة لهذه المجالات الثلاثة صِمام أمان للمجتمع، وبوابة انطلاقة راشدة إلى الحياة المستقرة الهادئة.

رابعاً: تفقد أحوالهم والسؤال عنهم،وعدم الاحتجاب منهم. فبحث الحاكم عن أحوال رعيته لإصلاحها وتلبية احتياجاتهم المشروعة، وإنصافهم ممن ظلمهم من أسباب صلاح البلاد والعباد. كان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يخرج في الليل يفتش عن رعيته لعله يجد ملهوفاً أو مستنجداً أو محتاجاً فيعينه ويلبي حاجته.

وأما إقامة الحواجز بين الراعي والرعية: إما بعدم تفقده لهم، وإما بإيجاد حجبة وموانع تحول دون وصول المظلومين الذين لم ينُصفوا، أو المحتاجين الذين لم يُعانوا إلى ولي أمرهم فإنه يسبب الفساد ويقطع الحق عن أهله.

قال رسول الله ص: (من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة)(١).

قال بعض العلماء: "الاحتجاب من أعظم الخِلال في هدم السلطان وأسرعها خراباً للدول؛ فإنه إذا احتجب السلطان فكأنه قد مات؛ لأن الحجبة موت حكمي،

(١) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح.

فتعيث بطانته بأرواح الخلق وحريمهم وأموالهم؛ لأن الظالم قد أمن أن لا يصل المظلوم إلى السلطان. ولا تزال الرعية ذات سلطان واحد ما وصلوا إلى سلطانهم، فإذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة".

خامساً: حمايتهم من أي خطر داخلي أو خارجي يتهددهم ويذهب سكينتهم. فالحاكم في الدولة الإسلامية هو -بعد الله- كهف المسلمين الذي يأوون إليه، وجُنتهم الواقية التي بها يستجنون، ودرعهم السابغ الذي به يتقون. فالأمن من أعظم المطالب البشرية، ومن أهم الحاجات الحياتية.

قال تعالى: بسم الرحمن الرحيم، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾[قريش].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن ولي أمر المسلمين حينما يقوم بأمانته في ولايته، ويؤدي حق الله وحق رعيته في وظيفته، يسعد نفسه ويسعد شعبه، ويجعل لنفسه ذكراً حسناً صادقاً بعد تخليه أو بعد موته، ويكون سبباً في حفظ عقبه وأهله من بعده.

سأل بعض خلفاء بني العباس بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك، فقال:" أدركت عمر بن عبد العزيز فقيل له: يا أمير المؤمنين، أقفرت أفواه بنيك من هذا المال، وتركتهم فقراء لا شيء لهم، -وكان في مرض موته- فقال: أدخلوهم علي، ليس فيهم بالغ، فلما رآهم ذرفت عيناه، ثم قال: يا بني، والله ما منعتكم حقاً هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين: إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله، قوموا عني، قال: فلقد رأيت بعض ولده حمل على مائة فرس في سبيل الله -يعني أعطاها لمن يغزو عليها-...قال: وحضرت بعض الخلفاء وقد اقتسم تركته بنوه فأخذ كل واحد منهم ستمائة ألف دينار، ولقد رأيت بعضهم يتكفف الناس"!.

ومن ذلك ما ذكره الإمام الذهبي في ترجمة المعتمد بن عباد صاحب الأندلس الذي حكم قرطبة وإشبيلية فترة من الزمن، وظلم وقتل وفعل ما فعل –وبقي ما شاء

الله- إلى أن صار أسيراً في يد البربر بعد أن قتلوا ابنيه: الراضي والمعتد، ونهبوا أمواله، ومضوا بالمعتمد وآله إلى طنجة ثم سجن بأغمات -منطقة في بلاد البربر- عامين وزيادة في قلة وذلة، فقال:

تبدلّتُ من ظل عز البنودِ ... بذلّ الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سناناً ذليقاً ... وعضباً رقيقاً صقيل الحديد
وقد صار ذاك وذا أدهماً ... يعضّ بساقيّ عض الأسود

وقيل: إن بنات المعتمد أتينه في عيد، وكن يغزلن للناس بالأجرة في أغمات، فرآهن في أطمار رثة، فصدعن قلبه، فقال:

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا ... فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة ... يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعةً ... أبصارُهن حسيراتٍ مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية ... كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

عباد الله، قال رجل لعمر بن الخطاب: "يا أمير المؤمنين! لو وسعت على نفسك في النفقة من مال الله تعالى، فقال له عمر: أتدري ما مثلي ومثل هؤلاء؟ كمثل قوم كانوا في سفر فجمعوا منه مالاً وسلموه إلى واحد ينفقه عليهم، فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من أموالهم؟".

وحُمل مرة إليه مال عظيم من الخمس فقال: "إن قوماً أدوا الأمانة في هذا لأمناء،

فقال له بعض الحاضرين: إنك أديت الأمانة إلى الله تعالى فأدوا إليك الأمانة، ولو رتعت لرتعوا".

وولي عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة سنتين فأحسن السيرة وعفّ عن أموال الناس، ثم عُزل فاجتمعوا إليه فأنشد لدرّاج الضّبابي:

فلا السجن أبكاني ولا القيد شفّني ... ولا أنني من خشية الموت أجزع
ولكن أقواماً أخاف عليهمُ ... إذا متّ أن يعطوا الذي كنت أمنع

ثم قال: والله ما أسفت على هذه الولاية، ولكني أخشى أن يلي هذه الوجوه من لا يرعى لها حقها.

نسأل الله أن يولي علينا خيارنا، وأن يصرف عنا شرارنا.

هذا وصلوا وسلموا على إمام الأمة...

الأمانة في العمل والوظيفة(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾[الأحزاب:٧٢].

---

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في٩/ ٤/١٤٣٣هـ، ٢/٣/٢٠١٢م.

أيها المسلمون، اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الأمانة أمر عظيم من أوامر الدين، وخلق كريم من أخلاق الصالحين، وهي جزء من السلوك الفاضل، وجانب مهم من جوانب الإسلام، بل هي الإسلام كله. فهي أداء لحق الله بالقيام بالتكاليف الشرعية، ومراقبة الله في السر والعلانية. وهي أيضاً أداء لحقوق الخلق على وجه الحق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ ...﴾[النساء:٥٨].

عباد الله، إن الأمانة تنتظم مجالات متعددة في الحياة، ومن أعظم تلك المجالات: مجال العمل والوظيفة، الذي يتجه إليه كثير من الناس.

إن الله تعالى قد أمر الإنسان بالسعي في الأرض لطلب الرزق، وترك الكسل والخمول، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾[الملك:١٥].

وقال رسول الله ص: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)(١).

وليس المقصود بقوله: "عمل يده" قصر العمل المحمود على عمل اليد، بل يراد كل عمل مباح يقوم به الإنسان سواء كان العمل بيده أم بغيرها.

وهذه الحياة مجال رحب لاستفادة الإنسان من أخيه الإنسان واستعانته به، ولن يستطيع أن يعيش الإنسان حياة مستقرة متكاملة إلا بالاستفادة من غيره، ومن ذلك العمل والوظيفة.

قال تعالى: قال تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ

---

(١) رواه البخاري.

ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الزخرف:٣٢].

النـاس بالنـاس مـن حضرـ وباديـة ... بعض لبعض- وإن لم يشعروا- خدم

أيها المسلمون، إن من أقوى أسباب نجاح الوظائف والأعمال: اختيار الموظفين والعمال الذين تجتمع فيهم الأمانة في العمل والقدرة عليه.

وقد ذكر الله تعالى هذين المقومين لنجاح العمل في كتابه فقال تعالى: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[القصص:٢٦].

قال لها أبوها: "وما علمك بذلك؟ قالت له: إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وإني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي: كوني من ورائي، فإذا اختلفت عليّ الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه".

وقال تعالى: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾﴾[النمل:٣٩]. فذكر هذا العفريت مؤهلاته لحمل عرش ملكة سبأ من مأرب إلى الشام، وهي كونه قادراً على المجيء به، وكونه أميناً على ما فيه.

فهذان الوصفان: القوة والأمانة يضمنان صلاح الأعمال والوظائف. فالقوة تضمن القدرة على القيام بالعمل المطلوب حصوله وتأديته من غير تقصير، والأمانة تضمن إتقانه وحفظ ما فيه من دون لا نقص.

إن القوة ليس المقصود بها قوة البدن فحسب، بل هناك أعمال ووظائف تحتاج قوة

لسان ونطق، وأعمال تحتاج قوة تفكير وتدبر، وهناك أعمال تحتاج قوة بيان وكتابة، وهكذا.

فشرط القوة يكون حسب كل عمل. وقد قال الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾[يوسف:٥٥]. فقوة يوسف هنا بعلمه وحسن تدبيره وتصريفه ما في الخزائن. وفي عهد أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تم اختيار زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمهمة جمع القرآن من الرقاع والعظام وكتابته في صحائف خوفاً عليه من الضياع بموت حفاظه فقال له أبو بكر: (وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك)[1]. فشباب زيد وعقله هي القوة لهذه المهمة، وعدم تهمته أمانة لذلك أيضاً.

عباد الله، إن القوة والأمانة وصفان قد يقل اجتماعها في كثير من العمال والموظفين، فقد يوجد موظف قوي لكنه خائن، وقد يوجد إنسان أمين لكنه ضعيف. وهذا هو الذي شكا منه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث قال: "أشكو إلى الله عجز الثقة وجلد الفاجر".

فإذا لم يجتمع هذا الوصفان في موظف ووجد واحد منهما فيتخير للعمل ما يناسبه، فقد يحتاج في عمل ما قوة موظف أكثر من أمانته، وفي عمل آخر أمانته أكثر من قوته.

إن من أسباب نجاح الأعمال والوظائف وقيام الأمانة فيها: أن تراعي الحكومات والشركات والمؤسسات موظفيها والعاملين فيها بأن تعطيهم الراتب الكافي-حسب

(١) متفق عليه.

العمل- الذي يضمن لهم حياة كريمة مستقرة؛ لأن قلة المرتبات مع التصاعد الشديد في الأسعار ومتطلبات الحياة المعاصرة قد يكون ذريعة لبعض الموظفين إلى الخيانة في أعمالهم.

ويبدو أن التشجيع من قبل الدولة أو الشركة لموظفيها يعد حافزاً مهماً في نجاح الأعمال واستقراره الموظفين.

معشر المسلمين، هناك ظاهرة سيئة كان لها أثرها السلبي الواضح على بعض الموظفين، هذه الظاهرة هي وجود الخيانة والضعف الوظيفي لدى كبار الموظفين، الذين لم يدخلوا تلك الوظائف ولم يترقوا فيها حسب المعايير التوظيفية الصحيحة، فنقلت خيانتهم وضعفهم إلى الموظفين الجدد أو الذين لم يصلوا إلى مراتبهم. فالموظف الصغير يرى مديره أو المسئول عنه يختلس ويرتشي ويخون ويقصر في عمله فيدعوه ذلك بقصد أو بغير قصد إلى أن يسلك مسلكه. وذلك الموظف الكبير الخائن لا يستطيع أن يقنع من وُلِّيَ عليهم بأداء العمل بقوة وأمانة؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه. ولسان حال الموظف الصغير عند ذلك:

تلوم على الخيانة من أتاها وأنت سننتها للناس قبلي!

عباد الله، إن الموظف المراقب لله تعالى يؤدي عمله بقوة وأمانة ولو رأى خيانات الموظفين صغارهم وكبارهم، ويحفظ دينه من دنس المال الحرام، فلا يضعف دينه ليقوي دنياه، ولا يشبع بطنه لتجوع روحه وقلبه وأخلاقه السامية عند الله وعند الناس. إنه يأكل اللقمة وهو يعرف من أين جاءت، فإن كانت من حرام رفضها

ولفظها.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فأعطاني بذلك، فهذا منه. فأدخل أبو بكر يده فقاءَ كلَّ شيء في بطنه"(1).

والموظف المراقب لله حريص على أن يطعم أسرته من الحلال ولا يرضى لهم كسباً من خيانة، كان بعض السلف إذا خرج من منزله قالت له زوجته: "اتق الله فينا؛ فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار". فسبحان الله! ما أحسن هذا المنطق أمام ما يُسمع من بعض النساء التي تطلب من زوجها توفير المال ولو من الحرام.

كان العلامة يحيى المليكي المتوفى سنة(٦٧٨هـ)يدّرس في ذي جبلة في المدرسة الأشرفية، ويبقى فيها العام الدراسي ما عدا شهرين منه يعود فيهما إلى بلده، فكان يُعطَى مستحقه من الأجر على تدريسه لعام كامل، ولكنه كان لا يأخذ إلا عن المدة التي كان يتصدر فيها للتدريس، ويعيد إلى الناظر مستحق الشهرين، ولما قيل له: (افعل كما يفعل المدرسون الآخرون؛ فإنهم يأخذون أجور السنة كاملة، مع أنهم يتخلفون عن التدريس أكثر من شهرين)فكان يجيب عليهم بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[سبأ:٢٥].

أيها المسلمون، هناك صور لأداء الأمانة في الوظيفة والعمل ينبغي للعامل

(١) رواه البخاري.

والموظف أن يعتني بها:

أولى تلك الصور: الجد والاجتهاد في العمل أو الوظيفة. فالإخلاص في العمل وإتقانه وترك التلاعب والكسل فيه أمر يحبه الله تعالى، قال رسول الله ص: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)(١).

الثانية: تجنب تعاطي الرشا ومد اليد إلى الحرام، فمادام أن العامل أو الموظف يأخذ أجراً على ذلك العمل فلا يحل الأخذ بعد ذلك من الناس. عن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله ص رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه وقال: هذا مالكم وهذا هدية، فقال رسول الله ص: (فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا"، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يده حتى رؤي بياض إبطيه يقول: اللَّهم هل بلغتثلاثاً)(٢).

و قال رسول الله ص: (من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك

---

(١) رواه البيهقي والطبراني، وهو حسن.

(٢) متفق عليه.

فهو غلول)[1].

الثالثة: الحفاظ على أدوات العمل وممتلكاته وحقوقه من العبث والإهمال والإتلاف والتصرف الخاص.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله فقال: (يا غلام هل من لبن؟ قال: قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: فهل من شاة لم ينز –يثب– عليها الفحل؟ فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص فقلص –اجتمع– قال: ثم أتيته بعد هذا فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فمسح على رأسي وقال: يرحمك الله؛ فإنك غلِّيم معلم)[2].

الصورة الرابعة: أن يؤدي ما وجب عليه أداؤه في عمله إلى أهله من غير محاباة أو مماطلة أو خيانة. فتأخير أصحاب المعاملات والاحتياجات أو التقصير في حقوقهم –من غير سبب صحيح– لأجل رشوة لم تدفع أو لأجل تباين ديني أو حزبي أو فكري أو مناطقي أو عنصري– خيانة لا تجوز. فما وضع الموظف في ذلك العمل إلا ليقوم بعمله مع جميع الناس حسب النظام في ذلك العمل.

قال رسول الله ص: (الخازن الأمين الذي ينفق –وربما قال: يعطي– ما أمر به

(١) رواه أبو داود والحاكم، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد والطبراني وابن حبان، وهو حسن.

كاملاً موفراً طيباً نفسه إلى الذي أُمر به أحد المتصدقين)[١].

فليتق الله الموظف في وظيفته والعامل في عمله؛ فإن الله سائله عن ذلك ومحاسبه عليه.

قال رسول الله ص: (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة عند ربه حتى يسأل عن خمس: عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم)[٢].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي والطبراني، وهو حسن.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، هنالك بعض الوظائف المهمة التي يجب أن تراعى فيها الأمانة أكثر من غيرها؛ لأنها كالأعمدة لرفع بنيان الحياة.

فمن تلك الوظائف العظيمة:

وظيفة الولاية العامة على الناس، فالحاكم أو الرئيس أو الأمير أو الملك يجب عليه أداء الأمانة في هذا العمل العظيم كما يجب، وذلك برعاية مصالح الناس الدينية والدنيوية.

في جميع المجالات. وسيسأل عن هذه الوظيفة عند ربه تعالى.

قال أبو مسلم الخولاني رحمه الله لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: " إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها، فإن أنت هنأت جرباها وداويت مرضاها وحبست أولاها على أخراها وفاك سيدها أجرها، وإن أنت لم تهنأ جرباها ولم تداو مرضاها، ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها".

ومن تلك الوظائف:

وظيفة القضاء والفصل بين الناس، وهي وظيفة مهمتها فض الخصومات وقطع

المنازعات والحكم في الدماء والأموال والأعراض وغير ذلك بحكم الله تعالى؛ حتى يسود الاستقرار العام في المجتمع، ولا يتأتى ذلك إلا بالقيام بالأمانة الوظيفية في هذا العمل العظيم.

قال النبي ص: (القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار)(١).

ومن تلك الوظائف المهمة:

وظيفة تعليم الناس وإرشادهم وتربيتهم على الحق، وهذه الوظيفة يقوم عليها العلماء والدعاة والمصلحون والمربون، فالعلماء هم حراس الدين من العادين، وأدلّة الناس إلى رب العالمين فإذا أدوا الأمانة في عملهم هذا حُفظ الإسلام وأهله، وعلا الحق واتضح، فإن غابوا عن أمانتهم أُتي الإسلام من قبل تفريطهم، وخفي الحق عن كثير من الناس؛ لغياب النور الذي كان يرشدهم إلى الطريق الصحيح.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[آل عمران:١٨٧].

قال ابن كثير رحمه الله: "وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم؛ فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسالكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع،

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئاً".

وهكذا على المعلم والمربي والمصلح أن يقوم بإيصال رسالته إلى المجتمع بأمانة وإخلاص حتى ينشأ الناس على الخير ويسلكوا السبيل السوي.

عباد الله، ومن الوظائف المهمة كذلك:

وظيفة الطب، فكما أن الحكام حراس البلدان والعلماء حراس الأديان فإن الأطباء حراس الأبدان، ولا قيام للدنيا إلا بسلامة هذه الحصون الثلاثة. فالطبيب الأمين هو الذي لا يمارس هذه المهنة إلا بعد تأهله الكافي لها؛ حتى يحافظ على حياة الناس من آثار جهله بها.

فالأمين من الأطباء من يحفظ مرضاه من الأدوية الفاسدة أو الضارة ويداوي المرض كما ينبغي، وإلا أحاله إلى من عنده الكفاءة العالية والأجهزة المناسبة لعلاج ذلك المرض.

والأمين من الأطباء من يتخذ هذه الوظيفة عبادة لله، وخدمة للناس، ولا يسعى للكسب فيها من خلال الخيانة فيها بالتجارة بأبدان الناس وغشهم.

أيها المسلمون، إن أمتنا الحبيبة بحاجة ماسة إلى الموظفين والعمال الأمناء؛ لأنهم من أسباب رقيها وتقدمها وصلاح أحوالها. فاتقوا الله-أيها الموظفون والعمال- في أعمالكم ووظائفكم بأداء الأمانة فيها؛ لأنكم مسئولون عما تعملون.

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

الانتصار على الخوف في الأزمات(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، إن الخوف دليل على ضعف الإنسان وعجزه، وحاجته وفقره، ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾[النساء:٢٨]. وهو يشير إلى احتياجه إلى قوة تسانده لتجلب له الأمن والاطمئنان.

والخوف توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب بأمارة معلومة أو مظنونة،

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٢٨/٧/١٤٣٢هـ، ١٠/٦/٢٠١١م.

يضطرب به القلب، وقد تظهر آثاره على الجوارح والوجوه والأقوال والأفعال.

ويتنوع الخوف إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الخوف المحرّم، وهو أن يخاف العبد من غير الله كخوفه من الله أو أشد، كأن يخاف من خيال أو جني أو إنسي حي أو ميت، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[آل عمران:١٧٥].

فالضار النافع هو الله تعالى الذي بيده مقاليد الأمور، فلو اجتمع الخلق كلهم على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.

النوع الثاني: الخوف المطلوب، وهو الخوف من الله تعالى ومن كل سبب يوصل إلى غضبه ومعصيته. قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[النحل:٥٠].

فالمسلم يخاف عذاب الله أن ينزل به بسبب عصيانه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾[الأنعام:١٥].

والمسلم يخاف أن يقف بين يدي الله يوم القيامة فيخزيه بذنوبه أمام العالمين؛ فلذلك ساقه هذا الخوف إلى الاستعداد بالعمل الصالح ليأمن في ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الرحمن:٤٦].

وقال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[النازعات:٤٠-٤١].

وقال رسول الله ص: (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل)(١).

وهذا الخوف عبادة لله تعالى؛ لأنه يتضمن صرف القلب إليه واعتقاد أنه الذي يفعل ما يريد ولا يصده عما أراده صاد.

وهذا الخوف إذا سكن القلبَ ساق صاحبه إلى الله تعالى وبصرّه بطريقه حتى يصل إلى ربه جل وعلا.

وليس الخوف من الله نطقاً باللسان فقط، بل هو اعتقاد بالجنان ونطق باللسان يصدّق ذلك عمل الجوارح والأركان. قال ابن تيمية رحمه الله: "الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله".

عباد الله، والنوع الثالث من أنواع الخوف: هو الخوف الطبيعي الذي يحصل لكل نفس بشرية من شيء يُتوقع منه اعتداء على المحبوبات. كالخوف من أسباب الآلام التي تقتل أو تجرح أو تؤذي.

قال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾[القصص:١٨].

وقال: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾[طه:٦٧].

وهذا الخوف مباح بشرط أ لا يصل إلى درجة الخوف المحرم كأن يعتقد الخائف

(١) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح.

حصول تأثيره دون قدرة الله. فالخوف المباح لا يخرج صاحبه إلى طرح قلبه ورجائه وتوسله بين يدي ذلك الشيء المخوف، وإنما يظل داعياً اللهَ تعالى أن يصرف عنه ذلك الشر؛ فموسى عليه السلام لما خاف ظلم فرعون وآله دعا الله تعالى، قال عز وجل: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾[القصص:٢١].

أيها المسلمون، إن أعظم ما يملكه الإنسان العاقل: دينه ونفسه وماله وعرضه. ولا تتم عليه النعمة في هذه الأشياء إلا بحصول السلامة والأمان على هذه الضرورات.

فيحصل الأمان على دينه بلزومه طريق الحق والثبات عليه، وبوجود العلماء العاملين وقيام شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويحصل الأمان على النفس والمال والعرض بالحفاظ على أسباب بقائها سالمة، وبوجود دولة عادلة تحفظ حياة الناس وحقوقهم وتحول بينها وبين الصائلين عليها، وتقيم على المتعدين عليها الحدود الرادعة.

إن الحروب التي تنشأ في المجتمعات تجعل الإنسان في غير مأمن على هذه الحقوق، وما يجري هذه الأيام في بلادنا وفي بعض البلدان العربية من صراع سياسي جعل بعض الناس يعيشون في خوف شديد. حتى نقل بعضهم إلى الخوف المحرم فصار يخاف بعض أطراف الصراع خوفاً جعله يعتقد أنهم يقدرون على ضره، دون أن يعلق قلبه بربه تعالى، وهذه الحال ليست حال الواثق بالله تعالى.

وقد أنكر الله تعالى على بعض الصحابة الذين كانوا يتمنون في مكة أن يفرض عليهم الجهاد للمشركين، فلما صاروا في المدينة وفرض عليهم الجهاد تضجر هؤلاء النفر القليل؛ خوفاً من الناس فأنزل الله قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾[النساء:٧٧-٧٩].

وقال تعالى عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة أحد: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾[آل عمران:١٥٤].

وحكم الله تعالى على اليهود بعدم الفهم والإيمان حينما خافوا من الصحابة أشد من خوفهم من الله تعالى، قال عز وجل: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾[الحشر:١٣].

عباد الله، لقد جر الخوف –في هذه الأحداث– بعض الناس إلى اليأس والقنوط من تحسن الأحوال وذهاب الفتنة، فعاشوا في ظلام الخوف والقنوط لا يرجون رؤية نور الفرج وتغير الحال السيئة. بل إن بعضهم لم يصل إليه مكروه، لكن توقعه للمكروه نزل به أشد من حصول المكروه، وتوقع العذاب عذاب. وهذه الحال ليست حال المؤمن الذي يرجو ربه في مثل هذه الظروف حينما لم يعلق أمله بأحد، وإنما علقه بربه.

إن من المشاهد لدى بعض الناس في خضم هذه البلايا أنه ركن إلى الكسل والشرود فنسي العبادة والرجوع إلى ربه، مع أن العبادة في مثل هذه الأيام مضاعفة الأجر، كما قال عليه الصلاة والسلام: (العبادة في الهرج كهجرة إلي)(١).

وظهر كذلك التكاسل عن الأعمال الدنيوية النافعة الممكنة، فضاع بالخوف شيء من الدين وشيء من الدنيا.

لقد علمنا رسول الله عليه الصلاة والسلام علو الهمة والحرص على العمل النافع حتى في أحرج الأوقات، فقال عليه الصلاة والسلام: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)(٢).

أيها المسلمون، ولكي نخفف وطأة الخوف ونعيش في أمان مع المكروه العام فعلينا أن نسلك بعض الطرق الموصلة لذلك الأمان المرجو، فمن تلك الطرق:

أن نقوي إيماننا بالله تعالى الذي بيده كل شيء، ونقوي إيماننا ومعرفتنا بأسمائه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

وصفاته، فهو العليم الحكيم القدير الرحيم، فنعتقد أنه لا يقع شيء إلا بعلمه، ولا يحدث شيء في خلقه إلا بحكمته، وهو القدير على أن يأمننا من الخوف؛ لأنه أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا.

وعلينا كذلك أن نقوي إيماننا بقضاء الله وقدره، فنرضى بما قدر وقضى، ونعلم أنه لن ينجي حذر من قدر، ولن يستطيع أحد أن يوصل إلينا ضرراً لم يرده الله تعالى، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة:٥١].

ومن السبل التي تخفف الخوف: أن يتوكل الناس على الله تعالى ويفوضوا أمرهم إليه، وأن تعتمد قلوبهم عليه. فالمتوكلون على الله هم أهنأ الناس عيشاً، وأكثرهم أماناً واطمئناناً، قال ربنا الكريم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[الطلاق:٣]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران:١٧٣-١٧٥].

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: (﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ص حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾)(١).

---

(١) رواه البخاري.

ومن السبل كذلك: كثرة اللجوء إلى الله تعالى والتضرع بين يديه، والتحصن بحصون الدعاء العام والخاص، كأدعية الصباح والمساء، والاستيقاظ من النوم، والخروج من المنزل.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (لم يكن رسول الله ص يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: اللّهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللّهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللّهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللّهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)(١).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ص: (من قال -يعني إذا خرج من بيته- : بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان)(٢).

وعن أبي موسى قال كان النبي ص إذا خاف قوماً قال: (اللّهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم)(٣).

وكذلك أن يدعو المسلم بالأدعية العامة بالكفاية والحماية والوقاية ورفع البلاء ودفع الفتنة، وإحلال الأمن والسلام، والله سميع قريب يجيب دعوة المضطرين

---

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) رواه الترمذي، وهو صحيح.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، وهو صحيح.

والملحين والمداومين.

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،

أيها المسلمون، ومن سبل دفع الخوف في هذه الأزمة: اليقين بأن في هذه البلية مصالح ونعماً كثيرة، عرفها من عرف وجهلها من جهل، فلننظر إليها بمنظار الحكمة، فلعل بعض الشاردين عن الله يرجعون إلى باب ربهم بسببها.

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة:٢١٦]. واليقين بأن هذا البلاء لن يستمر فالله سيغير الحال إن شاء تعالى.

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

ومن السبل كذلك: الاستقامة على طاعة الله تعالى، ولزوم حدوده؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فعون الله ودفاعه وإنجاؤه يحصل لمن أطاعه واتقاه؛ ولذلك قال تعالى لنبييه موسى وهارون عليهما السلام حينما خافا بطش فرعون: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾[طه:٤٥-٤٦].

ومن ذلك الإكثار من نوافل العبادة كالذكر وقيام الليل والصيام ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

عباد الله، ومن سبل الانتصار على الأزمة: الابتعاد عن مواطن الخوف ومثيراته،

عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن رسول الله ص في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيبا قال: (أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللّهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم)(١).

فالمكان والزمان المخوفان ينبغي اعتزالهما إن أمكن ذلك، فموسى عليه السلام لما حصل له الخوف في مصر. خرج عنها إلى مدين. قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾[القصص:٢٠-٢١].

أخيراً كثرة الاستعجال بقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[البقرة:١٥٦].

عن أم سلمة زوج النبي ص قالت: سمعت رسول الله ص يقول: (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللّهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها - إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها، قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ص فأخلف الله لي خيرا منه: رسول الله ص)(٢).

ونحن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللّهم أجرني في مصيبتنا واخلف لنا خيراً

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

منها.

هذا وصلوا وسلموا على النبي الأمين...

الحدود الشرعية: عدلٌ ورحمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، إن الحروب المتنوعة الموجهة نحو الإسلام وأهله مازالت في امتداد واتساع، وتأخذ بين كل فترة وأخرى طابع التجديد حسب الزمان والمكان والبيئة.

ومن بين تلك الحروب: حرب قولية وكتابية تمثلت بالطعن في ثوابت هذا الدين ومسلماته والشرائع الراسخة التي جاء بها. قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[آل عمران:١٨٦].

لقد كان أمراء هذه الحرب في الماضي من الكفار الصرحاء من اليهود والنصارى والوثنيين والملحدين. وأما اليوم فقد سلم هذا الدور لأناس من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ويدعون أنهم أغير الناس على دين الله من أهله.

في هذه الأيام عبر بعض وسائل الإعلام المختلفة ظهرت هجمة شرسة تتناول بعض الحدود الشرعية القطعية بالرد والتكذيب، والاستهزاء والتشويه، والطعن والتعطيل، ويزعمون زوراً أن الإسلام بريء من هذه الحدود التي تشوه الأعضاء البشرية المجرمة، أو أنها كانت لفترة زمنية تاريخية منغلقة، وأما اليوم فنحن في عصر الانفتاح الحضاري والحياة المدنية الراقية فلا يناسب تطبيق هذه الحدود! هذا على أقل الأحوال لدى من اعترف بها. أما الطرف الآخر فقد طعن فيها جملة أو اختار بعضها بالطعن والرفض.

لقد راجت هذه الدعوة الباطلة في أوساط بعض المنسوبين إلى الثقافة والتنور من الساسة والإعلاميين، وتأثر بها بعض الجهال وأصحاب القناعات المناوئة للإسلام من بين المسلمين فراحوا يرددونها خلف أولئك الناعقين، طالبين تطبيق القوانين الغربية بديلاً عن الشريعة الإسلامية. والله تعالى يقول: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ

خَيْرٌ﴾[البقرة:٦١]. ويقول: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة:٥٠].

عباد الله، إن المسلم العاقل ليعجب من هذه الدعوة المشبوهة التي تحاكم النصوص الشرعية القطعية المعصومة إلى عقول بشرية شوهتها الأفكار الغريبة المسمومة!

لقد رحموا المجرم والمفسد في الأرض الذي سطا على الدين أو النفس أو العرض أو المال أو العقل، وأحدث الخوف والقلق والفساد في المجتمع، ولم يرحموا المعتدى عليه!فهل هم أعلم أم الله بمصالح العباد ودفع المضار عنهم؟.

لقد أرادوا بهذا النعيق أن يرضوا الغرب عنهم ويسخطوا الله تعالى، الذي شرع هذه الحدود.

ومن المعلوم لدى المسلم الصادق إن الله تعالى شرع هذه الحدود بعلم وحكمة، وعدل ورحمة؛ ليتعبد عباده بذلك وينالوا الثواب على امتثالهم هذا التكليف.

وشرعها كذلك ليعيش الناس بأمان واطمئنان واستقرار، فيُحفظ لهم دينهم الحق من الذهاب والسخرية ولعب اللاعبين به، وتحفظ لهم دماؤهم من السفك والجرح ظلماً، وتحفظ لهم أموالهم المعصومة من التعدي عليها والأخذ منها بغير طيب نفس، وتحفظ لهم أعراضهم مصونة محمية من كل خدش ونهش، وتحفظ لهم عقولهم من الاختلال وتضييع الدين والدنيا. والأمن على هذه الجوانب العظيمة مطلب شرعي

وفطري وعقلي.

أيها المسلمون، إن المسلم الصالح في المجتمع يسعى لإيجاد الأمن والاهتمام بنشر الخير والاطمئنان بين الناس؛ لأن الشرع أمره بأن يكون عضواً صالحاً في جسد المسلمين بعيداً عن التعدي على غيره. قال رسول الله ص: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[1].

ولأن بُعده عن إيذاء الناس عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، وخروجه عن هذا الأصل يعرضه للعقوبة.

وكل مسلم يستشعر هذه المعاني فلن تنازعه نفسه ويقوده هواه للفساد والإفساد، وبهذا تتم المراقبة الذاتية والوازع الشخصي فيعيش المسلمون في صلاح للدين والدنيا. ومن ثم فلا حدود تقام وقد صلح الناس ولم يتجاوزوا حدود الله تعالى.

لكن إن خرج مسلم عن هذا الإطار الآمن الصالح ولم تمنعه نفسه عن الأذى فهناك يأتي الوازع الآخر الذي يوقفه عند حده حتى لا يفسد المجتمع بتعديه وهذا الوازع هو الحدود الشرعية التي تكفل للمجتمع أن يعيش حياة آمنة مطمئنة يأتيه رزقه رغداً من كل مكان.

معشر المسلمين، إن الناظر المنصف إلى الحدود التي حددها الشرع الحنيف لكف الفساد في الأرض سيحكم بأنها وسام مدح في صدر هذا الدين وليس عيباً فيه، وهي

(١) متفق عليه.

سبب راسخ من أسباب استمراره وظهوره وتأثيره، فالمجتمعات الغربية رغم دقة أجهزة المراقبة فيها وتوفر الحس الأمني المنتشر، ورغم عقوبات القانون مع كل ذلك لم تستطع أن تكبح جماح الجريمة، فهذا يبين أن القانون البشري مهما كان دقيقاً فإنه لا يمكن أن ينال رضا البشر ويحبس المجرمين منهم عن الجريمة. فالله يعلم وهم لا يعلمون؛ ولذلك شرع لعباده الدين الحق الذي إذا التزموا بهم سعدوا في دنياهم وأخراهم.

والناظر المنصف إلى الحدود الشرعية يرى أنها حدود مقدرة كماً وكيفياً، فلا مجال للعقل البشري أن يضيف عليها أو أن ينقص منها؛ لأن الله أعلم حيث حدد وقدر.

إلا في التعزير على عمل لم يرد في الشرع فيه حد معين؛ لكونه ليس من الجرائم الكبيرة أو المنتشرة.

والناظر المنصف إلى الحدود الشرعية يرى أن هناك شروطاً لا بد من توفرها قبل إقامة الحد، كما سيأتي.

والناظر المنصف إلى الحدود الشرعية يجد أنها تُدرأ بالشبهات، وأن الشرع يتشوف إلى براءة المتهم والتحقق واليقين من صحة الدعوى فلا يقيم الحد إلا في النهاية؛ ولذلك كان من الأفضل لمن وجب عليه حد أن يستر نفسه ويتوب بينه وبين ربه، وكذلك على الناس أن يستروا من وقع منه ما يوجب الحد وكان غير مجاهر ولا مستهتر، وأن لا يرفعوا أمره إلى الحاكم؛ فلعله أن يتوب، قال رسول الله ص: (تعافوا

الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب)[1].

وقد جاء عن عمار بن ياسر أنه أخذ سارقاً ثم قال: "أستُره؛ لعل الله يسترني". وقال أبو بكر الصديق: "لو لم أجد للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره عليه".

ودعي عثمان في ولايته إلى قوم على أمر قبيح فراح إليهم فلم يصادفهم، ورأى أمراً قبيحاً فحمد الله إذ لم يصادفهم وأعتق رقبة.

والناظر المنصف إلى الحدود الشرعية يجد أنها لا تقام على يد كل أحد وإنما تقام على يد ولي أمر المسلمين أو من ينيبه عنه.

والناظر إلى الحدود الشرعية يرى أنه راعت المصلحة العامة والمصلحة الخاصة،

فمن المصلحة العامة أن يبقى دين المسلمين محفوفاً بالهيبة والتقدير، فأما إذا صار ظرفاً للتجربة واللعب، فيخرج منه من أقر به كيف شاء ومتى شاء؛ لغدا ألعوبة لكل لاعب يريد القضاء عليه من الداخل فذهبت هيبته من النفوس.

قال تعالى عن منافقي أهل الكتاب: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:٧٢-٧٣].

---

(١) رواه أبو داود والنسائي والحاكم، وهو حسن.

ومن مصلحة الفرد المعتدي إذا كان مسلماً أن يقام عليه الحد ليكون كفارة لذنبه، وحينما يحضر إلى القضاء سيرد الحقوق إلى أهلها وسيوعظ وينصح ويكون ذلك عوناً له على التوبة ولزوم الطاعة حتى إذا رجع إلى المجتمع -إن كان حده القطع أو الضرب- عاد إنساناً صالحاً، وقد وجد ذلك عمن أقيم عليه الحد. وإن كان حده القتل لقي الله تعالى بعد توبة ورجوع إلى الله تعالى فكان حسن خاتمة. فالحدود زواجر وجوابر.

قال رسول الله ص: (تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وأن شاء عفا عنه)[١].

ومن مصلحة الفرد المعتدى عليه وذويه: أن يقتص لهم ممن ظلمهم وتعدى على حقوقهم؛ لكي ينسوا ألم المظلمة، فكيف يرحم القاتل -عند الكارهين للحد- ولا يرحم المقتول الذي غيِّب عن الحياة وفقده أهله وأحبابه؟!

ومن مصلحة المجتمع أن يبقى في منأى عن الخوف على دينه ونفوس أهله وأعراضهم وأموالهم وعقولهم؛ لأن هذه الكليات الخمس إذا تعرضت للخوف شقيت الحياة وشقي أهلها.

أيها المسلمون، يمكن تقسيم العقوبات الحدية على أهلها إلى ثلاثة أقسام رئيسة،

(١) رواه البخاري.

وهي أولاً العقوبة بالجلد، وهذه العقوبة تشمل ثلاثة حدود: حد السكر، وحد القذف، وحد الزاني البكر

فأما حد السكر فإنه يكون في حق من اعتدى على نعمة العقل بالتغييب بأي نوع من أنواع المسكرات المشروبة أو المأكولة أو المشمومة أو غير ذلك؛ لأنه جناية على العقل الذي يعقل الإنسان عن القبائح في حق نفسه أو حق غيره.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾[المائدة:٩٠-٩١].

وقد جعل الشرع الحد فيه ثمانين جلدة، وهذا قول الجمهور من العلماء، وقيل حده أربعون وما بين الأربعين والثمانين تعزير.

ومن حرص الشارع على درأ هذا الحد عن الشارب أنه لا يثبت الحكم بالحد إلا بعد ثبوته بالبينة وهي شهادة مسلمين عدلين، أو بإقراره على نفسه بتناوله المسكر، فإن رجع عن إقراره دفع عنه الحد.

ثم إن الحد لا يقام إلا إذا كان الشارب مسلماً عاقلاً بالغاً مختاراً، فلا حد على كافر ومجنون وصغير ومكره.

عباد الله، الحد الثاني مما تكون عقوبته بالجلد: حد القذف، ومعنى القذف الرمي

لإنسان ذكرا كان أو أنثى بالزنا.

وقد جعل الإسلام في هذا الأمر الحد بالجلد ثمانين جلدة؛ حفظاً لأعراض المسلمين، وإبعاداً لتدنيس شرفهم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[النور:٤].

ومن حرص الشارع على التحري في الحدود أن القاذف لا يقام عليه هذا الحد إلا إذا كان عاقلاً بالغاً مختاراً، وقد قَذف بالزنا بصريح العبارة، وطالب المقذوف بإقامة الحد على من قذفه، وأن يكون المقذوف مسلماً بالغاً عاقلاً عفيفاً، سواء كان رجلاً أم امرأة.

أيها المسلمون، ومن الحدود التي تكون العقوبة عليها بالجلد: حد الزاني البكر ذكراً كان أو أنثى. فالأصل في الفروج التحريم إلا بزواج أو ملك يمين، وهذا هو السبيل الآمن لقضاء الوطر الفطري، بنظر الدين والعقل والصحة والحفاظ على المجتمع والكائن البشري.

قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٣٢].

فمن خرج عن هذا الإطار النظيف المطمئن فقد أوجب الشرع عليه الحد.

فمن كان بكراً -رجلاً أو امرأة- فحده مائة جلده. قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النور:٢].

ومن حرص الشارع الحكيم العدل الرحيم أنه لم يشرع إقامة هذا الحد إلا إذا كان الزاني بالغاً عاقلاً مختاراً عالماً بالتحريم. ولا يثبت هذا الحد إلا بإقرار الزاني على نفسه بأنه زنى وهو في كامل قواه العقلية، أو بالبينة وهي أن يشهد أربعة شهود عدول بأن يصفوا الفعل وصفاً دقيقاً بأن رأوا الفرج في الفرج. وهذه البينة الشديدة بهذا العدد وبهذه الكيفية الدقيقة التي يندر حصولها -لأن الزنا يعتمد على الستر والاختفاء- تدل أيضاً على تشوف الشارع إلى الستر ودرأ الحدود؛ ولذلك حتى لو اجتمع ثلاثة عدول ودينهم وعلمهم كالجبال ولا يوجد لهم رابع فإنه يقام عليهم حد القذف. فانظروا إلى هذا الحرص يا من تطعنون في حدود الله!

أيها المسلمون، ثانياً العقوبة بالقطع، وهذا العقوبة تتناول حداً واحداً هو حد السرقة.

فالمال -كما يقال- عصب الحياة وتتعلق به أغلب مصالح الحياة، وميل النفوس إليه ميل كبير، والتنازل عنه ليس سهلاً عليها، ثم إن تحصيله ليس بالأمر اليسير لكل الناس.، وليس في قدرة الإنسان أن يبقى مع ماله كله دائما؛ لهذا جعل الشرع حد السرقة رادعاً عن الصيالة على الأموال المعصومة. وذلك بقطع العضو الفاسد الذي تعدى على أموال غيره.

قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[المائدة:٣٨].

ومن حرص الشارع على درء الحدود أنه لا يقام على السارق هذا الحد إلا

بشروط، وهي أن يكون السارق بالغاً عاقلاً مختاراً، وأن لا يكون في المال شبهة ملك كالأخذ من مال الزوج أو الزوجة أو من مال الوالدين أو مال الأولاد، وأن يكون المال المسروق نصاباً، ومحروزاً في حرز مثله.

ثم إنه لا يثبت الحد إلا بالإقرار، أو ثبوت البينة وهي شهادة شاهدين عدلين.

أيها الأخوة الفضلاء، النوع الثالث من عقوبات الحدود الشرعية هو العقوبة بالقتل، وهذا يتناول حد الردة، وحد القتل، وحد زنا المحصن، وحد الحرابة.

فأما حد الردة، فهو حد يكون في حق من رجع إلى الكفر بعد الإسلام إما بالقول وإما بالفعل وإما بالاعتقاد، وهذا الفعل ذنب عظيم وتبديل لنعمة الله تعالى بعد حصولها.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة:٢١٧].

عن عكرمة أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حرق قوما فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لأن النبي ص قال: (لا تعذبوا بعذاب الله). ولقتلتهم كما قال النبي ص: (من بدل دينة فاقتلوه)[١].

ومن حرص الشارع على درء الحدود: أنه لا يقام هذا الحد إلا على من كان بالغاً عاقلاً مختاراً عالماً مدركاً ما يقول، بعد الاستتابة وثبوت الردة بالإقرار أو البينة.

وأما حد القتل، فهو عقوبة بالقصاص مماثلة للفعل على من أزال أغلى ما يملكه

(١) رواه البخاري.

المسلم بعد دينه، وهي حياته التي يستعين بها على العمل الصالح ورعاية أهله وأولاده ونفع نفسه وغيره، فالجناية عليها بالإزهاق جرم كبير يخرب العالم ويوصله إلى الفناء. فجاء العدل الرباني بإزالة هذه النفس المعتدية على المقتول بالإفناء وعلى غيره بالتخويف والوعيد، لتلقى هذه النفس المجرمة المصير نفسه، وتشرب من الكأس المر نفسه الذي سقته غيرها؛ لتستمر حياة الآخرين بأمان واستقرار.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٧٨-١٧٩].

ومن حرص الإسلام على درء الحد عن القاتل أنه لا يقام عليه هذا الحد إلا إذا كان عاقلاً بالغاً عامداً قاصداً، وأن لا يكون المقتول كافراً، وأن لا يكون القاتل أباً للمقتول

وأما حد زنا المحصن، وهو الذي قد تمت عليه النعمة بالزواج، فإنه يكون بالرجم حتى الموت، كما فعل رسول الله ص بماعز والغامدية وغيرهما.

عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله، فقام خصمه فقال: صدق، اقض بيننا بكتاب الله فقال الأعرابي: إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته، فقالوا لي: على ابنك الرجم ففديت ابني منه بمائة من الغنم ووليدة، ثم سألت أهل العلم فقالوا: إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام فقال النبي ص: (لأقضين بينكما بكتاب الله: أما الوليدة والغنم فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، وأما أنت يا أنيس –لرجل كان عنده– فاغدُ

على امرأة هذا فارجمها، فغدا عليها أنيس فرجمها)[١].

ومن حرص الشارع على درء هذا الحد أن لا يقام على صاحبه ذكراً أو أنثى إلا بشروط، كما تقدم ذكرها في حد الزاني البكر.

وأما حد الحرابة، فإن الحرابة تعني الخروج مجاهرة لأخذ مال أو إخافة سبيل اعتماداً على القوة، وقد يكون فيها قتل. فهي إذن جريمة تشتمل على عدة جرائم شخصية ومجتمعية؛ ولذلك غلّبت عقوبة فاعليها.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة:٣٣].

ومن حرص الشارع على درء الحد هنا: أنه لا حد على مجنون وصغير ومكره، ولا على من تاب قبل القدرة عليه. قال تعالى: بعد الآية السابقة: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[المائدة:٣٤].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

(١) متفق عليه.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

أيها المسلمون، أرأيتم كيف تصير المجتمعات لو طبقت فيها الحدود الشرعية؟ إنه تصير ناعمة بالأمن والاستقرار والنمو والإنتاج.

ولكن انظروا إلى المجتمعات اليوم كيف تموج فيها الجريمة!

لقد تجرأ أراذل من الناس على الردة علناً ودعوا الناس إليها، حيث طعنوا في الدين، وشتموا سيد المرسلين، وسخروا من القرآن الكريم، حتى ارتقوا لسب رب العالمين، ولاقوا التشجيع الإعلامي والمالي، فما لهؤلاء من رادع إلا تطبيق حد الله في رقابهم، إذا لم يتوبوا ويرعووا.

وجريمة القتل العمد العدوان امتد نطاقها وصارت حديث الناس فلا نسمع إلا قتل فلان وقتل فلان وفي مكان كذا قتل كذا، ولم يقبض على القتلة، بل غدوا يسرحون ويمرحون مستمرين في عدوانهم على النفوس المعصومة!

وهكذا في جرائم الزنا والسرقة والسكر وقطع الطريق، فقد غدت هذه الجرائم ظواهر في المجتمع ولم تعد حالات نادرة.

فكيف نريد أن تصلح المجتمعات–يا عباد الله– وحدود الله معطلة؟! إما بدافع الخوف من الغرب، وإما بالتساهل والتعاون مع أصحاب تلك الجرائم، وإما لأسباب

أخرى.

إن المصائب التي تعانيها مجتمعاتنا الإسلامية لن ترفع عنه إلا إذا عدنا إلى دين الله تعالى، ومن ذلك تطبيق الحدود الشرعية؛ لأن إقامتها تجلب النعم وتدفع النقم.

قال رسول الله ص: (حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا)(١).

قال ابن كثير رحمه الله: " والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطي المحرمات، وإذا تركت المعاصي كان سبباً في حصول البركات من السماء والأرض؛ ولهذا إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية -وهو تركها- فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج، قيل للأرض: أخرجي بركتك، فيأكل من الرمانة الفئام من الناس ويستظلون بقحفها، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس، وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة محمد ص، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير؛ ولهذا ثبت في الصحيح أن الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب".

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

(١) رواه ابن ماجه والنسائي، وهو حسن.

الذنوب: أسبابها وآثارها(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

صح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: أقبل علينا رسول الله ص فقال: (يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في١٨/٥/١٤٣٢هـ، ٢٢/٤/٢٠١١م.

أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)[1].

عباد الله، إنه لا يخفى عليكم ما تمر به البلاد الإسلامية-ومنها بلادنا- من أزمات متلاحقة في مجالات متعددة: أزمات روحية وتربوية وسياسية واقتصادية وأمنية.

إنها فتن تتبعها فتن، لا تذهب أولاها حتى تدركها أخراها، وكثير من الناس ينظرون إلى هذه المصائب نظرية دنيوية مجردة. لكن المؤمن الواعي ينظر إلى هذه الأحداث المؤلمة ويسبر غورها بمنظار آخر يكشف الحقيقة كاملة من غير غبش ولا خطأ فيرى أن السبب لكل هذه النكبات على المسلمين هو سبب واحد تتفرع عنه أسباب أخرى هذا السبب هو عصيان الخالق وتنحية شريعته عن الواقع.

أيها المسلمون، إن الذنوب عوامل هدم للنفوس وللمجتمعات؛ لأنها جحود للمنعم وإعراض عن دينه الذي أمر عباده أن يعبدوه به ليسعدوا في الدنيا والآخرة.

وهي تخريب للدنيا وتخريب للآخرة، فما عمرت الدنيا والآخرة بمثل الطاعة، ولا خربتا بمثل المعصية.

---

(١) رواه ابن ماجه والبيهقي والبزار، وهو صحيح.

فما الذي أغرق قوم نوح وقوم فرعون، وما الذي أهلك عاداً وثمود، وغيرهم من الأمم المكذبة إلا عصيان الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[الشورى:٣٠].

ذنوب أتيناها فحل عقابها... ومن يزرع الأشواك بادره الشوك

إن هذه الأزمات التي تتجذر وتمتد في العالم الإسلامي اليوم إنما هي تأديب للمعرضين، وتنبيه للغافلين وتمحيص لصفوف المسلمين، واستنهاض ودعوة للعودة إلى رب العالمين.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم:٤١].

فرب جرح كان سبب شفاء، وفزعٍ صار سبب يقظة واستعداد.

قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦].

إن الأمة اليوم شعوباً وحكومات ما زالت في واد سحيق ونوم عميق، فلتترك نفسها تجرب سلوك جميع الطرق التي تظن أنها ستخرجها من منحدراتها البعيدة.

لتجرب التقاتل فيما بينها، وستعلم في النهاية أن هذا مسلك غير سالك.

ولتجرب ولاءها لأعدائها وسرعة الاستجابة لمطالبه المشؤومة، وستعرف في آخر أمرها أنها أخطأت السبيل.

ولتجرب رقودها وعدم يقظتها لمعالجة جروحها بنفسها، وبناء حاضرها ومستقبلها، وسترى بعد ذلك أنها لم تفعل شيئاً.

إنها ستعلم أخيراً بعد هذه التجارب التي خاضتها وما زالت تخوضها أن عزها وتقدمها وسعادتها ونجاتها إنما هو بطاعة ربها، والأخذ بدينه الحق في جميع مجالات الحياة.

أيها المسلمون، معنا هذا اليوم نور من مشكاة المصطفى عليه الصلاة والسلام، يجلي لنا خطر الذنوب وأثرها في فساد الفرد والمجتمع. فقد ذكر لنا عليه الصلاة والسلام في الحديث الماضي خمساً من كبائر الذنوب التي إذا حلت بين قوم نزل عليهم بسببها البلاء والشقاء.

ولعظم خطر هذه الذنوب وآثارها أعاذ رسول الله أصحابه منها.

أولى هذه الكبائر: المجاهرة بالفاحشة، والفاحشة كل ما اشتد قبحه من قول أو فعل، وأكثر ما تطلق على الزنا.

قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٣٢].

إن هذه الجريمة الشنيعة تهدم عز الإيمان، وتخرب بيوت العفاف، وتخزي أُسر الكرامة لو حصلت، وتقضي على الأجيال النظيفة، وتفسد الأخلاق الفاضلة، وتجتث

عروق القيم النبيلة وتؤذن بدمار المجتمعات والأمم.

وفي هذا الحديث لم يقل رسول الله ص: لم تفعل الفاحشة، لأن أي مجتمع يوجد فيه عصاة ومعاص، وإنما قال: لم تظهر في قوم حتى يعلنوا بها.

إذن القضية لم تقف عند حد الاقتراف، بل تجاوزت ذلك إلى المجاهرة والفخر والإعلان المفضي إلى الاستهانة أو الاستحلال وتشجيع الآخرين.

وهذه هي الكارثة التي تجلب العقوبة المذكورة في الحديث (لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا). والمعنى: انتشرت فيهم الأمراض العامة الفتاكة المميتة التي لم تعرف في الناس من قبل، وما أمراض الإيدز وأمثاله إلا نماذج من ذلك.

والعاصم من هذه الكبيرة التي تنتج هذه العقوبة أن يراقب الإنسان ربه ويكفي نفسه بالحلال، وعلى الحكومة المسلمة حراسة الأعراض بمنع أسبابها، وإقامة الحدود الشرعية على المقترفين.

عباد الله، وثانية هذه الكبائر: التعامل بالحرام في البيع والشراء. قال عليه الصلاة والسلام: (ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم).

إن البيع والشراء إذا دخل فيه الخداع والتدليس وأصبح الناس يتعاملون بالحرام وغابت الأمانة والصدق عن الأسواق حلت عقوبات منها:

الأولى: أن يصير الناس في جدب وشدة حاجة ومضائق مالية وأزمات اقتصادية.

والثانية: حكم الحكام بينهم بالظلم والعسف وبذلك تخرب البلدان وتتدهور مصالح الشعوب.

ورفع هاتين العقوبتين مرهون بأداء الأمانة والتعامل بالصدق والمراقبة لله تعالى.

قال رسول الله ص: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)(١).

أيها الأحبة، وثالثة هذه الكبائر: منع الزكاة، منعاً كلياً أو التحيل في أدائها. قال عليه الصلاة والسلام: (ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا).

إن المسلم الموقن بخبر الله ووعده يعلم أن الزكاة ليست خسارة، بل هي نماء وبركة في المال وحارس أمين له من الجوائح المالية المهلكة.

قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٧٢].

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)(٢).

فمن منع الزكاة الواجبة أو تحيل في إخراجها إنما يجني على نفسه وعلى ماله بالإثم والمحق والذهاب، والحكومة المسلمة التي لا تقوم بهذا الواجب والمجتمع الساكت

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

عن النهي عن هذا المنكر يشارك المانع للزكاة في العقوبة المذكورة.

إن هناك نقصاناً كبيراً في الأمطار ومن أسباب ذلك هذه المعصية، ولكن الله يرحم البهائم التي لم تذنب فينزل شيئاً من الغيث رحمة بها.

أفليس من الخزي والخطيئة على الإنسان أن تكون البهائم سبباً لنزول الغيث والإنسان يكون سبباً لحبسه عن الأرض.

عباد الله، ورابعة هذه الكبائر: نقض عهد الله وعهد رسوله عليه الصلاة والسلام، الذين يعني ترك القيام بأمر الدين؛ لأن الأوامر والنواهي هي عهود في ذمم الخلق.

فإذا أسرفت الأمة على نفسها بالمعاصي وتركت الواجبات الشرعية فقد فتحت لعدوها باباً يلج إليها منه فيفسد عليها دينها ودنياها.

فلقد سعى أعداء الإسلام في تشويهه والطعن فيه وصد الناس عنه، حتى أصغى إليهم بعض المسلمين فأخذوا بعض أفكارهم فضلوا وأضلوا. وفي جانب الدنيا أصبح أمر المسلمين بيد غيرهم حتى ثرواتهم غدت منهوبة من أراضيهم إلى أعدائهم، عليهم الغرم ولعدوهم الغنم. وهذه عقوبة الإعراض عن العمل بالإسلام دين العز. فما يجري هو مصداق هذه الجملة النبوية: (ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم)

وكيف ترجو الأمة النصر والتمكين وهذه الحال هي الغالبة عليها؟!

أيها المسلمون، وخامسة هذه الكبائر: الإعراض عن تحكيم الشريعة الإسلامية.

إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٩].

وقال عن أهل الكتاب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[المائدة:٦٦].

لقد أمر الله تعالى بتحكيم شريعته لأنه أمر بذلك، ولأن شريعته معصومة لا يشوبها خلل، ولأنها شريعة مستقيمة لا تخالف العقول السليمة ولا النفوس الصالحة، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة:٥٠].

وما أصدق ما أخبر به رسول الله في هذا الحديث على ما نعايشه في واقعنا (وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم).

إذن تغييب الشريعة الإسلامية عن الواقع سبب للاختلاف والتنازع، وحل هذه المعضلة هو العودة إلى تحكيم شريعة الله ونبذ كل ما يخالفها.

فهل من سمع يسمع فيعي فيعمل؟

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

أيها المسلمون، لعلنا عرفنا من خلال الحديث النبوي السابق أسباب البلاء والمصائب، وأن كثيراً من تلك الآثار التي تحدث عنها رسول الله ص لتلك الذنوب موجود في واقعنا.

فما الحل والعلاج يا عباد الله؟

إن الحل هو العودة إلى طاعة الله تعالى من الحكام والمحكومين حتى تنكشف الغمم وتعم النعم.

وإن التغيير المنشود في للواقع الكئيب لن يكون حتى يحصل تغيير داخل النفوس، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[الأنفال:٥٣-٥٤].

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[الرعد:١١].

وخذوها حكمة خالدة تالدة: إن صلاح أحوالنا بصلاح أعمالنا، واستقامة واقعنا باستقامة قلوبنا.

نسأل الله أن يرد الأمة المحمدية إليه رداً جميلا.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية...

في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ... ﴾ الآيات(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، إنه لا يخفى عليكم ما نعيش فيه من فتن متلاحقة، فتن داخلية وفتن خارجية، يبتلي الله بها عباده ليُعرف المؤمن الصادق من غيره، وصاحبُ الإيمان الصحيح من مدعيه؛ لأن أيام النعمة والسراء على المؤمنين يدخل فيها بين صفوفهم

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٧/١١/١٤٣٥هـ، ١٢/ ٩/ ٢٠١٤م.

من ليس منهم، فإذا جاءت الفتن والبلايا أخرجت الغبش وغربلت الصف فخرجت النخالة وبقي ما ينفع الناس، ذهب الخبث وبقي الذهب المصفى أكثر جلاء وصفاء. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾[الرعد:١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾[الحج:١١].

وفي غزوة أحد حينما حصل فيها ما حصل من الجروح والقروح أنزل الله تعالى آيات فيها بيان لبعض الحكم والدروس العميقة مما حدث، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[آل عمران: ١٣٩-١٤٢].

إنها آيات عظيمة الوقع تنزل على القلب المجروح كالبلسم الشافي والدواء الكافي الذي لا يحتاج بعده إلى غيره.

أيها المسلمون، إن الله يبتلي بعض عباده بالفتن والمحن جزاء ما اقترفوه من ذنوب ومخالفات، فتكون تلك المصائب تأديباً لهم؛ لكي تردهم إلى الله، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[الروم:٤١].

ومع هذا فإن بعض المسلمين لم يعرفوا هذه الحقيقة فازداد المعرض إعراضاً والمجرم إجراماً، وضعيف الإيمان ضعفاً إلى ضعفه، ولحقه من اليأس والتعلق بالبشر شيء كثير.

هناك من الناس لم يعرف أن ما يجري إنما هو نتيجة حتمية من نتائج المعاصي التي طغت وفشت، ومن أعظم تلك المعاصي: إقصاء الشريعة الإسلامية عن إدارة حياة المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)﴾[الأعراف:٩٦].

في ظل هذه الفتن التي يتسع مداها ويمتد أذاها ويطول عناء الناس فيها يُطلب من الجميع أن يشارك في حل الأزمة، ومن أعظم حلولها: أن يتوب كل إنسان إلى ربه تعالى من ذنوبه ويدعو الله بالفرج؛ فإن كل إنسان لو رجع إلى نفسه بهذا لحلت الأزمة.

أيها الأحبة الأفاضل، إن من الحلول العظيمة: أن نرجع إلى القرآن الكريم فنقرأه بعناية وتفكر، ونسعى إلى العمل به بعد ذلك في واقعنا الخاص والعام.

وسنقف-بعون الله تعالى- في هذه الجمعة مع قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

هذه الآيات الكريمات تبين للناس بعض صور الابتلاء والاختبار من الله تعالى لعباده المسلمين في أمور حياتهم الدنيوية، وتكشف لهم أن رحمة الله تجلّت في كون الابتلاء في أمر الدنيا لا في أمر الدين، وفي كونه جزئياً لا كلياً، تناول اليسير من حاجات الدنيا ولم يتناول الكثير منها.

وتوضح هذه الآيات العظيمة حال المفلحين عند هجوم هذه المصائب عليهم، وتذكر الجزاء الحسن الذي نالوه جراء مواقفهم الصحيحة عند المصائب والمحن.

عباد الله، يقول تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ... ﴾، جاءت هذه الجملة بعد أن قال تعالى للمسلمين قبلها: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾[البقرة١٥١-١٥٤]. ثم قال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾.

فبين تعالى أن الإيمان المجرد لا يكفي حتى يظهر ويثبت بحصول الابتلاء الذي يرسخ التصديق واليقين، ويرفع الدرجات ويكفر السيئات، ويقوي عود الإيمان بعد حصول الصبر على صور البلاء. وقد ابتلي الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون فما زادهم ذلك إلا ثباتاً إلى ثباتهم ورفعة عند الله وعند خلقه.

ثم يقول تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ ... ﴾، إن الله يبتلي عبده الصالح من المحن والمصائب بقدر إيمانه؛ ليحصل بذلك الغرض المقصود من الابتلاء. فلا يكون الابتلاء مُذهباً للإيمان، وقاضياً على الصلاح ولا على كل أسباب الحياة، بل ينزل من

ذلك قدراً محدوداً.

ولذلك قال تعالى هنا: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ...﴾ ولم يقل: (بخوف)، فهذا دواء من الله ينيله عبده بقدر دائه. أما العقوبة لمن حاد الله ورسوله فهي شديدة كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل:١١٢].

وفرق بين الإصابة بالخوف والجوع في هذه الآية وبين سابقتها.

أيها الفضلاء، ثم يقول تعالى: ﴿..بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ...﴾، هذه أول صورة من صور الابتلاء، وهي أن يذهب الله بعض الأمن فيعيش الناس في قلق واضطراب وهلع، فيكون بذلك ذهاب جزء من نعمة الأمن التي هي من أعظم النعم؛ ولذلك يقول تعالى ممتناً على قريش؛ ليدعوهم بذلك إلى الإسلام: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش].

إن الأمن نعمة عظيمة تستجلب بها خيرات الدين والدنيا، وبذلك ندرك السر في ابتداء الحديث عن نقيضها في هذه الآية، وبعض الناس قد لا يدركها إلا إذا ذهبت، فما أفسح الدنيا بالأمن وما أضيقها بالخوف! قال رسول الله ص: (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)[1].

ومن اهتمام الإسلام بهذه النعمة: أنه أمر بإقامة الحكم والعدل وشرع الحدود

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

لردع الجناة الذين يقلقون السكينة في المجتمع.

الصورة الثانية من صور الابتلاء في هذه الآيات: الابتلاء بالجوع فقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ... ﴾، إن الجوع عذاب على الأبدان يفقدها حيويتها ونشاطها، وقد يفقدها الحياة كلها؛ لأن الطعام والشراب قوام الحياة والحركة على هذه الدنيا. والابتلاء بالجوع له صور منها: انعدام الطعام والشراب وقد يكون ذلك بسبب الحروب أو ارتفاع الأسعار أو بانقطاع الغيث وحصول الجدب، أو بنزول جوائح على المأكل والمشرب. ومن صوره: قلته بسبب كثرة الآكلين وقلة المأكول الموجود، وبسبب ذهاب البركة.

ولأجل إذهاب هذه المصيبة أمر الإسلام بالاستقامة على الطاعة؛ لأنها سبب لحصول نعمة الطعام والشراب، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ٦٦ ﴾[المائدة:٦٦].

ولأجل إذهابها أيضاً: أمر بطلب الرزق ودفع الزكاة لأهلها وحث على الصدقات وإطعام الجائع، حتى ولو كان حيواناً.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم

أجراً فقال: نعم، في كل ذات كبد رطبة أجر)[1].

عباد الله، والصورة الثالثة من صور الابتلاء: نقصان الأموال، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ .. ﴾، فالمال -أياً كان نقدياً أو عينياً- دم الحياة التي تجري به خاصة في عصرنا هذا، فالابتلاء بنقصانه مصيبة كبيرة تعرض من أصيب بها إلى شدائد ومضايق كثيرة، تؤثر على دنيا المرء ودينه، قال لقمان لابنه: "يا بني، اطلب المال الحلال؛ فإنه ما افتقر أحد إلا أصيب بثلاث خلال: رقة في دينه، وضعف في عقله، واحتقار الناس له".

فالابتلاء بنقصان المال قد يكون بسبب الكوارث أو الحوداث المذهبة للمال من احتراق أو ضياع أو تعدٍّ عليه، أو بخسارة تجارية فادحة، أو بمعاملة محرمة كالربا والقمار والغش ونحو ذلك.

إن بعض الناس إذا أنعم الله عليه بالغنى نسي من أعطاه هذه النعمة فراح يزهو ويفخر، ويطغى في الأرض بها مرتكباً مساخط من أنعم عليه، محتقراً لمن لا يملك ما يملك، مع أنه قد يكون في ماضيه أشد بؤساً ممن يسخر به.

وحتى تحرس نعمة المال بلا ذهاب ولا نقصان: على المسلم أن يطلب المال من حله ويصرفه في حله، ويشكر الله على ما أنعم عليه، ويؤدي حق الله فيه ويحسن إلى الناس كما أحسن الله إليه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ

---

(١) متفق عليه.

﴿عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[إبراهيم:٧].

وقال رسول الله ص: (ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين)وفي رواية: (ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر)[١].

أيها المسلمون، الصورة الرابعة من صور الابتلاء: الابتلاء بنقص الأنفس، قال تعالى: ﴿.. وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ ..﴾، إن الإنسان يسعد في عيشه بين أحبابه وخلانه من أقارب وأصدقاء، ويرجو دوام الحياة بذلك، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، فقد تأتي المنية لتأخذ القريب والحبيب، إما بأمراض أو بحروب أو فجاءة من غير سبب ظاهر، فهذا نقصان الأنفس، والمؤمن أمام هذا الحادث القدري الذي لا يستطيع بذل سبب لمنعه لا يسعه إلا الصبر والاحتساب والرضا بقضاء الله وقدره.

قال رسول الله ص: (إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي، فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد)[٢].

الصورة الخامسة من صور الابتلاء في هذه الآيات: الابتلاء بنقص الثمرات، قال تعالى: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ..﴾، لقد جعل الله رزق الإنسان في هذه الدنيا من ثمرات الأرض من خضروات وفواكه وبقوليات تنبت على الأرض بماء

(١) رواه الطبراني والحاكم، وهو صحيح.

(٢) رواه الترمذي وابن حبان، وهو صحيح.

السماء، قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٢) ﴾[عبس:٢٤-٣٢].

وهذه نعمة عظيمة، غير أن هذه النعمة قد لا تدوم، فقد تنقص بقلة نتاجها أو بفسادها وعدم صلاحية الأرض لزراعتها أو بقلة توافر أسباب زراعتها، أو بعسر الحصول عليها، وارتفاع أثمانها، بسبب الحروب وغياب المشتقات النفطية كما هو حاصل في بلادنا هذه الفترة.

نسأل الله أن يديم علينا النعم، ويذهب عنا النقم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم الرحيم، العليم الحكيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، لقد بين الله تعالى الموقف الصحيح الذي يجب أن يقفه المسلم في هذه الابتلاءات والمصائب، هذا الموقف هو: طاعة الله تعالى، ومن صورها: التسليم لقضاء الله وقدره بالصبر على ما حصل، وليس معنى الصبر ترك السعي إلى فعل الأسباب المشروعة لإزالة الأزمة، وإنما معنى الصبر هو عدم الجزع والتسخط على قدر الله. وما أحسن الحث على الصبر في هذه الابتلاءات بهذه الجملة العظيمة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾، حيث تضمنت هذه الجملة الأمر بالصبر وزيادة بحصول البشارة للصابرين، ولم يذكر الله ما هي مفردات هذه البشارة؛ ليجعل العقل يذهب في تقديرها كل مذهب، فقد يكون التبشير لهم بحسن العوض وبحسن العاقبة، وكثرة الأجر، والسرور بلقاء الله يوم القيامة وقد صبروا على هذه المصائب. فكما أنه تعالى أبهم للتعظيم أجرهم في قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر:١٠]. أبهم بشارتهم هنا أيضاً.

ومن صور طاعة الله في الآيات الماضية عند المصائب السابقة: أن المؤمنين بعد صبرهم يسترجعون فيقولون في قلوبهم وألسنتهم: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي: نحن

مملوكون لله يتصرف فينا كيف يشاء وينزل بنا ما يريد فنحن عبيده وهو سيدنا العدل الرحيم. ونحن بالموت راجعون إليه وصائرون إلى ما أعد لعباده الصابرين على بلائه.

عباد الله، لقد ختم الله تعالى الآيات الكريمات بجوائز وعطايا لعباده الصابرين على هذه المحن فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾[البقرة:١٥٧].

إنه ثواب جزيل وجزاء عظيم من الرب الكريم، ثلاث هدايا تشرئب لها الأعناق، الأولى: الثناء عليهم من الله تعالى، وكفى بها عطية سنية، والثانية: رحمة الله بهم، والثالثة: الهداية والتوفيق لما ينفعهم، ومن ذلك: التوفيق للاسترجاع والصبر.

فيا أيها المسلمون، رجوعاً إلى الله تعالى، وتوبة صادقة بين يديه، وشكراً لنعمه على عبده، ومرابطةً على حصون الطاعة تسلم بذلك النعم وتحفظ، وتندفع النقم وتزول، فإذا حصل البلاء فصبراً جميلاً فما أقرب الفرج وأدنى المخرج!

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

السلام: فضائله وآدابه وأحكامه(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢].
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، إن دين الإسلام دين الخلق العظيم، والأدب الجمّ الكريم، يربط بين أفراده بروابط قويمة، ويدلهم على سبل الودِّ المستقيمة، ويسعى إلى تربية المسلم على التعايش الجماعي النظيف، والعيش السلمي الشريف. ويزرع في نفس المسلم حب إخوانه المسلمين والاقتراب منهم، ويقلع من داخله الحقد والبغضاء تجاههم.

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤٣٥/٤/٢١هـ، ٢٠١٤/٢/٢١م.

ألا وإن من تلك الآداب الإسلامية التي تحقق بعض هذه الغايات: أدب إفشاء السلام وإذاعته.

أيها المسلمون، لقد تعارف البشر على تحايا يحيي بعضهم بعضاً بها، ففي الجاهلية كان يقال: أنعم صباحاً، وأنعم مساء، ودمتم بخير، وغير ذلك من التحيات. وفي زماننا تردد عبارات: صباح الخير، ومساء الخير، ومشتقاتها. وهذه الألفاظ وإن كانت ألفاظ خيرٍ وسلامة، لكن الإسلام يختار لأهله أعلى الألفاظ وأجملها، وأحسن المعاني وأكملها. فقد اختار لهم هذه الجملة التامة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دخل عمير بن وهب الجمحي على النبي عليه الصلاة والسلام -قبل أن يسلم عمير- فقال: أنْعِمُوا صباحاً، فقال النبي ص: (قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة).

إن هذه التحية -يا عباد الله- هي تحية الله لعباده، وتحية الملائكة للمؤمنين، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أتى جبريل النبي ص فقال: (يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب).

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة: عن النبي ص قال: (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة

جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله).

والسلام تحية المؤمنين فيما بينهم في الحياة الدنيا وتحيتهم في الجنة.

قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾[الأحزاب:٤٤].

وقال: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾[يونس:١٠].

أيها المسلمون، إن هذه التحية الكريمة تحمل معها الحب والاطمئنان، والسلامة والأمان، والدعوة إلى السلام المجتمعي والتعايش السلمي وكف يد الأذى عن الناس من سفك للدماء وسطو على الحقوق؛ ولهذا كان من أسماء الله تعالى: السلام، ومعناه: الذي سلمت ذاته من العيب والنقصان، وسلمت أفعاله وصفاته من الشر والعبث، فسلم عباده من أن يظلمهم.

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ص: (إن السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض فأفشوه بينكم؛ فإن الرجل إذا سلم على القوم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة؛ لأنه ذكرهم، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب)[١].

هذه التحية -معشر المسلمين- عبادة من العبادات التي يؤجر عليها المسلم،فعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنهما قال: قال النبي ص: (إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم

(١) رواه البيهقي والبزار والبخاري في الأدب المفرد، وهو حسن. صح موقوفاً وصح مرفوعاً.

عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر)[١].

هذه العبادة تقرب المسلم إلى ربه، كما قال رسول الله ص: (إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام)[٢].

هذه العبادة تدعو إلى الألفة والمحبة، وتنزع من النفوس البغضاء والحقد، قال رسول الله ص: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟:أفشوا السلام بينكم)[٣].

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "ثلاث يصفين لك ودّ أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه".

ولهذا يشرع السلام على من يعرف المسلم وعلى من لا يعرف؛ حتى تسود المحبة والتقارب بين المسلمين جميعاً، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجلاً سأل رسول الله ص: أي الإسلام خير؟ قال: (تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[٤].

إن الأصل في المسلمين الاتفاق والاجتماع، فإذا حصل تشاجر وتهاجر بين المسلمين جاء السلام ليكون مفتاح الصفاء وباب عودة الإخاء، وعلامة نقاء السريرة،

(١) رواه الطبراني، وهو صحيح.

(٢) رواه أبو داود، وهو صحيح.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

وطرد الهجر والقطيعة.

قال رسول الله ص: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)[١].

السلام –أيها المسلمون- زيادة في الحسنات ورفع لدرجة الإيمان.

عن عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي ص فقال: (السلام عليكم فرد عليه ثم جلس، فقال النبي ص: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد فجلس، فقال: عشرون، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد فجلس فقال: ثلاثون)[٢].

قال عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار".

والسلام بركة وخير، وطرد للشياطين من البيوت إذا قيل عند دخولها.

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لي رسول الله ص: (يا بني، إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك)[٣].

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ص يقول: (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله

---

(١) رواه الترمذي والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي، وهو صحيح.

(٣) رواه الترمذي، وهو حسن.

عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء)[1].

أيها المسلمون، إن هذه الشعيرة الإسلامية الظاهرة لها آداب ينبغي أن يتحلى بها المسلم حتى يكتمل له الخير ويحوز على الفضل، فمن آدابها:

إتمامها وتكرارها إذا لم تُسمع الأولى أو الثانية منها. فعن أنس عن النبي ص (أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا)[2].

ومن الآداب: رفع الصوت بقدر ما يسمع المسلَّم عليه، ولا يرفع صوته رفعاً يؤذي السامع، فعن المقداد أن النبي عليه الصلاة والسلام(كان يجيء من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان)[3].

ومن الآداب كذلك: المبادرة بالسلام عند الملاقاة قبل أن يسلم الآخر؛ حرصاً على الخير وإدراكاً للفضل.

فعن الأغر المزني قال: انطلقت مع أبي بكر فكلما رأى أبا بكر رجلٌ من بعيد سلم عليه، فقال أبو بكر: أما ترى ما يصيب القوم عليك من الفضل، لا يسبقك إلى السلام أحد، فكنا إذا طلع الرجل بادرناه بالسلام قبل أن يسلم علينا.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

ومن الآداب أيضاً: أن يسلم القليل على الكثير، والراكب على الماشي، والصغير على الكبير.

قال رسول الله ص: (يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير)[١]. وفي رواية عند أحمد: (والصغير على الكبير).

وقال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم".

ومن الآداب: إلقاء السلام عند الاستئذان في دخول البيوت والاتصال بالآخرين عبر الهاتف.

عن ربعي بن حراش قال: حدثني رجل من بني عامر: (جاء إلى النبي ص فقال: أألج؟ فقال النبي ص للجارية: اخرجي فقولي له: قل: السلام عليكم أأدخل؟ فإنه لم يحسن الاستئذان، قال: فسمعتها قبل أن تخرج إلي الجارية فقلت: السلام عليكم أأدخل؟ فقال: وعليك ادخل)[٢].

أيها المسلمون، وبعد هذا لماذا نبخل بإلقاء هذه الكلمة الطيبة على إخواننا المسلمين، أليس هذا من غلظ الطبع وشراسة الخلق، وتنافر الوحدة المعنوية بين المسلمين، فماذا نخسر لو ألقينا هذه الجملة الناعمة هدية من هدايا القلب السليم واللسان النقي الكريم. أليس من البخل وسوء المعاملة المرور مشاة أو ركباناً بجانب

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

إخواننا المسلمين ولا نسلم عليهم؟!

قال رسول الله ص: (إن أبخل الناس من بخل بالسلام وأعجز الناس من عجز عن الدعاء)[١].

نسأل الله أن يجعلنا من الكرماء وأن لا يجعلنا من البخلاء.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه البيهقي وابن حبان، وهو صحيح.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على النبي المجتبى والرسول المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أما بعد:

أيها المسلمون، إن السلام عبادة من العبادات التي لها أحكامها الشرعية، ويجمل بالمسلم أن يعرفها؛ لأن السلام ليس شعيرة موسمية موقوتة، ولا شعيرة في مكان دون مكان، ولا شعيرة خاصة بقوم دون قوم، بل هي شعيرة دائمة، وشعيرة عامة، للرجال والنساء والأطفال؛ فلذلك كان التفقه فيها مما يعني كل مسلم ومسلمة.

ومن ذلك: أن السلام معناه إلقاء هذه الكلمة لفظاً وهو مستحب استحباباً كبيراً، فمن تركه لا إثم عليه، لكن فاته الفضل والأجر، وأما الرد على السلام فإنه واجب يأثم المسلم بتركه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[النساء:٨٦]. ويضاف إلى هذا أن الرد يكون بالمثل فأكثر لا بأقل لهذه الآية الكريمة.

وهذا الوجوب ليس عينياً، بل هو كفائي إذا كانوا جماعة، وأما إذا كان المسلَّم عليه وحده فهو وجوب عيني.

عباد الله، في بداية الإسلام كان يجوز أن يلقي المسلم السلام على المصلي فيرد عليه

المصلي وهو في صلاته بلفظه، فبقي ذلك زمناً ثم نسخ، فعن عن عبدالله بن مسعود قال: كنا نسلم على رسول الله ص وهو في الصلاة فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا فقلنا: يا رسول الله، كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا؟ فقال: (إن في الصلاة شغلا)(١).

وهذا الجواز كان عندما كان الكلام جائزاً في الصلاة، كما جاء في الصحيحين عن زيد بن أرقم قال: (كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾[البقرة:٢٣٨]. فأمرنا بالسكوت).

ولكن بعد هذا بقي أنه يجوز إلقاء السلام على المصلي لكن يرد المصلي بيده إشارةً لا بلفظه، كما في حديث بلال أن رسول الله فعل ذلك عندما سلم عليه بلال، وهذا يدل على أهمية السلام والحرص عليه،

عباد الله، ومن الأحكام أنه وردت أوقات نهي عن رد السلام فيها كحال الخطبة، فلو دخل مصل فرد عليك السلام وأنت في حالتك هذه فلا ترد عليه؛ لأنك أمرت في هذا الوقت بالإنصات. وكذلك لا ردَّ أيضاً حال قضاء الحاجة، فإذا قضى الإنسان حاجته رد على من سلم عليه، فعن أبي الجهيم قال: أقبل النبي ص من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد عليه النبي ص، حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه

---

(١) متفق عليه.

ويديه ثم رد عليه السلام)[١].

وكما يكون السلام مشافهة يكون كذلك كتابة، ويكون إهداء شفوياً كما تقدم في قصة جبريل وإهداء السلام لخديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وكما يجوز على الأحياء يجوز على الأموات، فعن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ص يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: (في رواية أبي بكر)السلام على أهل الديار (وفي رواية زهير)السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية)[٢].

فيا أيها المسلمون، هذه شعيرة السلام التي أنعم الله بها علينا، فلنحيها في المجتمع على من عرفنا ومن لم نعرف، ونعلمها نساءنا وأطفالنا بأقوالنا وأفعالنا معهم. وأن نجعلها على ألسنتنا عند دخولنا وخروجنا من بيوتنا ومجالسنا وأعمالنا، وأن تكون كذلك في اتصالاتنا ومراسلاتنا وأن لا نبدلها بغيرها، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾[البقرة:٦١].

هذا وصلوا وسلموا على خير الأنبياء....

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

الصراع بين الحق والباطل، سنة كونية (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن لله تعالى سنناً في خلقه لا بد أن تجري وتتم، ومن تلك السنن الثابتة التي لا تتبدل: سنة الصراع بين الحق والباطل. فالباطل لا يحب أن يترك الحق في أمان حتى يكون معه على باطله، قال تعالى: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ

---

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، في ٢٢/١٢/١٤٣٢هـ، ١٨/١١/٢٠١١م.

دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾[البقرة:٢١٧].

ولا يمكن أن يرضى الباطل عن الحق حتى يلحق بسوئه، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾[البقرة:١٢٠].

فمن قبل دعوة الباطل من أهل الحق فإنها الخسارة والخزي، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة:٢١٧].

فما هو الحق ومن أهله، وما هو الباطل ومن أصحابه وممثلوه عباد الله؟

إن الحق هو الإسلام والطاعة والسنة والخير، وأهله هم الأنبياء والرسل وأتباعهم المقتدون بهم.

والباطل هو الكفر والمعصية والبدعة والشر، وأهله هم إبليس وأتباعه وجنده من الكفرة والفسقة والعصاة والمبتدعة، وأصحاب الشبهات والشهوات.

أيها المسلمون، إن تاريخ الصراع بين الحق والباطل تاريخ طويل قد بدأ في السماء قبل الهبوط إلى الأرض، فقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وأمر الملائكة بالسجود له وكان من ضمن الحاضرين إبليس فأبى السجود لآدم حسداً وبغياً.

فصدر الحكم الإلهي بالطرد من رحمة الله تعالى للشيطان، فابتدأت المعركة والصراع، فأمر الله تعالى آدم عليه السلام بالعيش في الجنة وأن لا يأكل من شجرة

معينة، وبدافع العداوة وسوس الشيطان لآدم أن يأكل من تلك الشجرة فأكل منها ناسياً نهي ربه فعاتبه ربه فاستغفر وأناب فغفر له، فجاء بعد ذلك الأمر بالهبوط إلى الأرض لتبدأ المعركة الطويلة بين الحق والباطل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ، قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ، وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ، فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ، قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[الأعراف:١١-٢٥].

أيها المسلمون، إن الحق وأهله يحبون أن يعيش الناس في أمان وسلام مبنيين على الاستسلام لشرع الله ودينه. لكن أهل الباطل لا يريدون لهم ذلك؛ ولهذا شبوا نار العداوة والحرب للحق وأهله لعدة أسباب:

أولاها: الحسد، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[البقرة:١٠٩].

وقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[النساء:٥٤].

يذكر أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل: "ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف: أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه".

ثانيها: العصبية للدين الباطل أو للجنس أو للعرق، قال تعالى: ﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:٧٣].

ثالثها: الخوف على ذهاب الجاه والمنصب الحاصلين في ظل الباطل

فعن سعد قال: كنا مع النبي ص ستة نفر فقال المشركون للنبي ص: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست

أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ص ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنعام:٥٢].

رابعها: التقليد للآباء والقادة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٧٠].

أيها المسلمون، إن أهل الباطل يواجهون أهل الحق في معركة الصراع المحتدم مواجهة شرسة مستخدمين في ذلك وسائل متعددة؛ لعلهم أن يضيفوا أهل الحق إلى صفهم، أو أن يتخلصوا منهم إذا لم يستجيبوا لدعوتهم؛ ولذلك نجدهم يستخدمون في البداية الإغراء والترغيب، فقد عرضت قريش على رسول الله ص الجاه والمال والزواج والطب فأبى ذلك كله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا، وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا، إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[الإسراء:٧٣-٧٥].

ثم يترقون بعد ذلك إلى الحرب الاقتصادية وتجفيف منابع المال والفصل من الوظائف، ثم الحرب الاجتماعية المتمثلة بالتشويه وبث الدعايات الكاذبة والسخرية والتحقير؛ من أجل صد أهل الحق عنه وتحذير الناس من اتباعهم وتكثير سوادهم.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا، وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا، وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا، انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[الفرقان:٤-٩].

ثم يترقون بعد ذلك إلى التهديد، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[يس:١٨].

ثم يترقون بعد ذلك إلى النفي والإبعاد، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾[الأعراف:٨٨].

ثم يترقون بعد ذلك إلى القتل والتصفية. كما حصل لبعض أنبياء بني إسرائيل، ولغيرهم من أهل الحق في كل زمان ومكان. وأساليب الماضي هي أساليب الحاضر مع التحديث والترقية.

عباد الله، إن الباطل لن يكف عن مواصلة المعركة ومعاداة الحق وأهله، فما موقف أهل الحق في تجاه هذه الحرب الشعواء المستمرة؟

قبل ذكر هذا الموقف لابد أن نعترف بكل أسى بحقيقتين مُرّتين، الأولى: هي أن

أهل الباطل أشد حرصاً على باطلهم والدفاع عنه والتضحية من أجله وتسخير جميع الجهود في نشره وتقوية عوده من كثير من أهل الحق في كل المجالات المتاحة لهم.

وهناك فتور وتقاعس عند كثير من أهل الحق تجاه الحق الذي يحملونه، فأين الجد والعمل وأين التضحية والبذل، إن الإنسان ليعجب عندما يشاهد امرأة نصرانية خرجت من قمة الحضارة الغربية والحياة المترفة الناعمة لتعيش سنوات طويلة في أدغال أفريقيا بين المرض والجوع والجو المختلف عن البيئة التي تعودتها!

وبعض أهل الحق لا يستطيع أن يضحي بساعات أو أيام من وقته من أجل نصرة الحق الذي يحمله.

وأما الثانية: فهي أن كثيراً من أهل الحق فرقتهم الحزبيات والانتماءات الضيقة التي جعلتهم يدورون في فلكها ويظنون أنها هي الحق وحدها وتركوا جوانب الحق الأخرى، بل تعدى الأمر إلى الصراع والقضاء على أعمال الآخرين العاملين في حقل الحق، ففي الوقت الذي يجتمع فيه أهل الباطل على اختلاف مشاربهم الدينية والفكرية نجد أن أهل الحق يصارع بعضهم بعضا!

ومع ذلك لابد من عمل يشترك فيه جميع أهل الحق على اختلاف توجهاتهم؛ لكي تتحد الجهود في مواجهة الباطل وأهله. فمن ذلك:

التحرك بالعمل الجاد النافع من أجل نصرة الحق في كل ظرف ووسيلة ممكنة، وعدم ترك الميدان للباطل وأهله.

ومن ذلك: تركُ الغفلةِ عن أهل الباطل، والفقهُ بواقع العدو، ومعرفة تخطيطه وتدبيره؛ لكي تقدر المواجهة على حسب ذلك.

فليس أخو الحاجات من بات نائماً... ولكن أخوها من يبيت على وجل

ومن ذلك: الاطمئنان للحق الذي يحمله أهله ويدافعون عنه؛ لأن من كان على صدق ويقين جازم بما يحمل سيدافع عن الحق بكل ما يستطيع.

ومن ذلك أيضاً: اليقن بوعد الله تعالى من نصرة الحق وأهله إذا بذلوا ما يستطيعون، فالله سينجز لهم وعده بالنصر والغلبة على الباطل وأهله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[النور:٥٥].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن هذا الصراع الجاري بين الحق والباطل له حكمته وغايته الحميدة؛ إذ به يظهر الحق ويتضح، فلولا الباطل لما عرف الحق، كما أن النهار لا يعرف إلا بالليل، وبوجود هذا الصراع يقوى عود الحق ويصلب كالشجرة التي لا تبسق إلا بعد تقليم وتهذيب.

وبوجود هذا الصراع يمحص صف أهل الحق ويخلص من الزائفين والمتبعين غير المخلصين، فيبقى صف أهل الحق كالذهب الخالص. قال تعالى معلقاً على ما حدث في غزوة أحد: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ، أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٠-١٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[محمد:٣١].

أيها الأحباب الفضلاء، لاشك أن معركة الصراع بين الحق والباطل ستصير إلى أمد تنتهي إليه وعاقبة تصل إليها في النهاية.

فهذه النهاية سوف تحسر عن نصر الحق وهزيمة الباطل؛ لأن الباطل مكتوب له الزهوق والاضمحلال مهما علا وطال قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[الإسراء:٨١].

وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء:١٨].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (دخل النبي ص مكة وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[الإسراء:٨١]. ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[سبأ:٤٩][(١)].

ويومئذ يفرح أهل الحق بالنصر المؤزر قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[الصف:٨-٩].

ثم ينتقل أهل الحق بعد ذلك من دار العمل إلى دار الثواب والنعيم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً

(١) متفق عليه.

وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[الرعد:٢٢-٢٤].

وأما أهل الباطل فينتهون إلى الهلاك والهزيمة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ، فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:٤٤-٤٥].

وقد ينتهي أمرهم بالاستئصال والعذاب المتنوع، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٠].

ثم يؤول آخر أمرهم إلى دار الهوان والعذاب، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ، قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[الزمر:٧١-٧٢].

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تلبسه علينا فنضل، وثبتنا على الحق حتى نلقاك به يا رب العالمين.

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

العيش في ظلال العدل(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، يقول الله تعالى:﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[النحل:٦٠].

والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى الذي لا نقص فيه ولا عيب. فربنا تبارك وتعالى له الأوصاف التي بلغت في الحسن الغاية، وفي الكمال النهاية، ومن أعظم صفاته تعالى: صفة العدل وعدم الجور. فالعدل وصفه، والعدل أمره، والعدل فعله، والعدل قضاؤه وقدره

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٤/٣/١٤٣٣هـ، ٢٧/١/٢٠١٢م.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾[الأنفال:٥١].
وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[يونس:٤٤].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النحل:٩٠].

عباد الله، إن من تأمل في ملكوت السماوات والأرض ورأى اتساق العوالم وانتظامها على اختلافها أبصر. شيئاً من عدل الخالق جل جلاله. يرى العدل في قضائه وقدره في الحسنة والسيئة والنعمة والنقمة، والمنحة والمحنة والصحة والمرض، والغنى والفقر والموت والحياة. ولا يعقل ذلك إلا أهل الإيمان والعلم واليقين. ولقصر. نظر الإنسان وفهمه وعلمه يتسخط الأقدار المؤلمة، ولا ينظر إلى أعماله السيئة، ولا إلى حكمة الحكيم الخبير فيما قضى. وقدر، ولو كان يعلم علم اليقين ما وراء هذه الآلام والمصائب من الخير لشكر الله عليها.

ولذلك حينما يدعو المكروب والمحزون يعترف وهذه حاله أن الله عدل فيما قضى عليه، فعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ص قال: (ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللّٰهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحا قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات قال: أجل، ينبغي لمن

سمعهن أن يتعلمهن)[١].

ونشاهد عدل الله تعالى بجلاء في هذه الشريعة السمحة الغراء التي رضيها الله لعباده، فهي عدل في مبادئها وتشريعاتها، تراعي حق الروح كما تراعي حق البدن، وتراعي حق الدين وحق الدنيا، وتنتظر بالعناية إلى حق النفس كما تنظر إلى حق غيرها عليها. شريعة معتدلة أتت لجلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[الحج:٧٨].

ومن تلك التشريعات التي يبدو عدل الله فيها ماثلاً: تشريع الحدود على الجناة والمعتدين على الحقوق المعصومة. كحد القصاص وحد السرقة وحد السكر وحد الزنا وغيرها.

فإنها راعت حق المعتدى عليه ظلماً وعدواناً بإيجاب الأخذ بحقه ممن ظلمه أو ظلم المجتمع، كما راعت حق المعتدي أيضاً فأوجبت حداً يناسب جنايته وحرمت الإسراف بعد ذلك فيها.

ليكون العدل واضح المعالم في إيجاب الحد وفي إقامته أيضاً.

فالقتل عمداً شرع الله فيه القصاص –إذا لم يكن هنا عفو ولا رضا بالدية– زجراً وتطهيراً للقاتل، وردعاً لغيره؛ ليعيش المجتمع في أمان وسلام. فمن رضي من الأولياء بالدية فحرم عليه بعد ذلك التعدي على القاتل المعطي للدية، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ [البقرة:١٧٨].

فإن أبى الأولياء إلا القصاص اقتص من القاتل دون غيره، ومن غير تمثيل أو زيادة على القتل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ [الإسراء:٣٣]. وهكذا بقية الحدود.

أمة الإسلام، إن النفوس السليمة التي لم تدنس بالظلم والعدوان تتوق إلى الاستظلال تحت مظلة العدل الوارفة التي تجد فيها الطمأنينة والسكينة، والبناء والحركة النافعة، وتحقق مصالح الدنيا والدين. أما النفوس التي رضعت لبان الظلم والخطيئة، وترعرعت في كنف السطو والتعدي، وشابت في تناول الحرام والجريمة، وعشقت الحياة على ضفاف مواجع الناس وآهاتهم فلا يطيب لها العيش تحت راية العدل، ولا تحب الحياة في دولة العدل، وإنما تطلب زوال العدل ومجيء الظلم والجبروت؛ كي تستطيع تحقيق مآربها غير السوية، مع أنه قد تجد من العيش الهنيء في ظل العدل ما لا تجد في ظل الظلم، ولكن الناس فيما يعشقون مذاهب، ومن تعود حياة الهوان لم تطب له حياة العز.

عباد الله، إن الإنسان مطالب بالعدل ابتداء مع نفسه بإقامتها في زحمة الحياة على الوسط والاعتدال، فمن عدله معها: أن يحملها على فعل ما ينفعها في الدنيا والآخرة،

ويجنبها ما يضرها فيهما. وأن لا يرضى من أقواله وأفعاله في الناس ما لا يرضاه لنفسه منهم.

والإنسان مطالب بالعدل كذلك مع غيره من الناس، فإذا كان من أهل التعدد في الزواج فليعدل بين زوجاته، ويكون ذلك في المبيت ليلاً أو نهاراً، وفي الغذاء والكساء والدواء ونحو ذلك. وهذه الأحوال في قدرة الإنسان أن يعدل فيها. أما فيما لا قدرة له فيه فليس مطالباً بالعدل فيه كالميل القلبي والمعاشرة في الفراش.

وهذا المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾[النساء:١٢٩].

فإن خاف الجور فليكتفِ بواحدة. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾[النساء:٣].

وترك العدل بين الزوجات فيه خطر على الزوج في الآخرة كما جاء عن رسول الله ص أنه قال: (من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط)(١).

ومن مجالات العدل: أن يعدل بين أولاده-إن كان له أولاد- في العطايا والمعاملة

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

والميل الظاهر، مع مراعاة الضعيف والمحتاج. فكما يحب أن يكونوا له في البر سواء فلتكن معاملته لهم سواء.

فعن النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: أعطاني أبي عطية فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ص، فأتى رسول الله ص فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله قال: (أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟). قال: لا، قال: (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم). قال: فرجع فرد عطيته)(١).

ومن مجالات العدل: العدل في الحكم على الآخرين والقول فيهم، في ذواتهم أو صفاتهم أو ما صدر عنهم. لقد رسم الله تعالى لعباده في هذه القضية المنهج العدل الذي لا يتبنى الظلم ولا الانتصار للنفس أو الاستجابة لدواعي الحقد والشحناء، أو الحكم بالمذمة على العموم، بل تنزل الأحكام العادلة على أهلها بقدر العدل. فليس من العدل أن تؤاخذ الجماعة أو الطائفة أو الفئة بجريرة بعض أفرادها ما لم يكن ذلك منهجاً عاماً فيها.

واسمعوا ماذا قال تعالى في أهل الكتاب: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[آل عمران:٧٥].

(١) متفق عليه.

وقـــال: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾[آل عمران:١١٣-١١٤].

حتى ولو كان المقول فيه عدواً أو خصماً فلا تحمل خصومته على ظلمه؛ فقد قال تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾[المائدة:٨].

وقال تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام وهو يحكم في أهل الكتاب: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾[المائدة:٤٢].

بعث النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن رواحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى خيبر ليخرص النخل ويأخذ حق المسلمين ويعطي اليهود حقهم فخرص لهم، فقال: في ذا كذا وفي ذا كذا، ثم قال: ما تمنعني عداوتكم أن أعدل معكم، فقالوا: هذا الحق، وبه تقوم السماء والأرض، قد رضينا.

ومن مجالات العدل: العدل في الشهادة، إذ مطلوب من الشاهد أن يشهد بالعدل، ولا يمنعه من ذلك رغبة في مال غنيٍّ أو منفعة ذي جاه، أو رحمة بفقير أو محبة لذي قربى، أو عداوة أو خصومة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ

﴿أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾[النساء:١٣٥].

عباد الله، إن من مجالات العدل العظيمة: العدل في الإصلاح بين الناس، وفي القضاء وحكم الرعية.

فالمصلح بين الناس يجب عليه أن يتحرى العدل في صلحه ولا يميل عنه لرغبة أو لرهبة. قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾[الحجرات:٩].

والقاضي عليه واجب عظيم في لزوم العدل والحكم به، وإلا سفكت الدماء ونهبت الأموال وانتهكت الأعراض، وذهبت الحقوق وتفشت المشكلات والجرائم، فمن قضى بالعدل فقد نجى نفسه، ومن حكم بالجور فقد أهلكها.

قال النبي ﷺ: (القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار)(١).

وما أحوج الناس اليوم إلى قضاة عادلين يقولون الحق وبه يقضون لا يخافون في الله لومة لائم.

وأما عدل الحاكم بين رعيته فهو أمانة كبرى ومهمة عظمى، يجب عليه بثه بين

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

رعيته بحيث ينظر في قضايا الرعيةويحاسب الجناة والمفسدين، فيجري فيهم حكم العدل بلا محابة قريبٍ أو صديق أو مهيب، فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم رسول الله ص ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ص، فكلم رسول الله ص فقال: (أتشفع في حد من حدود الله). ثم قام فخطب قال (يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)[١].

عباد الله، إن من خُدع هذا العصر. المتلون أن نرى شعارات ونسمع عن منظمات وجمعيات وهيئات باسم العدل، وهي تجتهد وتسعى بل تؤسس لنصرة الظالم على المظلوم، وخاصة في قضايا المسلمين، فأين العدل منها؟!

إن العدل في عصرنا يعاني مشكلة الذوبان والخفوت يوماً بعد يوم، والظلم لا يزال في ازدياد واتساع، وهذا التمدد والفشو للجور مقدمة من مقدمات الساعة.

قال رسول الله ص: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يُبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا)[٢].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

وقال رسول الله ص: (و الله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية...)[1].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه مسلم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن العدل نعمة تجلب لأهلها الخير الكثير، ففي ظلال العدل ترفرف أعلام الأمن والاستقرار، وتذهب الفتن والاضطرابات، ويسود الإخاء والاجتماع، ويرحل التفرق والشتات.

وفي ظلال الأمن يجد كل إنسان حقه غير منقوص ولا مظلوم، وحينما يسود العدل ينقمع الظلم والفساد، ويضيق نطاق الجريمة والفوضى، ويخسأ المجرمون والمفسدون وينزوون إلى ضيق أنفسهم مقموعين.

وفي ظلال العدل تبقى الدول، وتثبت أركانها، ويرسخ بنيانها، ويمتد ازدهارها، وإن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، كما قيل.

أما الحاكم العادل فإنه يعيش في سعادة وأمان، يدعو له شعبه بصدق وإخلاص ويرجون بقاءه وحياته، وإذا انتقل إلى الآخرة -وكان من المؤمنين- فإلى خير منتقل، وحسن منقلب، وأكرم مآل.

قال رسول الله ص: (سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل...)(١).

---

(١) متفق عليه.

هذا وصلوا وسلموا على النبي الأمين...

الكسب المشروع والكسب غير المشروع وآثار كل منهما(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله تعالى خلق عباده على هذه الأرض ليعبدوه وحده لا شريك له، ولا بقاء لهم في هذه الأرض إلا برزق يعيشون به،

---

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في١٧/٦/١٤٣٢هـ،٢٠/٥/٢٠١١م.

فسخر لهم أسباب رزقهم: فسماء تمطر وأرض تنبت، وعقول تفكر وجوارح تسعى وتكتسب.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧)﴾[الذاريات:٥٦-٥٧].

وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)﴾[الجاثية:١٣].

وقال رسول الله ص: (يا أيها الناس، اتقوا الله وأجملوا في الطلب؛ فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم)(١).

عباد الله، إن الرزق بالمال قدرٌ مكتوب يُنال بالسعي إليه وسلوك سبله، قال تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥)﴾[مريم:٢٥].

ونفس الإنسان ميالة إلى المال؛ لأن حياة الإنسان قائمة عليه، وعزه وكرامته باستغنائه عن أموال الناس. وبالمال أيضاً: العون على صلاح الدين والتقرب إلى الله تعالى بأعمال صالحة عظيمة، فمنه النفقة على النفس والوالدين والزوجات والأولاد والأقارب والإحسان إلى الفقراء والأيتام وأصحاب الحاجات، قال رسول الله ص:

---

(١) رواه ابن ماجه واللفظ له والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(النبي ص: (إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة)(١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ص يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:٩٢].قام أبو طلحة إلى رسول الله ص فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:٩٢] وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله، حيث أراك الله قال: فقال رسول الله ص: (بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين)فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. (٢).

وقال رسول الله ص: (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه)(٣).

عباد الله، إن دين الإسلام دين الوسطية والاعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط. ففي موضوع اكتساب المال انتشر في العلم المعاصر نظريتان: النظرية الاشتراكية التي تحرم الفرد الملكية الخاصة أو تضيق نطاقها المباح له. وهذه النظرية قد اندثر كثير من معالمها

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

والعمل بها بعد التسعينيات من القرن الماضي؛ لأن عوامل هدمها في داخلها؛ لمخالفتها العقل والواقع والشرع، ففيها ظلم لأصحاب الجهد، وتعويد للمجتمع على الكسل والاتكال على جهود الآخرين.

والنظرية الأخرى هي النظرية الرأسمالية وهي التي تطلق العنان للإنسان أن يأخذ المال من أي طريق، والغاية تبرر الوسيلة لديها، وليس فيها للفقراء والمساكين فيه حظ معلوم. وهذه النظرية هي الأكثر شيوعاً في العالم، وفيها إجحاف بحق الفقراء، وتزرع في قلوبهم الحقد على الأغنياء الذين يزدادون كل يوم غنى وربما من عرق الفقراء، والفقراء كل يوم يزدادون فقراً إلى فقرهم.

لكن الإسلام له نظرته العادلة التي لا تنسى الفقير ولا تظلم الغني. حيث أباح للإنسان حق التملك وتحصيل ما يصل إليه جهده من المال، ولكن بالضوابط الشرعية التي تراعي حقوق الشرع وحقوق الفرد وحقوق المجتمع. فلم يبح له اكتساب المال من الوسائل المحرمة التي يعود ضررها على دينه ودنياه وعلى الناس، بل أمره بتحري المال الذي يطلبه، والابتعاد عن الحرام الصِّرف أو حتى الذي فيه شبهة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾[البقرة:١٧٢].

وعن أنس بن مالك أن النبي ص وجد تمرة مسقوطة فقال: (لولا أن تكون من

الصدقة لأكلتها)(١). لأنه عليه الصلاة والسلام لا تحل له الصدقة.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فأعطاني بذلك، فهذا منه. فأدخل أبو بكر يده فقاءَ كلَّ شيء في بطنه)(٢).

أيها المسلمون، إن الله تعالى كما أمر باكتساب المال وأخذه من الحلال نهى كذلك عن تناوله من الحرام، بأي وسيلة كانت. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨ ﴾[البقرة:١٨٨].

وهناك صور متنوعة لتناول المال من الحرام، فمنها: التعامل بالربا بطرقه القديمة والحديثة، وهذه الصورة هي التي عم بلاؤها وطم في مجتمعاتنا اليوم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ٢٧٩ ﴾[البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

ومنها: الرشوة، وهذه الصورة التي ضيعت على الناس كثيراً من الحقوق، وزادت الظالم بغياً والمظلوم قهراً، قال رسوله الله ص: (لعن الله الراشي والمرتشي في)(٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه أحمد والترمذي والطبراني، وهو صحيح.

ومنها: التطفيف في الكيل والوزن وخداع المشتري وغشه، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾[المطففين:١-٦].

وقال رسول الله ص: (ومن غشنا فليس منا)(١).

ومنها أكل أموال اليتامى ظلماً، وهذا الفعل عاقبته وخيمة، فال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾[النساء:١٠].

ومنها: السرقة والسلب والنهب والخيانة، وهذه الجرائم المالية تفشو عندما لا يطبق شرع الله في حق أهل الجريمة، وهناك صور أخرى لأخذ المال من الحرام.

أيها الأحبة الفضلاء، لقد حرص الإسلام على حث المسلم على اكتساب المال من الحلال وتحذيره من الحرام. فمن سلك سبل الاكتساب الطيب تنامَ ماله ونجا من الآفات المالية والأزمات الاقتصادية، إذا أتم ذلك بأداء حق الله وحق خلقه من ذلك المال.

لقد دُلَّ المسلم على سبل صالحة تزيد من ماله وتحفظه عليه من الكوارث والجوائح وتحرسه من الآفات التي تذهبه أو تنقصه، فبعد قيام المسلم بالنفقات الواجبة على النفس والزوجات والوالدين والأولاد ومن ولِّي عليه- فُتح له أبواب صالحة تباركُ ماله-منها الواجب ومنها المستحب-، فمن ذلك: دفع الزكاة المفروضة، وما

(١) رواه مسلم.

سميت زكاة إلا لأنها تزكي المال أي: تنميه وتزيده، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[سبأ:٣٩].

ومنها: الصدقة المستحبة في سبل الخير، ويدخل ذلك تفريج كربات المكروبين وقضاء الدين عن المدينين، قال رسول الله ص: (ما نقصت صدقة من مال)(١).

ومنها: صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب، قال رسول الله ص: (من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه)(٢).

ومنها: الاقتصاد وترك الإسراف والتبذير، وهذا من صفات عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[الفرقان:٦٧].

أيها المسلمون، إن المال الحلال وأكل الطيبات دليل على شرف النفوس وعزتها، وهو سبب للبركة في الجسم والعمر والمال والأهل والأولاد، وهو سبب لطيب أفعال صاحبه وتحسين أخلاقه ومعاملاته، وهو بوابة لدخول واحات الراحة والاطمئنان والعيش الهنيء، وسبب لمحبة الناس لصاحبه واحترامه وائتمانه والثقة به وسلامة سمعته بينهم.

إن الكسب الطيب وإنفاقه في الوجوه الطيبة نجاة في الدنيا والآخرة، قال رسول

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

الله ص: (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة عند ربه حتى يسأل عن خمس: عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم)(١).

معشر المسلمين، هناك نفوس لا تتحاشى تناول المال من الحرام، بل صارت تعاف الحلال ولا تلتذ إلا بأكل الحرام، وهي تظن أن ذلك يجلب لها المال والسعادة، والحقيقة عكس ذلك، فكسب المال من الحرام وإنفاقه فيه هلاك في الدنيا وفي الآخرة.

فالكسب الحرام يبعد صاحبه عن الله تعالى ويقربه من مقته وغضبه، ويجعله محط الذم بين الناس الطيبين.

والكسب الحرام يحبط الأعمال ويهلك الأموال ويحجب عن صاحبه باب الدعاء والرحمة.

قال رسول الله ص: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾[المؤمنون:٥١] ثم ذكر رسول الله ص الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومأكله حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك)(٢).

والكسب الحرام يضر بدن صاحبه ويسبب البلاء فيه وفي أهله وأولاده، فكم نسمع من أمراض قاتلة نزلت على ذلك البيت أو تلك الأسرة التي تتعامل بالمال الحرام.

---

(١) رواه الترمذي والطبراني، وهو صحيح.

(٢) رواه مسلم.

والكسب الحرام يورث صاحبه الهموم والقلق والحياة التعيسة والأمراض النفسية.

والكسب الحرام سبب لسوء الخاتمة.

والكسب الحرام سبب لتعسير الحساب واستحقاق العذاب وذهاب الحسنات يوم القيامة.

قال رسول الله ص: (أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، أو سفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته -قبل أن يقضى ما عليه- أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)(١).

فيا خسارة متناولي الحرام والمنفقين أموالهم في الحرام، فهل من متعظ قبل الفوات؟

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) رواه مسلم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

أيها المسلمون، لقد أخبر رسول الله ص عن زمان يقل تحري المال الحلال فيه، وهذا يدل على فساد ذلك الزمان، وها نحن نجد بعض ملامح ذلك الزمان في أيامنا هذه. قال رسول الله ص: (يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام)(١).

كم هم اليوم الذين يتحرون في مكاسبهم ويخافون من مكاسب الحرام؟

وكم هم اليوم الذين يخلصون في أعمالهم ووظائفهم بقوة وأمانة في أدائها لينالوا الراتب الحلال؟

وكم هم الذين يجدون البركة في مكاسبهم وأثرها في بيوتهم وأهليهم؟

عباد الله، هناك مشكلات كبيرة تحدث في المجتمعات سببها قلة مراقبة الله في المكاسب وتصريف الأموال في غير موضعها. فكم هي الفجوات والنزاعات التي تحصل بين الشعوب والحكام، وبين الشعوب فيما بينها، ومن أسبابها العظيمة: الخيانات المالية.

---

(١) رواه البخاري.

إن من المشكلات الممتدة التي تعانيها بلادنا: النزاع على الأراضي التي يسطو عليها من لا يخاف الله تعالى ولا يبالي باكتساب الحرام، مغتراً بسلطته أو قوته أو قبيلته أو أتباعه، ناسياً العواقب الوخيمة لسلبه حقوق غيره.

إننا نسمع ما يجري من القتل وشدة الاختلاف والشجار في الأراضي، ولو كان هناك مراقبة لله تعالى في قضية الكسب والتملك لما حصل ما حصل.

ألا فليعلم ذلك الظالم الآخذ أرض غيره إما بقوة وإما بحيلة أن ذلك لا يفوت عند الحكم العدل سبحانه وتعالى، ولو قضى له به قضاة الدنيا.

قال رسول الله ص: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة، قالوا: وإن كان شيئا يسيراً يا رسول الله، فقال: وإن كان قضيباً من أراك)(١).

وعن وائل بن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي ص فقال الحضرمي: يا رسول الله، إن هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي، فقال الكندي: هي أرضي في يدي أزرعها ليس له فيها حق، فقال النبي ص للحضرمي: (ألك بينة)؟ قال: لا، قال: (فلك يمينه)قال: يا رسول الله، إن الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه وليس يتورع عن شيء، فقال: (ليس لك منه إلا يمينه)فانطلق ليحلف فقال رسول الله ص لما أدبر: (لئن حلف على مال ليأكله ظلماً ليلقين الله وهو

(١) رواه مسلم.

عنه معرض)[1].

وعن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال: (إنما أنا بشر. وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها)[2].

ألا فاتقوا الله -يا عباد الله- فيما تأكلون وتشربون وتلبسون وتسكنون وتركبون، فمن لم يجد فليصبر وليتعفف؛ فالصبر على القلة خير من الصبر على الذلة، والصبر على الجوع خير من الصبر على النار.

كانت زوجة صالحة تقول لزوجها عندما يخرج إلى عمله: "اتق الله فينا؛ فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار".

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ركب رسول الله ﷺ حماراً وأردفني خلفه وقال: (يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: تعفف يا أبا ذر)[3].

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار...

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

المرأة ما لَها وما عليها(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن الله تعالى خلق الخلق وسوّاهم وصورهم وأحسن صورهم، وأعطى كل شيء خلقه ثم هداه لِما له خُلق، فتبارك الله أحسن الخالقين.

---

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في جمادى الآخرة، ١٤٣٣هـ، ١١/٥/٢٠١٢م.

يخلق ما يشاء على الكيفية التي يشاء، ويقدر ما يشاء وهو الحكيم الخبير. لقد خلق الله تعالى من يسكن هذه الأرض ويعمرها فخلق آدم عليه السلام في السماء، وخلق له من يأنس به ويسكن إليه ويحيا معه فخلق له زوجه حواء من ضلعه الأيسر.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١].

ثم أُهبطا إلى الأرض فابتدأ تاريخ البشرية بالتناسل فخلق الله من آدم وحواء عليهما السلام الأمم والشعوب، ليستمر النهر الدفاق بالتوالد إلى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات:١٣].

أيها المسلمون، إن الحياة لا تقوم إلا بالرجل والمرأة، فهما شريكا بنائها وركنا قيامها. فللرجل مهمات وأعمال تناسب فطرته وخلقته، وللمرأة أعمال ومهمات تناسب جبلّتها واستعدادها الفطري وبذلك تصلح الحياة وتستقيم.

لقد فطر الله تعالى المرأة على طبائع وصفات تلائم مهمتها الاجتماعية والتربوية، فخلق فيها قوة العاطفة والرقة، واللين والضعف المحمود؛ ولذلك أصبحت هي بسمة المجتمع وشمسه المشرقة في ظلام الحياة الأسرية، وفجره الساطع الذي تختفي ببزوغه الأحزان لتسدل على البيت الراحة والسعادة، وعلى النفس الانشراحَ والسرور، وكيف لبيت أن يسعد من غير امرأة؟!

وأصبحت المرأة الروض الأنيق الذي يزدان بالروائح العطرة والمناظر النضرة، فيكسو الحياة جمالاً وبهاء وطمأنينة وهناء، فهي بهجة من بهجات الدنيا ونسيم فواح من نسائمها الساحرة.

قال رسول الله ص: (حبب إلي من دنياكم: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة)(١).

والمرأة كذلك هي العش الآمن الذي تنشأ فيه الأجيال وتتربى، والمنبت الخصب الذي ينبت فيه العطاء الطيب الذي ينفع المجتمع.

والمرأة ضعيفة الفطرة، لكنها عظيمة القدرة، سريعة التأثر غير أنها شديدة التأثير قد تغلب أصحاب العقول الكبيرة بحسن تأتيها وإتقانها فن الجذب، وليس بقوة قدرتها.

قال رسول الله ص: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن)(٢).

ولقد أحسن جرير حينما قال:

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله أركانا

وأحسن كذلك ذلك الأعرابي حين قال:

---

(١) رواه أحمد والنسائي، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

هـي الضِّـلَع العوجـاء لسـتَ تقيمهـا ألا إنّ تقــويم الضــلوع انكســارها

أتجمـع ضـعفاً واقتـداراً عـلى الفتـى ألـبس عجيبـاً ضـعفها واقتـدارها!!

أيها المسلمون، ولضعف المرأة الطبعي وقوة الرجل الخلقية أُهينت المرأة وظلمت وتسلط عليها الرجل بالقسر والعسف فغدت ذليلة منكسرة، ليس لها حق ولا أمر، تُباع وتشترى وليس لها أهلية ولا تصرف، هكذا كانت المرأة في الجاهلية عند العرب وعند الأمم الأخرى. بل اعتقد بعض أهل الحضارات السابقة أنها مصدر للخطيئة وحليفة للشيطان!.

ففي الجاهلية كانت المرأة عند العرب -في بعض أحوالها- تعيش حياة الذل والهوان، فكانت بعض القبائل تئدها وهي صغيرة، وقد تُكره بعض الإماء على الفاحشة والبغاء من أجل التكسب.

وفي الجاهلية أيضاً كانت المرأة إذا مات زوجها جاز لابنه من ضرتها أن يرثها كمالٍ من الأموال، بل جوزوا له أن يتزوجها، وهذا نكاح المقت الذي قال الله فيه: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ٢٢ ﴾[النساء:٢٢].

ولم يكن لها في تلك الفترة ميراث من زوجها أو أبيها أو أقاربها إذا ماتوا.

ومع هذا الظلم لها في تلك الحقبة المظلمة إلا أننا نرى جانباً إيجابياً كانت تناله وهو أنها حصن منيع يغار قريبها عليها غيرة شديدة قد تتجاوز الحدود المعقولة حتى كانت تلك الحمية من أسباب الوأد؛ خوف السبي والعار.

عباد الله، في عصرنا الحاضر هبّت على المسلمين ريح عاصف من قبل أعداء الفضيلة تريد أن تجتث عروق الحشمة والحياء وتدخل البيوت بسَمومها لتخرج منها الأخلاق الفاضلة وبيضات الخدور المصونة لتعرضها على الملاء. فاتخذوا المرأة وسيلة لتحقيق تلك المآرب الآثمة مستغلين ضعفها وفيضان عواطفها ومحبتها للثناء عليها وحرصها أن تكون هي الأجمل ومحط الإطراء والثناء.

وصدق شوقي يوم قال:

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

لقد أراد أولئك العابثون اللاهون أن يبعثوا هوان المرأة -الذي دفنه الإسلام- ليعيدوه إلى الحياة من جديد بثوب عصري جذاب ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب. مروجين تلك الدعوة الخادعة في عباءة الحرية واسترداد الحقوق المسلوبة!- زعموا.

نظروا إلى المجتمع المسلم-وهو يتمتع باحترام المرأة والحفاظ عليها-فغاظهم ذلك عندما قارنوه بمجتمعهم المتخم بالانحلال الخلقي والتمزق الأسري، والانهيار الصحي بسبب الانحراف الجنسي ووسائله.

وحين أضحت المرأة لديهم سلعة رخيصة تُستغل في أغراض الزينة والإعلان والخدمة بأنواعها، فإذا ما قضوا منها أوطارهم نبذوها في الطرقات نبذ الحذاء المتهالك ولو كانت أماً!.

وعندما وجدوا المجتمع المسلم آنذاك بعيداً عن هذا العقوق والجور عزموا وعملوا ونجحوا في تسويق هذه الحياة عندهم إلى بعض المجتمعات المسلمة لإفساد المرأة؛ لأنهم يعلمون أثرها الفعال داخل البيت وخارجه.

يقول أحدهم: " يجب علينا أن نكسب المرأة، فأي يوم مدت إلينا يدها فُزنا بها وتبدد جيش المنتصرين للدين".

نعم، لقد استطاع أعداء الإسلام وأصدقاء الرذيلة أن يكسبوا المرأة البعيدة عن تعاليم دينها بعدة شعارات خادعة ومسميات زائفة، وأقاموا لذلك المؤسسات والجمعيات والأحزاب والبعثات والمؤتمرات والمنتديات واللقاءات وغيرها لترويج قضية تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في جميع الميادين. وعملوا لذلك عبر وسائل الإعلام، وميدان العمل والوظيفة، وميدان التعليم والسياسة. فاستجاب لهم من استجاب من النساء فخسرن خسراناً مبيناً.

عباد الله، إن بعض الغربيين قد استفاق من سكرته وضرر دعوته بعدما رأوا ضحاياها على المجتمع والأسرة كثيرة. يقول أحدهم: "يجب أن تبقى المرأة امرأة؛ فإنها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها، وأن تهبها لغيرها، فلنصلح حال النساء، ولنحذر من قلبهن رجالاً؛ لأن ذلك يفقدهن خيراً كثيراً".

وقالت طبيبة أمريكية: "أيما امرأة قالت: أنا واثقة من نفسي. وخرجت دون رقيب أو حسيب فهي تقتل نفسها وعفتها".

أيها المسلمون، إن وجود المستجيبات لتلك الدعوات من بين المسلمات لأمرٌ

عجيب؛ لأن الإسلام رفع شأن المرأة وأنصفها إنصافاً لا يوجد في غيره كما أنصف الرجل كذلك. فالمرأة في الإسلام إنسان كريم له مشاعره وعواطفه وميوله وحاجاته، وعنده القدرة على القيام بأعمال كثيرة تنا سب فطرته وخلقته. فالمرأة قرينة الرجل في بناء الحياة وصنع سعادتها، ووراء كل عظيم امرأة.

والمرأة قرينة الرجل في التكليف الشرعي، بل قد تكلف قبله، فهي مكلفة كما هو مكلف بالأوامر والنواهي.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)﴾[آل عمران:١٩٥].

وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾[الأحزاب:٣٥].

إن المرأة في الإسلام محترمة في أي جهة كانت، فهي أم يجب برها والإحسان إليها والرحمة بها، ورعايتها في صحتها وضعفها.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)﴾

[الإسراء:٢٣].

وهي زوجة يجب إعطاؤها حقوقها من مهر ونفقة وصيانة وإعفاف وحسن عشرة. قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[النساء:١٩].

قال رسول الله ص: (استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خُلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء)[1].

والمرأة في الإسلام هي البنت التي يجب تربيتها ورعايتها والإحسان إليها، قال رسول الله ص: (ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة)[2].والمرأة في الإسلام هي الأخت نسباً أو ديناً يجب الحفاظ عليها والدفاع عنها والإحسان إليها.

فلها الحق أن تحيا كريمة كأخيها الرجل، ولها الحق أن تكتسب المال وتمتلكه عن طريق الإرث أو النفقة عليها أو المهر أو العمل المباح لها.

ولها الحق أن تتصرف في مالها الخاص في الأشياء المباحة، ولها الحق في التعليم المناسب لفطرتها البعيد عن المحظورات الشرعية. ولها الحق في اختيار من تريد الزواج به، إذا كان ذا خلق ودين إذا تقدم لخطبتها ولا يجوز إكراهها على من لا ترغب فيه.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أن جارية بكراً أتت النبي ص فذكرت له أن أباها

(١) متفق عليه.

(٢) رواه ابن ماجه وابن حبان، وهو حسن.

زوجها وهي كارهة، فخيرها النبي ص)[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: (لا تنكح الأيّم حتى تُستأمر، ولا تنكح البكر حتى تُستأذن، قالوا: يا رسول الله: وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت)[٢].

عباد الله، إن للمرأة شأناً عظيماً في الحياة؛ فلهذا اعتنى الإسلام بإصلاحها وتقويمها؛ لأن بصلاحها صلاح المجتمع واستقامته، وبفسادها فساده.

إنما المرأة مرآة بها كل ما تنظر منك ولك
فهي شيطان إذا أفسدتها وإذا أصلحتها فهي مَلك

ومن مظاهر العناية: دعوته لحسن الاختيار في الخطبة، حيث دعا لاختيار الزوجة الصالحة واختيار الزوج الصالح؛ لأن بصلاحهما صلاح الأسرة. والأم عامل مؤثر فصلاحها صلاح لذريتها الذين يتربون بين يديها.

ومن مظاهر العناية: حثه على التربية الصالحة للبنات مع الأبناء أيضاً منذ الصغر، قال رسول الله ص: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع)[٣].

ولأجل إصلاحها جعل الولاية للرجل عليها؛ حفاظاً وحماية وتزويجاً؛ لأنه أقدر على هذه المهمة منها. وهذه هي القوامة القائمة على العدل والرفق.

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وهو صحيح.

قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ..﴾[النساء:٣٤].

هكذا تحيا المرأة تحت ظلال الإسلام الوارفة عزيزة كريمة مصونة، فإذا فارقت دوحته السعيدة فشمس العناء والشقاء تنتظرها في كل طريق.

أيها المسلمون، نعم، هناك ناس ظلموا بعض نسائهم فحرموهن حقوقهن المشروعة في الشرع، وهؤلاء يمثلون أنفسهم ولا يمثلون الإسلام.

فمن هنا ندعو إلى تحرير المرأة من هذه المظالم التي جناها عليها أولئك الظالمون وخالفوا بها دين الله الذي أمرهم بأداء الحقوق لأهلها كحق الميراث الشرعي وغيره.

فليتق الله أولئك الظالمون قبل أن ينزل عليهم غضب الله وبأسه الشديد.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدّر فهدى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل دعوة ظالمة للمرأة؛ لأن الإسلام إنما دعا إلى العدل بينهما؛ لوجود الفوارق الخلقية والوظيفية بينهما، وبسلوك طريق العدل يسعد الرجل والمرأة معاً، فليست العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تصادمية، كما يصور الخادعون للمرأة، بل هي علاقة تكاملية كل يحتاج إلى الآخر ولا تتم الحياة إلا به.

فحينما ذكرنا أن للمرأة حقوقاً يجب أن تؤدى لها، فكذلك عليها واجبات يجب أيضاً أن تقوم بها. فالمرأة مكلفة من عند الله تعالى بعبادته لها الثواب إن أحسنت وتستحق العقاب إن أساءت، مثل الرجل في ذلك. وعليها أيضاً بر والديها، وإن كانت متزوجة وجب عليها أداء حقوق زوجها من طاعة في المعروف وعشرة حسنة وحفظ لماله ولنفسها عليه.

وإن كان لها أولاد فمسؤوليتها تربيتهم والعناية بهم. وعليها أن تحرس نفسها بعفافها وحيائها وحجابها الساتر، وأن تحذر تلك الدعوات التي تريد أن تخرجها من حصنها الأمين لتكون دمية تلعب بها النفوس الآثمة، وتتمتع بالنظر إليها العيون الخائنة، فهي في بيتها ومأمنها ملكة الجلال والدلال والجمال.

أيها المسلمون، إن المسلمة إذا تربت على تعاليم دينها الحنيف ولزمت الحياء

والحشمة والصيانة، أثمر فعلها الجميل سعادة لها ولأسرتها، وحفظاً لها ورفعة لذويها.

وقد أحسن حافظ إبراهيم حينما نصح قائلاً:

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيّب الأعراقِ
الأم روضٌ إن تعهّدهُ الحيا ... بالريّ، أورقَ إيّما إبراق
الأمُّ أستاذُ الأساتذةِ الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقولُ دعوا النساءَ سوافراً ... بين الرجال يجلنَ في الأسواق
يدرجنَ حيث أردنَ، لا من وازعٍ ... يحذرن رقبتهُ، ولا من واق
يفعلن أفعال الرجال لواهيا ... عن واجبات نواعس الأحداق
كلاّ، ولا أدعوكم أن تسرفوا ... في الحجبِ والتضييق والإرهاق
فتوسَّطوا في الحالتين، وأنصفوا ... فالشرُّ في التقييد والإطلاقِ
ربُّوا البنات على الفضيلةِ، أنّها ... في الموقفين لهنَّ خير وثاق
وعليكمُ أن تستبينَ بناتكم ... نورَ الهدى وعلى الحياءِ الباقي

ألا فاتقوا الله-أيها الرجال- في نسائكم: أدوا إليهن حقوقهن التي كتبها الله لهن عليكم، سواء كنتم آباء أم إخواناً أم أزواجاً أم أبناء، وإياكم الظلم لهن؛ فإنه وخيم العاقبة.

واتقين الله-معشر النساء- سواء كنتن أمهات أم زوجات أم بنات، أَدِّينَ ما وجب عليكن لربكن، وأدين ما وجب عليكن نحو أقاربكن من الحقوق.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾ [البقرة:٢٨١]. هذا وصلوا وسلموا على خير الورى..

إنسان السلام(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

جاء في الصحيحين عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالوا: يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده).

أيها الناس، هذا قبس وضّاء شعّ من مشكاة النبوة؛ لينير لنا حياتنا، ويرسم لنا

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٠/٦/١٤٣٢هـ،١٣/٥/٢٠١١م.

منهاج مسيرنا إلى الله تعالى.

إن هذا الدين حقائق وأعمال، وليس مظاهر وأقوالاً بعيدة عن الامتثال والاستسلام الكامل لشريعة السماء التامة المعصومة. إنه دين عملي يطلب من معتنقه أن يبرهن على صدق اعتناقه وصحة انتمائه ورضاه به في واقع الحياة العملي.

هذا الحديث الشريف- الذي سيكون موضوع خطبتنا هذه- يكشف لنا عن أن أفضل المسلمين وأكملهم هو من يؤدي حقوق الخالق وحقوق الخلق.

عباد الله، إن إيذاء الناس بالقول أو بالفعل ذنب كبير يغضب الخالق سبحانه وتعالى، ويضر المخلوقين، خاصة الصالحين والضعفاء والمساكين.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)﴾[الأحزاب:٥٨].

وفي هذا الحديث النبوي السابق يبين النبي عليه الصلاة والسلام للمجتمع طريق السلامة ديناً ودينا؛ كي يعيش أهله متحابين متآلفين بمعالجة الأعضاء التي يُخشى وقوع الإضرر بها على الناس.

فاللسان عضو صغير، لكن ما يصدر عنه أمر كبير، وهو هبة ونعمة من الله تعالى على الإنسان، يقول تعالى ممتناً على الإنسان: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩)﴾[البلد:٨-٩].

ومن أراد أن يعرف قدر هذه النعمة فلينظر إلى الأعجم كم يستخدم من حركات

كي يوصل إلى مخاطبه ما يريده.

هذا اللسان وسيلة تعبير الإنسان عما يجول في ضميره في الأمور المباحات، فإن ورد الحرام فالسلامة في السكوت. قال رسول الله ص: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)(١).

وعن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك)(٢).

أيها المسلمون، إن اللسان إذا تكلم في الخير عظم أثره على صاحبه وعلى غيره، فهو يقرأ القرآن ويذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصلح بين الناس، ويتفوه بالكلمة الطيبة.وكم من كلمة صالحة أنجت صاحبها في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ص: (إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه)(٣).

وإذا تكلم اللسان في الشر عظم خطره وكثر ضرره، فقد يورد صاحبه مهالك الدنيا ومهالك الآخرة. فكم من شحناء وبغضاء وتقاطع ولّدها اللسان، وكم من

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود، وهو صحيح.

(٣) رواه الترمذي وأبو داود وأحمد، وهو صحيح.

تقاتل وقتل سببه اللسان. بل قد يخرج الإنسان عن الإسلام بكلمة أخرجتها لسانه.

وأما مهالك الآخرة فكم دخل ناس النار وعُذبوا فيها بسبب ألسنتهم؛ ولهذا حذرنا رسول الله ص من هفوات اللسان ومزالقه حتى لا نهلك.

قال رسول الله ص: (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه تضمنت له بالجنة)(١).

وقال النبي ص: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)(٢).

وقال لمعاذ: (ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤآخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)(٣).

أيها المسلمون، إننا في هذه الأيام الحرجة نعيش جوَّ فتنة سياسية وحزبية عارمة كانت اللسان أول ما أشعلها واستمرت تؤجج الصراع وتنفخ فيه بعدة أساليب منها:

تزييف الحقائق بين الخصوم، والتفوه بالبهتان، وتقويل الناس ما لم يقولوا عبر

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

وسائل الإعلام المختلفة. ألا يعلم أولئك المفترون خطر ما يتكلمون به، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ومن تلك السقطات اللسانية: شهادة الزور، حينما يشهد بعض الخصوم على خصومه بأنه رأى كذا وما رأى أو أنه سمع وما سمع.

وربنا تعالى قد نهى عن هذه الكبيرة فقال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾[الحج:٣٠].

وقال رسول الله ص: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت)(١).

ومنها: السخرية والاستهزاء بالأقوال وبالأفعال. إذ لا يجوز للمسلم أن يسخر بأخيه المسلم؛ لأن الله تعالى نهى عن ذلك، ولأن السخرية تجلب التجافي وتطرد التصافي.

ومنها: السباب والشتائم والفحش والبذاء. وهذا الغثاء لا يليق بالمسلم بل بالإنسان العاقل؛ لأن تلك الألفاظ النابية لا تتفق مع الخلق الكريم ولا مع الدين المستقيم.

حتى مع الخلاف لابد من لزوم حصن الأدب وعفة اللسان.

---

(١) متفق عليه

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن يهود أتوا النبي ص فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: (مهلا يا عائشة، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش). قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: (أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في)[١].

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه؛ فإن أجره لك ووباله على من قاله)[٢].

فيا عباد الله، ليحفظ كل مسلم لسانه عن السوء؛ فإنه لن ينفعه عند لقاء ربه فلان ولا فلان ممن نصرهم بسوء لسانه وسقط كلامه.

فالمؤمن العاقل محاسب للسانه، حارس لكلامه أن يجره إلى السخط والعطب.

دخل عمر على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأبو بكر آخذ بلسان نفسه وهو يقول: "هذا الذي أوردني الموارد"!

وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول للسانه: "قل خيراً تغنم واسكت عن شر تسلم".

وقال الحسن رحمه الله: "ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه".

ويقول البخاري رحمه الله: "إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني في أحد أني اغتبته".

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود، وهو صحيح.

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق إلا صورة اللحم والدم

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه

أما بعد:

أيها المسلمون، أما الركن الثاني من أركان المسلم الكامل، ورجل السلام الفاضل فهو حفظ اليد عن أذية المسلمين (المسلم من سلم المسلمون من لسانه).

فكما أن الله خلق اللسان لمنافع الإنسان في دينه ودنياه، فكذلك خلق اليد، فكم لله من نعمة على الإنسان في خلق اليدين، وكم من خير يحصل عليه الإنسان بسبب يديه، فبهما يقتات ويعمل، وبهما يبر والديه، ويساعد جيرانه وأقاربه، وبهما يغير أنواعاً من المنكر، وأصابعهما مستنطقات حينما ذكر الله بها فيؤجر عليها. ولليدين من دون ذلك منافع أخرى.

أيها المسلمون، إن هناك من الناس -من حيث يشعر أو لا يشعر- يريد أن تكون يده شاهدة عليه يوم القيامة بما اقترفت وتعدت لتدخله إلى نار جهنم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[النور:٢٤].

وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[يس:٦٥].

فبماذا ستشهد الأيدي على أهلها يوم القيامة يا عباد الله؟

إنها ستشهد وتتكلم على صاحبها حينما ضرب بها إنساناً ظلماً وعدواناً.

وستشهد على من كتب بها زوراً وظلماً وباطلاً وبهتاناً. وصدق من قال:

وما من كاتب إلا ستبقى كِتابتهُ وإن فنيت يدَاه

فلا تكتب بكفِّك غير شيء يَسرّك في القِيامة أن تَراه

وستشهد الأيدي على من أخذ بها أموال الناس بالباطل سرقة أو خيانة أو نهباً أو سلباً.

وستشهد على من أدمى إنساناً ظلماً إما بجرح وإما بقتل. قال رسول الله ص: (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا)[١].

وقال: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة، وإن كان قضيبا من أراك)[٢].

وقال رسول الله ص: (من ضرب سوطا ظلماً اقتص منه يوم القيامة)[٣].

ألا فاتقوا الله-يا عباد الله- في ألسنتكم وأيديكم، فاجعلوها مسخرة فيما رضي الله وأباح.

وإياكم إياكم أن تكون عذاباً على عباد الله في الدنيا وعلى أهلها في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البزار والطبراني، وهو حسن.

هذا وصلوا على خير البشر...

بر الوالدين(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إنما جزاء الإحسان الإحسان، وثواب المعروف شكره، والخير عند الكريم لا يضيع بالتقادم، بل تعظم مكافأة أهله عند الحاجة إليه. ولا شك أن أعظم الناس إحساناً إلى الإنسان والده، اللذان تسببا في مجيئه إلى هذه الحياة. فإنهما قد أحسنا

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤٣٢هـ.

إلى ولديها واعتنيا به منذ أن كان عدماً إلى أن صار وجوداً.

لقد حملته أمه بين أحشائها تسعة أشهر متصلة وعانت ببقائه في بطنها ما عانت من الآلام والأوجاع. فقد ذاقت مرارات الوحم فهجرت محبوباتها وتجرعت مكروهاتها، وتحملت ثقل الحَمل وصعوبته، حتى جاءت ساعة الولادة ومقدماتها فصارعت الموت وصارعها، وقاست الشدة وتمرغت فيها، وضاقت بها الأرض بما رحبت فلم تسعها، حتى إذا صرخ بين يديها ابتسمت ابتسامة المحارب المنتصر المثخن بالجراح. لتنتقل بعد ذلك إلى المرحلة الثالثة من العناء فترضعه وتطعمه وتزيل عنه الأذى، وتسهر ليلها وتتعب نهارها من أجل راحته، وتؤثره على نفسها ليستريح ويشبع وينام، وكأنها تبنيه ولو تهدمت، وتحييه وإن ماتت.

ثم مازالت توليه عنايتها ورعايتها بعد ذلك.

عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت فدخل النبي ص علينا فأخبرته فقال: (من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار)(١).

أيها الإنسان:

لأمك حق لو علمت كثير كثيرك يا هذا لديه يسير

(١) متفق عليه.

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنة وزفير

وفي الوضع لو تدري عليها مشقة ... فمن غصصٍ منها الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها إلا لديك سرير

وتفديك مما تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شرب لديك نمير

وكم مرةٍ جاعت وأعطتك قوتها ... حناناً وإشفاقاً وأنت صغير

فدونك فارغب في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير

عباد الله، وأما الأب فإنه ذلك الإنسان العطوف الذي يكد ويعمل، ويسهر ويتعب، ويركب مطايا المشقات حتى يصل إلى توفير الحياة الكريمة لأولاده، بحب وعطف من غير منٍّ ولا أذى فيما قدم، بل يجد الراحة فيما أسداه والفرح بما أعطاه.

يلاقي صروف العناء ويتعرض لأنواع البلاء من أجل أولاده، ولا تزيده الأيام إلا هماً على فلذات كبده ومستقبلهم، إنه يسترخص حياته ليحيوا، ويتترس بجسمه دونهم لينجوا، ولسان حاله:

وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبّت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمض

يقول أحد الآباء لولده العاق:

غذوتك مولوداً ومِنتُك يافعاً ... تعل بما أحنو عليك وتنهل

إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهراً أتململ

كـأني أنـا المطـروق دونـك بالـذي | طُرقــت بــه دوني فعينــيَ تهمــل
تخاف الـردى نفسي ـ عليـك وإنهـا | لـتعلم أن المـوت وقـت مؤجـل
فلـما بلغـت السـن والغايـة التـي | إليهـا مـدى مـا كنت فيـك أؤمـل
جعلـت جزائـي غلظـة وفظاظـة | كأنــك أنــت المــنعم المتفضــل
فليتــك إذ لم تــرع حــق أبــوتي | فعلـت كـما الجار المصـاقب يفعـل
فــأوليتني حــق الجــوار ولم تكــن | عــلي بــمالٍ دون مالــك تبخــل

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الإسراء:٢٣-٢٤].

في هذه الآيات الكريمات يأمر الله بالإحسان إلى الوالدين، ويحث على برهما ويجعل ذلك قرين توحيده، كما قرن شكرهما بشكره في قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[لقمان:١٤].

وذلك أن لله نعمة الخلق والإيجاد، وللوالدين نعمة التربية والإيلاد، وشكر المنعم واجب شرعاً وعقلاً.

فمن شكر الوالدين: الإحسان إليهما وتمام الصحبة لهما، ودعوتهما إلى الخير،

ونصحهما إن مالا عن الحق برفق ولطف. قال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام:
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا
يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ
لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ
بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي
شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا
(٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)﴾[مريم:٤١-٥٠].

ومن شكرهما: تقديم أمرهما ومجاهدة النفس لرضاهما، وعدم التضجر منهما، وعدم الترفع عليهما، ورعايتهما عند الكبر، والإنفاق عليهما عند الحاجة، قال تعالى:
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)﴾[البقرة:٢١٥].

واستئذانهما عند السفر؛ فإن قلوبهما قد لا تتحمل ألم الفراق،

قال الشاعر:

لو كان يدري الابن أية غصة ... يتجرع الأبوان عند فراقه

أم تهيج بوجدها حيرانة ... وأب يسح الدمع من آماقه

يتجرعــان لبينــه غصــص الــردى ويبــوح مــا كــتماه مــن أشــواقه
لرثــى لأم سُــل مــن أحشــائها وبكــى لشــيخ هــام في آفاقــه

أيها الفضلاء، ومن شكرهما: الاستغفار لهما والدعاء في حياتهما وبعد موتهما.

فعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه، فبينا هو يوماً على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي فقال: ألست ابن فلان بن فلان؟ قالك بلى. فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا،والعمامة اشدد بها رأسك. فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك؟!. فقال: إني سمعت رسول الله ص يقول: (إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى). وإن أباه كان صديقا لعمر[١].

أيها المسلمون، إن بر الوالدين وتقديم طاعتهما إنما يكون في المعروف، فلو أمرا بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة. قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[العنكبوت:٨].

روي سعد بن أبي وقاص أنه قال: "كنت رجلاً براً بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد، وما هذا الذي أراك قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه، قلت: يا أمه، لا تفعلي؛ فإني لا أدع ديني هذا لشيء،

(١) رواه مسلم.

فمكثت يوماً وليلة لا تأكل فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً آخر وليلة وقد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، فان شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت".

أيها المسلمون، إن البر بالوالدين عبادة من أعظم العبادات، وقربة من أحسن القربات، ووسيلة من وسائل السعادة في الدنيا والآخرة.

فالبر من أحب الأعمال إلى الله تعالى، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي ص أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها). قال: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين). قال: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)[1].

والبر من أسباب النجاة من المهالك، ففي حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار:

"قال أحدهم: اللّهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب فآتي أبوي فيشربان ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان قال: فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر، اللّهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك

(١) متفق عليه.

ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء قال: ففرج عنهم..." (١).

والبر من أسباب تكفير الذنوب،فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة، فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري، فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا. قال: تب إلى الله عز وجل، وتقرب إليه ما استطعت. قال: عطاء بن يسار: فذهبت، فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: "إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة".(٢).

معشر المسلمين، والبر بالوالدين من أسباب زيادة العمر والرزق،فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ص: (من سره أن يمد له في عمره، ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه)(٣).

والبر بالوالدين سبب لنيل رضا الله،قال رسول الله ص: (رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما)(٤).

والبر بالوالدين من أسباب دخول الجنة، قال: قال رسول الله ص: (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

(٣) رواه أحمد، وهو حسن.

(٤) رواه البزار، وهو حسن.

أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة)[١].

وقال النبي ص: (الوالد أوسط أبواب الجنة، فأضع ذلك الباب أو احفظه)[٢].

وعن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبي ص فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: (هل لك من أم؟ قال: نعم، قال: فالزمها؛ فإن الجنة عند رجلها)[٣].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه والنسائي والحاكم، وهو حسن.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن إحسان الوالدين قد لا يجد أرضاً طيبة تنبت الشكر والبر لدى بعض الأولاد، فيقلب لوالديه أو أحدهما ظهر المجن، ويكافئهما عقوقاً ومروقاً من الإحسان إلى الإساءة. فيا ويل ذلك العاق الذي تنكر للمعروف وخرج عن المألوف، وبارز أبويه بالعصيان والطغيان، فأنال والديه الغلظة والفظاظة، والتأفف والنفور، والتمرد والإهانة، والتجبر والقهر والتعدي، أُبكيهما بعد أن أضحكاه، ويحزنهما بعد أن أفرحاه، ويشقيهما بعد أن أسعداه، ويضيعهما بعد أن حفظاها ورعياه، لقد سالت منهما الدموع من عقوقه فما رق لهما، وأبديا له الرجاء والتوسل ليعطف عليهما بعدما كبراه فما عطف عليهما وما رحمهما! أي قلب يحمله هذا العاق بين جنبيه، وأي روح ميتة يقوم عليها بدنه، وأي نسيان أفقده حلاوة الإحسان حتى جزاهما بالتعدي والنكران؟!

عق أبا المنازل فرعانَ بن الأعرف السعدي ابنُه منازلٌ فقال الأب:

جَـزَتْ رَحِـمٌ بَيْنـي وبـينَ مُنـازِلٍ ... جـزاءً كـما يَسـتنزِلُ الـدَّينَ طالِبُـهْ
ومـا كُنْـتُ أخْشَـى أنْ يكـونَ مُنـازِلٌ ... عَـدُوِّي وأدنـى شـانئٍ أنـا راهبُـه
وأطعَمْتُــه حتــى إذا آض شَــيْظَماً ... يكـادُ يُسـاوِي غـارِبَ الفَحْـلِ غَارِبُـه

وربيتــــه حتــــى إذا مــــا تركتــــه	أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وكـان لـه عنـدي إذا جـاع أو بكـى	مـن الـزاد أحـلى زادنـا وأطايبـه
تَخَـوَّنَ مـالي ظالمـاً ولَـوَى يَـدي	لَـوَى يَـدَهُ الله الـذي هـوَ غَالِبُـه
أأن أرعشـت كفـا أبيـك وأصـبحت	يـداك يـدي ليـث فإنـك ضـاربه؟!!

عباد الله، إن عقوق الوالدين شقاء للعاق في دنياه وأخراه، فالعاق ملعون مطرود من رحمة الله، قال رسول الله ص: (ملعون من سب أباه، ملعون من سب أمه)[١].

العاق محجوب عن الله وعن رحمته وإكرامه، قال رسول الله ص: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء[٢].

العمل الصالح إذا كان معه عقوق فصاحبه في خطر، وعن عمرو بن مرة الجهني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي ص فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فممن أنا؟ قال: من الصديقين والشهداء، هكذا ونصب أصبعيه ما لم يعق والديه [٣].

أيها الأحبة الكرام، قالوا وقال التاريخ وقال الواقع: البار مبشر بالبر، والعاق مبشر بالعقوق، مصداق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (بابان معجلان عقوبتهما في

(١) رواه أحمد، وهو صحيح.

(٢) رواه النسائي وأحمد، وهو صحيح.

(٣) رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان، وهو صحيح.

الدنيا: البغي والعقوق)(١).

وقد سمع الناس وشاهدوا عقوق الأولاد-ذكوراً وإناثاً- في أولادهم ولو بعد حين.

ذكر بعض العلماء أن رجلاً عاقاً أخذ أباه مصطحباً سكيناً فعرف الأب أنه مذبوح لا محالة، فقال: يا بني، إن كنت فاعلاً فاذبحني عند تلك الصخرة؛ فإني قد ذبحت والدي هناك، فذهب به الابن إلى ذلك الموضع وذبحه. والجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان.

عن العوام بن حوشب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نزلت مرة حياً وإلى جانب ذلك الحي مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس الحمار وجسده جسد إنسان فنهق ثلاث نهقات، ثم انطبق عليه القبر فإذا عجوز تغزل شعراً أو صوفاً فقالت امرأة: ترى تلك العجوز؟ قلت: ما لها؟ قالت: تلك أم هذا، قلت: وما كان قصته؟ قالت: كان يشرب الخمر، فإذا راح تقول له أمه: يا بني، اتق الله، إلى متى تشرب هذه الخمر؟ فيقول لها: إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار! قالت: فمات بعد العصر، قالت: فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر " (٢).

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

---

(١) رواه الحاكم، وهو صحيح.

(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، وهو حسن موقوفا.

حق البُنُّوة(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

يقول تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[الشورى:٤٩-٥٠].

أيها المسلمون، يخبر الله تعالى في هاتين الآيتين الكريمتين عن ملكه وتصرفه

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤٣٣/١١/٢٦هـ، ٢٠١٢/١٠/١١م.

المطلق، وعن علمه وقدرته في سماواته وأرضه، ويذكر لنا مثالين على ذلك في مسألة التوالد والتكاثر بين خلقه، وأن ذلك مرتبط بمشيئته وعلمه سبحانه وتعالى، ولا يمكن للبشر أن يخرجوا عن ذلك فيختاروا لأنفسهم ما تشتهي.

في الآيتين السابقتين يقسّم الله تعالى خلقه بالنسبة للتوالد وعدمه إلى أربعة أقسام: الأول: من يهبه الله إناثاً فقط، والثاني: من يهبه الله ذكوراً فقط، والثالث: من يهبه الله ذكوراً وإناثاً، والرابع: من يجعله الله عقيماً بلا ولد.

وهذا التقسيم الرباعي للفروع –أي: الأبناء والبنات– كالتقسيم الرباعي للأصول– أي: الآباء والأمهات من بني الإنسان–، فهناك من الأصول من خلق من غير الأصلين: الأب والأم، كآدم عليه السلام، وهناك من خلق من أصل واحد فقط هو الأب، وهي حواء عليها السلام، وهناك من خلق من أم فقط، وهو عيسى عليه السلام، وهناك من خلق من الأصلين معاً وهم بقية الناس.

عباد الله، تأملوا في الآيتين الماضيتين لطيفتين مهمتين:

الأولى: أن الله حينما بدأ بذكر هبة الأولاد بدأ بذكر الإناث قبل الذكور، وهذا له حكمته ولم يأت في هذا الموضع عبثاً، فمن حكمته: الرد على بعض أهل الجاهلية الذين كانوا يكرهون ولادة الإناث ويتشاءمون بهن، وربما دفنهن بعضهم وهن من الأحياء.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٥٩ ﴾[النحل:٥٨-

٥٩]. وقال: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾[التكوير:٨-٩].

الحكمة الثانية: أن في هذا التقديم لذكر الأنثى دعوة للاعتناء بهن ورحمتهن ورعايتهن، قال واثلة بن الأسقع: " من يمن المرأة تبكيرها بأنثى؛ لأن الله بدأ بها"، وقرأ الآية السابقة.

اللطيفة الثانية: أن الله عز وجل ذكر في جانب العطاء بالأولاد لفظ الهبة، وفي جانب الحرمان ذكر لفظ الجعل، فقال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ...﴾[الشورى:٤٩-٥٠]. فذكر لفظ الهبة في حصول الأولاد لكون الإيلاد هو الأصل، وذكر لفظ الجعل الذي فيه تحويل وتصيير من شيء إلى شيء؛ لكون الحرمان خروجاً طارئاً وآنياً عن هذا الأصل، ولأنه أقل الحالين في الوجود.

أيها الأحبة الأكارم، إن حصول الأبوين على الأولاد، أو حرمانهم منهم ابتلاء واختبار من الحكيم الخبير. فوجود الأولاد اختبار للوالدين على أداء الأمانة فيهم من التربية والرعاية والصبر على تحمل أعباء تنشئتهم. وعدم الأولاد أيضاً اختبار على الصبر على الفقد والحرمان، وعلى تحفيز النفس إلى التضرع والابتهال بين يدي الرب تعالى. إذن الوجود والعدم ابتلاء، قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[الحديد:٢٣].

أيها المسلمون، إن النفس البشرية مفطورة على حب الأولاد والتعلق بهم؛ لأنهم

ثمرات القلوب، وراحة النفوس، وأنس الأسرة والبيت، وأزاهير بستان الحياة الدنيا وزينتها، قال تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾[الكهف:٤٦].

قال الأحنف بن قيس رحمه الله: " الأولاد ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة ".

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي -وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا- فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: (من لا يرحم لا يرحم)(١).

لقد اشتد الشوق عند زكريا عليه السلام للولد بعدما اشتعل الرأس شيبا؛ ليحمل راية الدعوة والهداية بين قومه بعد موت أبيه فدعا زكريا ربه بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء:٨٩-٩٠].

عباد الله، إن الله تعالى جبل الأبوين على حب الأولاد والعطف عليهم؛ ولذا فإنهما يتحملان المشاق ويبذلان الثمين مما عندهما لأجل أولادهما. فالأم حملت وولدت وأرضعت وأطعمت وربت وسهرت ومرضت وقدمت من العطاء الجزيل لفلذة

---

(١) متفق عليه.

كبدها. والأب جدّ وعمل ونصب وتعب وبذل ما يقدر عليه لقرة عينه وفرحة عمره. حتى لكأن الأبوين قد صارا يهدمان عمريهما ليبنيا أعمار أولادهما، كما قال الشاعر:

صغاراً نربيهم بقدر عقولهم ونبنيهم لكننا نتهدم

فكم نال الأبوين من العناء والمشقة في حياة الأولاد، وكم حرما من الراحة بسببهما، قال رسول الله ص: (إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة)[1].

فالحرص على حاجياتهم بخل يمنع من الصدقة والجود، والسعي لأجلهم والانشغال بهم قد يبعد بعض الناس عن التفقه والتعلم فيظل الإنسان جاهلاً أو مفوتاً على نفسه حظاً من العلم بسببهم. ومرضهم يدخل على الوالدين الحزن ويذهب من بينهما السرور.

أيها المسلمون، إن هذا الجود الذي يقدمه الوالدان يجب أن يكون مصحوباً باستشعار الأمانة والمسؤولية العظيمتين في تنشئة الأولاد تنشئة صالحة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[التحريم:٦].

قال رسول الله ص: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع

(١) رواه الحاكم، وهو صحيح.

ومسؤول عن رعيته)(١).

إن تربية الأولاد تربية نافعة أمانة عظيمة ومهمة جبارة ووظيفة غير سهلة، فإنها قد تقارب الجهاد إن لم تَفُقْهُ في تعب امتداد مطالبها وتقويم مسيرتها، كما قال بعض العلماء. والكلام والتنظير لهذا النوع من التربية سهل، لكن الحال في الميدان التربوي والتطبيق العملي صعب غير ميسور.

قال بعض فلاسفة الإنجليز: "كان عندي قبل أن يصير لي أولاد أربع نظريات في تربية الأولاد، فلما صار لي أولاد ذهبت تلك النظريات كلها!".

أيها الأفاضل، إذا كانت تربية الأولاد تربية صالحة مهمة صعبة في الأجيال النقية الصافية التي لم تدنس بأوساخ الحضارة المعاصرة، فكيف بهذا الزمان الذي كثر فيه أعداء التربية الصالحة؟!

إن الذي يريد أن يربي أولاده في هذا الفصل من الزمن الصعب على الارتباط بالحق اعتقاداً وفكراً وعملاً وسلوكاً، وعلى الارتباط بالحياة الناجحة ليكون عضواً صالحاً في جسد المجتمع، عارفاً حق الله وحق نفسه وحق الناس فإنه سيواجه معوقات كثيرة، فمن تلك المعوقات:

انشغال الأبوين عن التربية، فالأب قد ينشغل بأمر الرزق وتوفير الحياة المعيشية، أو قد يشغل بهواياته وملهاياته، والأم مشغولة بأعمال المنزل والجلسات مع الجارات

---

(١) متفق عليه.

والصديقات أو متابعة القنوات أو الصفحات الاجتماعية عبر النت، هذا إذا لم تكن موظفة، أما إذا كانت موظفة فالأمر أضيق وأشد.

والمعوق الآخر: البيئة التي تعاش، فالأصدقاء قد لا يساعدون على تحقيق مطلب التربية الناجحة، وبعض المدارس غير مهتمة بالجانب السلوكي والعملي لدى طلابها وطالباتها، بل قد تنمي الجوانب السيئة وتقضي على الجوانب الحسنة.

والإعلام بوسائله المختلفة قد يهدم من أبنية التربية البيتية في أيام ما يُبنى في سنين، وضعف رسالة المسجد وحلقات العلم والقرآن والتشويه لأهلها والتضييق عليهم يكمل هدم آخر حجر في البناء التربوي.

إن هذه المعوقات ونحوها لا تدعو الأبوين إلى اليأس والإحباط والقعود، ولكنها تدعو إلى مضاعفة الجهد وكثرة الحرص وشدة المتابعة للأولاد؛ من أجل التربية والتعليم.

أيها المسلمون، إن الحياة غير المنظمة التي يعيشها بعض الآباء أو بعض الأسر غالباً ما تولد المرض نفسه في حياة الأبناء؛ فلهذا على المربي الناجح أن يبدأ طريق التربية بخطوات ومراحل مدروسة مرتبة حتى ينشأ بين يديه الجيل الصالح.

فمن تلك الخطوات والمراحل المهمة:

اختيار الأبوين، فالزوج يختار الزوجة الصالحة ديناً ودنيا؛ لأن الأم هي المنشأ الأول الذي ينشأ فيه الطفل فيتأثر بأخلاقها وسلوكها، خصوصاً البنات، فاختيار الأم

هو أول حقوق الطفل على أبيه، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا.

قال رسول الله ص: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها. ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)(١).

وعلى المرأة وأوليائها كذلك اختيار الزوج الصالح ديناً ودنيا؛ لأن الأب هو رب الأسرة وقائدها، وبه تتأثر الأسرة وتُقاد.

عن أبي حاتم المزني مرفوعا: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، ثلاث مرات)(٢).

ويدخل في هذه المرحلة العمل بوصية رسول الله عليه الصلاة والسلام عند اللقاء الزوجي، كما في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا عن النبي ص: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللّٰهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي. بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا)(٣).

وتأتي بعد هذه المرحلة الثانية وهي مرحلة الحمل، وهي مرحلة ينبغي

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي، وهو حسن.

(٣) متفق عليه.

فيها المراعاة النفسية والجسدية للأم؛ لأن الجنين يتأثر بما تتعرض له أمه أثناء الحمل.

ولذلك نجد أن الشرع الحنيف خفف عن المرأة الحامل فأباح لها الفطر في رمضان؛ حفاظاً عليها وعلى جنينها من الخطر.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، من مراحل الاهتمام بالطفل والاعتناء به –بعد الحمل- وهي المرحلة الثالثة وهي مرحلة ما بعد الولادة، وفيها بعض الآداب التي هي جزء من التربية الصالحة والبداية الطيبة لتنشئة الطفل تنشئة ناجحة، فمن تلك الآداب:

استحباب الاستبشار والتهنئة بقدوم المولود. قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[آل عمران:٣٩].

ويستحب كذلك تحنيك المولود بتمرة لينة توضع في فم المولود وتدلك فيه دلكاً لطيفاً حتى تبلغ جميع الفم، وإذا لم يتيسر التمر فبأي شيء حلو من عسل أو سكر، وهذا التحنيك له أثر صحي تحدث عنه الأطباء.

وفي هذه المرحلة أيضاً تستحب تسمية المولود باسم حسن كالأسماء المعبدة لله وأسماء الصالحين؛ لأن الأسماء لها أثر في المسميات حسنها وسيئها.

كان لحنظلة النميري ابن عاق اسمه مرة، فقال له يوماً: إنك لمرٌّ يا مرة، فقال: أعجبتني حلاوتك يا حنظلة، فقال: إنك خبيث كاسمك، فقال: أخبث مني من سماني

به، فقال: كأنك لست من الناس، فقال: من أشبه أباه فما ظلم، قال: ما أحوجك إلى أدب، قال: الذي نشأت على يده أحوج إليه مني، قال: عقمت أمٌّ ولدتك، قال: إذا ولدت من مثلك، قال: لقد كنت مشؤوماً على إخوتك، دفنتهم وبقيت، قال: أعجبني كثرة عمومتي، قال: لا تزداد إلا خبثاً، قال: لا يجتنى من الشوك العنب.

عباد الله، وتستحب أيضاً العقيقة للقادر عليها، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه (أن رسول الله ص عق عن الحسن والحسين،كبشا كبشا)[1].

ويستحب كذلك الختان في حق الإناث. ويجب في حق الذكور على الراجح وهو مذهب جمهور العلماء، وهذه السنة من محاسن الإسلام العظيمة وأدلة حبه للطهارة والنقاء والصحة.

أيها المسلمون، إن الطفل يولد صفحة بيضاء يسطر فيها الوالدان ما شاء ا، قال رسول الله ص: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[2].

فعلى الوالدين بعد المرحلة الثالثة أن يعتنيا في السنوات الأولى لطفلهما بتعليمه – قولاً وفعلاً – الآداب والسلوكيات الحسنة، فإذا وصل سن السابعة فعلى الأبوين أن يشرعا في غرس بعض مفاهيم الإسلام المهمةعن الله ورسوله وكتابه ودينه.

(١) رواه النسائي وأبو داود، وه صحيح.

(٢) متفق عليه.

وأن يعوداه بعض الأعمال التكليفية تمريناً له على فعلها والمحافظة عليها في المستقبل كالصلاة والصوم. قال رسول الله ص: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع)(١).

وعن الربيع بنت معوذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: (كنا نصوّم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار)(٢).

عباد الله، فإذا كبر الطفل وقارب البلوغ والمراهقة -وهي مرحلة عمرية صعبة- تواجه الطفلَ والأبوين معاً؛ لشدة النوازع والجواذب فيها، وبداية انطلاقة جديدة نحو التكاليف الشرعية والحياتية، والمتطلبات الشهوانية الفطرية، وحينئذ يهتم أبواه به أكثر من ذي قبل، ويراقبانه ويواصلان التربية معه، فيُختار له الجلساء الصالحون، ويقرّب منهم، ويبعد عن جلساء السوء، ويحذر من مجالسهم؛ لأن الجليس يتأثر بجليسه كما هو معلوم.

ومن الأمانة الأبوية متابعة الولد -ذكراً كان أو أنثى- في أفكاره؛ لما لها من أثر بالغ على مستقبله السلوكي والخلقي والعملي، خصوصاً في ظل الثروة المعلوماتية الهائلة المعاصرة التي صار من السهولة المتناهية سرعة الوصول إليها، مع ما يكتنفها من الإغراء والترغيب، وخاصة للبضاعة الآسنة والمسمومة منها.

فإذا وصل الولد سن الزواج ووقته ورغب فيه فهنا يكمل الإحسان إليه بحسن

(١) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، وه صحيح.

(٢) متفق عليه.

اختيار القرين والشريك –ذكراً كان الولد أو أنثى– فيختار للابن المرأة الصالحة ذات الدين والخلق، وللبنت الرجل ذو الدين والخلق كذلك.

ومن الخيانة تقصير الأبوين في حسن الانتقاء للكفؤ للابن أو البنت،والمراد بالكفؤ القادر على مؤن النكاح المادية وغير المادية، وهذا أمر في غاية الأهمية؛ كي لا يؤثر سوء الانتقاء على مستقبل هذه الأسرة الجديدة، ويكون للأبوين جزء من مشاكلها ومعضلاتها.

أيها المسلمون، إن الطفل عندما يكبر على هذه التربية والعناية وقد أعطي هذا الغذاء الروحي، وسُقي هذا الاهتمام الأبوي والسلوكي تصبح حياته الآتية امتداداً لحياته الأولى في فضائلها ومكارمها.

كما قال الأول:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا   على ما كان عوده أبوه

إن الجيل المسلم–معشر المسلمين– لو رُبي على هذا النهج سيعم خيره العباد والبلاد في مجالات الحياة المختلفة، فصلاح أي مجتمع مرهون بصلاح هذه الفئة منه، وفساده بفسادها، فعلى كواهل هذه الفئة في المجتمع يقوم البناء وإعمار الحياة، وبث روح النشاط والجد والقوة فيها، هذا للمجتمع والعموم.

وللأبوين من الصلاح: البر والسعادة والخير العميم، وإن حصل الإهمال منهما فلا أقل من العقوق والتعب من الولد المهمل وتحمل أعبائه وانحرافه وسوء تصرفاته كبيراً كما تحملاها صغيراً.

وعلى الأبوين أن يتذكرا في هذه الأمانة قول رسول الله ص: (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[١].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾[الفرقان:٧٤]. هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

---

(١) متفق عليه.

تطاول الأقزام على عَلَم الأعلام(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمتي هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلم

---

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤/٩/ ٢٠١٢م. عقب الاعتداء النصراني على رسول الله ص في فلم أمريكي جنسي.

أتلقـــاك وطـــرفي مطـــرق	خجـلا مـن أمسـك المنصرـم
ويكـاد الـدمع يهمـي عابثـا	ببقايـا ..... كبريـاء ..... الألم
أمتـي كـم غصـة داميـة	خنقـت نجـوى عـلاك في فمـي
أي جـرح في إبـائي راعـف	فاتـه الآسي فلـم يلتـئم
كيـف أغضـيت عـلى الـذل ولم	تنفضي عنـك غبـار الـتهم؟
أو مـا كنـت إذا البغـي اعتـدى	موجـة مـن لهـب أو مـن دم!؟

أيها المسلمون، لقد أصبح الحديث عن عزة أمة محمد عليه الصلاة والسلام وإبائها حديثاً عن الماضي السحيق والتاريخ البعيد، ندّرسه أجيالنا كان في الماضي وكان.

أما اليوم فماذا نقول وبم نتحدث عن العزة؟ فهل بقيت مقدسات أو حرمات لنا لم يُعتد عليها؟

لقد صال العدو على كرامة الأمة وسيادتها وقراراتها، واعتدى على دمائها وأعراضها وأموالها وأراضيها ودينها ورسولها وربها المعبود الحق، فماذا بقي بعد هذا؟ فما هذه الحال التي وصلت إليها أمة الإسلام، أيَّ عز نزعت وأيَّ ذل لبست؟!.

أمة الإسلام، إنها ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يعتدي فيها الحقد النصراني الصليبي على نبي الرحمة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، إنما هي حلقة ضمن سلسلة ممتدة من الحقد. ومنها هذا الفلم الأمريكي المسيء الذي أُعد خصيصاً ليوم الحادي عشر من سبتمبر.

وليس العجب مما فعلوا -فهذا دأبهم- إنما العجب من موقف المسلمين أمام هذا الحدث الجلل.

فأين المواقف الرسمية وغيرة النسبة المحمدية عند حكومات العالم الإسلامي؟! حتى الشجب والاستنكار الذي قد تعودناه ومللناه منها لم نسمعه في هذا الاعتداء، فماذا كان حكام المسلمين فاعلين لو كان هذا الاعتداء على ذواتهم وأشخاصهم! فسبحانك ربي هذا تباين عظيم!

ما سبب هذا الخدر وموت الشعور؟

إن إدامة ارتضاع ثدي الذل قد صعب على أهله الفطام منه، فلم يجرؤوا حتى على دفع الصائل ولو بالكلمة.

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

قال رسول الله ص: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[1].

أيها المسلمون، إن هذا الاعتداء الصليبي ليس اعتداء على محمد ص وحده، بل هو اعتداء على الله تعالى؛ لأنه رسوله وحبيبه، واعتداء على عيسى بل على جميع الأنبياء والرسل؛ لأنهم كانوا يبشرون به أممهم ويأمرونهم بالإيمان به إذا أدركوه، وليس اعتداء على أمة محمد عليه الصلاة والسلام فحسب، بل هو اعتداء على الإنسانية كلها؛ لأنه

(١) رواه أبو داود، وهو صحيح.

اعتداء على محرر الإنسانية وهادي البشرية ورحمة الله للعالمين كافة.

فماذا وجدوا في محمد ص من نقص حتى ينتقصوه، أو من عيب حتى يعيبوه به؟! لكنها النفوس الحاقدة المنتكسة التي ترى الحمد ذما والكرم مثلبة وعيبا.

أيها المسلمون، لقد وهب الله تعالى رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام معاقد العظمة البشرية فتمثلها في حياته قولاً وعملاً وخلقاً.

فإنه لم تجتمع قلوب البشر منذ أبي البشر الأول آدم عليه السلام وإلى اليوم وإلى نهاية الدهر كاجتماعها على محمد عليه الصلاة والسلام، إجلالاً وتعظيما، سواء المتبع الموافق أم المجانب المفارق. فما أكثرَ ما قاله المنصفون من غير المسلمين في هذا الجلال والعظمة. وما ذاك إلا لأن الله تعالى قد أعطاه الكمال البشري المطلق في خلقه وخلقه.

فقد كان رسولنا محمد ص معتدل الصورة، بهي الطلعة، عليه سكينة باعثة على التعظيم والهيبة، ولم تكن هيبته بكبر أو سطوة، ولكن بتواضع وسهولة. وعليه طلاقة توجب محبته ومودته، حتى تنافست النفوس أن تفديه وتحميه بذهاب أرواحها. وكان حسن القبول حتى أسر القلوب فأذعنت لموافقته وانقادت لأمره وترك مخالفته.

وأما خلُقه العذب عليه الصلاة والسلام فسل سيرته العطرة في مراحل حياته النضرة، سل عنه يتيماً يجبك الصبر والكد، وسل عنه شاباً يجبك النشاط الدؤوب والعفة والجد، وسل عنه تاجراً وعاملاً يجبك الإتقان والأمانة، وسل عنه زوجاً يجبك حسن العشرة وقوة الوفاء، وسل عنه أباً تجبك الرأفة وحسن التربية، وسل عنه نبياً

تجبك التضحية والحرص والأمانة والفصاحة والثبات المر. وسل عنه قائداً تجبك الحنكة والشجاعة والإقدام، وسل عنه مربياً ومعلماً يجبك حسن التعليم والتأديب. وصدق معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم قال: (فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه)[1].

عباد الله، من سمع قوله عليه الصلاة والسلام رأى أقوالاً تنبئ عن عقل رجيح وفكر صحيح، تخرج من خطوب الأمور ومدلهات الأحداث. أقواله مستخرجة من خزائن الحكمة ومستخلصة من معادن البيان والفصاحة، ينطق بالحكمة الباهرة، والعلوم الجمة المتكاثرة، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يصاحب الحكماء ولم يجالس العلماء ولم يشافه البلغاء ولم يرافق الفصحاء. له لسان محفوظ من الخنا، ومصون عن الفحش والبذاء، لم يحفظ عنه زلل، ولم يؤثر في نطقه خلل، يتحرى الكلام تحرياً دقيقاً فلا يسترسل في هذر أو خطل، ينطق في موضع النطق وإلا فيتحرز في حصن الصمت والسلامة.

عليه ص عزة الزهد عن الرغبات ومفاتيحها في يديه، وإعراض عما يلهي ليكتمل له الإقبال على الآخرة.

أيها الأحباب، كان عليه الصلاة والسلام لليتيم والأرملة والمسكين من تواضعه ووقته ورحمته حظ ونصيب يقضي حاجاتهم ويستمع خطابهم ويعينهم فيما يستعينون به عليه.

(١) رواه مسلم.

حلم ووقار مع جفوة الأعراب وسفه الشانئين الحاقدين. فما طاش حلمه ولا جهل رأيه، ولا انتقم لنفسه إنما كان ينتقم لله تعالى.

وفاء بوعد، وإتمام لعهد، فما أخلف لأحد موعدا، ولا نقض لأحد عهدا. وأما أفعاله عليه صلوات الله وسلامه فسيرة حسنة وسياسة رشيدة، نقلت الأمة من حياة الانفراد والعزلة إلى حياة الجماعة والعالمية، فانقاد له الخلق وثبّت قواعد الدين الحق في فترة وجيزة فأخذها الخلف عن السلف.

لم يكن ص يُميل أصحابه عن الدنيا ولا يصرفهم إليها، بل أمدهم بالاعتدال والتوسط فأمرهم بالجمع بينهما؛ لأن من لم يصلح دنياه لن يصلح دينه.

وكان له عليه الصلاة والسلام من السخاء القِدْح المعلى مع حاجته وخصاصته، وكل ما يشاء من خيرات الدنيا مبذول له.

أيها الفضلاء الأكارم، فهل سمع الناس عن أحد كمحمد عليه الصلاة والسلام قائلاً إذا قال، وفاعلاً إذا فعل؟ فهل سمعوا صابراً كصبره، وشاكراً كشكره، وحليماً كحلمه، وجواداً كجوده، ومعاهداً كعهوده، وواعداً كوعوده، وأميناً كأمانته، وزاهداً كزهادته، ومربياً كتربيته، وإنساناً شهد له بالفضل أعداؤه وحساده إذ لم يجدوا فيه مغمزا لغامز، ولا مثلباً لثالب أو لامز، فهو كما قال الأول:

شهد الأنام بفضله حتى العدى　　　والفضل ما شهدت به الأعداء

أفبعد هذه العظمة والجلال، والمكارم وجميل الخصال، والتفرد والكمال، يحق

لمنتقص أن ينتقص ولقادح أن يقدح؟!

أيصح لعبّاد الصليب وأراذل الخلق أن يتطاولوا بالسخر والهزؤ بالرحمة للعالمين؟!

أفليس من ظلم الإنسانية أن يجرح محررها؟ أليس من العسف أن يعاب صاحب الكمال البشري؟

إن ذلك الفعل الشائن المقيت الذي أقدم عليه أولئك السفهاء الأراذل لجرم وبيل في حق الديانات السماوية عموماً وفي حق المسلمين خصوصا.

فآهٍ من امة مكلومة الضمير لم تستطع أن تدافع عن نبيها وهاديها، وغيرها من الأمم إذا أوذي سفيه من سفهائها أقامت الدنيا ولم تقعدها. فأين أعداد أمتنا وعدتها وحدها وحديدها.

إذا بلغ بها الهوان هذا المبلغ فلم تستطع أن ترد الباغي عن بغيه والجاني عن جنايته في حق رسولها عليه الصلاة والسلام فلا غرو أن تستقبل بعد ذلك كل ذل وهوان.

أما رسول الله فإن الله سيدافع عنه ويغار له، وقد وعده بذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[الحجر:٩٥].

عن ابن عباس أنه قال في قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[الحجر:٩٥]. قال: (المستهزئون الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب أبو زمعة والحارث بن عنطل والعاص بن وائل، قال: فأتاه جبريل فشكاهم اليه رسول الله

صفأراه الوليد بن المغيرة فأومأ جبريل عليه السلام الى أنجله فقال: ما صنعت شيئا قال: كُفِيْتَه، ثم أراه الأسود بن عبد المطلب فأومأ إلى عينيه قال: ما صنعت شيئا قال: كفيته، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث الزهري فأومأ الى رأسه فقال: ما صنعت قال: كفيته، ثم أراه الحارث بن عنطل السهمي فأومأإلى بطنه فقال: ما صنعت شيئا ثم قال: كفيته، ثم أراه العاص بن وائل فأومأ الى أخمصه فقال: ما صنعت شيئا قال: كفيته. فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فأصاب أنجله فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فعمي فمنهم من يقول: عمي هكذا، ومنهم من يقول: نزل تحت شجرة فجعل يقول: ألا تدفعون عني قد قتلت؟! فجعلوا يقولون:ما نرى شيئا، فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني قد هلكت؟! أأطعن بالشوك في عيني؟!فجعلوا يقولون: ما نرى، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح مات منها، وأما الحارث بن عنطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها، وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك إذ دخل في أرجله شبرقه حتى امتلت منها فمات منها)[1].

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري ولم أعرفه،وبقية رجاله ثقات. وذكره الألباني في صحيح السيرة.

الخطبة الثانية

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن الحدث الذي جرى ليحزن كل مسلم صادق، ولكن هذا الشعور لا يكفي في الذود عن رسول الله ص. بل لابد من أعمال عامة وخاصة تواجه هذا الحدث السيئ.

فأولاً على الدول المسلمة أن تتخذ موقفاً رسمياً حازماً ينطلق من غيرتها على مقدساتها ودين شعوبها حتى تؤدي حق الدفاع عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وحتى يعرف عباد الصليب وغيرهم أن وراء محمد عليه الصلاة والسلام دولاً مسلمة تغار عليه وتدافع عنه، وحتى لا يتكرر الحدث مرة أخرى.

ثانياً على أجهزة الإعلام المختلفة في بلاد المسلمين التي شغلتنا بتوافه الأمور وملهياتها أن تقدم جزءاً من واجبها تجاه نبيها، مثل ترويج الاستنكار بلغة العزة والانتماء الصادق لا بلغة الذل والخبر العابر الذي لا يعنيها.

وأن تنتج وتعرض برامج معرِّفة للعالم بهذا النبي الكريم، وكاشفة زيف ما يتفوه به الحاقدون عليه.

والحمد لله فبعد أحداث الدنمارك قامت أعمال إعلامية مشكورة تتحدث عن

رسولنا عليه الصلاة والسلام مبينة عظمته بلغات عالمية عدة.

وقد كان ذلك العمل المشكور سبباً في إسلام أعداد كبيرة من الناس حينما وصلتهم الحقيقة كما هي من غير تشويه، وعرف الباقون ممن اطلع ولم يسلم عظمة محمد عليه الصلاة والسلام.

ثالثاً على الأمة الإسلامية أن تتمسك بسنة نبيها عليه الصلاة والسلام؛ لأن التمسك الصادق بالسنة من أعظم الحراس لها.

رابعاً على المسلمين أن ينشغلوا بأمر دينهم وعزة أمتهم بين الأمم وأن يسعوا دائما أن يكونوا بين الأمم رؤوساً متبوعين لا ذيولاً تابعين.

خامسا على كل مسلم أن يدافع عن نبيه عليه الصلاة والسلام بقدر ما يستطيع حسب تخصصه وقدرته.

ثم أبشروا -يا عباد الله- فإن الاعتداء على رسول الله ص بشارة بهلاك المعتدين.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة:٦١].

وقال تعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[النساء:١٩].

قال ابن تيمية رحمه الله: " حدثنا أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة

عما جربوه مرات متعددة في حصر. الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية لما حصر. المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصر. الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس، إذ تعرض أهله لسب رسول الله ص والوقيعة في عرضه فعجلنا فتحه وتيسر. ولم يكد يتأخر إلا يوما أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظا بما قالوه فيه، وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بأيدي عباده المؤمنين".

هذا وصلوا وسلموا على صاحب الحوض المورود واللواء المعقود محمدٍ المحمود في السماء والأرض...

حرمة قتل النفس المعصومة(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[الإسراء:٧٠].

إن من تكريم الله تعالى للإنسان أن كرمه وفضله على كثير من خلقه، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، وزوّده بالقوى العقلية، وجعله سيد الكائنات. فلهذا كانت النفس البشرية لها مكانتها

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في٩/١٠/١٤٣٤هـ،١٦/٨/٢٠١٣م.

السامية وغدا إزهاقها وإخراجها من الحياة أمراً شنيعاً كباراً.

وهذه المكانة الرفيعة والقدر الشريف للنفس البشرية من حيث إن صاحبها إنسان بقطع النظر عن دينه وجنسه ولونه ووطنه.

عباد الله، إن هذا الاحترام والعصمة للإنسان باقية له ما لم يرتكب موجباً من موجبات سفك دمه المعلومة في شريعتنا الإسلامية، ومن تلك الموجبات:

ما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ص: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)[١].

ومنها ما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ص: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)[٢].

ومنها ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (جاء رجل إلى رسول الله ص، فقال: يارسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني؟، قال: فأنت شهيد، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار)[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الخمسة، وهو صحيح.

(٣) رواه مسلم.

أيها المسلمون، إن الإسلام جاء ليحافظ على النفس البشرية من الإزهاق، فالحياة مقصد لإيجاد الإنسان على هذه الدنيا.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾[الإسراء:٣٣].

فقد حرم الإسلام على الإنسان قتل نفسه، وهذا يدل على أن الله أرحم بالإنسان من نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[النساء:٢٩].

وقال رسول الله ص: (كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة)[١].

وحرم عليه كذلك قتل الكافر المعاهد ورتب على ذلك وعيداً شديداً، قال رسول الله ص: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما)[٢].

فإذا كان هذا الوعيد في حق من قتل كافراً معاهداً، فكيف بمن قتل مؤمنا؟!

أمة الإسلام، إن قيام الإنسان بقتل مؤمن من غير موجب في الشرع جريمة عظيمة، وبوابة هلاك على فاعلها، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣﴾[النساء:٩٣].

إنه هذه الآية الكريمة تصد من كان في قلبه ذرة من إيمان عن الإقدام على إزهاق روح المؤمن الطاهرة؛ لأن نفس المؤمن غالية عند الله تعالى وعند عباده الصالحين.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: رأيت رسول الله ص يطوف بالكعبة ويقول: (ما أطيبك وما أطيب ريحك، ما أعظمك وما أعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه)[1].

وقال رسول الله ص: (قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا)[2].

فانظروا-يا عباد الله- إلى عظم قدر المؤمن عند الله تعالى. وانظروا إلى جزاء من يعتدي على هذه النفس الكريمة في قوله عليه الصلاة والسلام: (لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار)[3].

معشر المسلمين، إن لا إله إلا الله تحمي دم صاحبها وتحفظ عليه روحه من الاعتداء عليها؛ لعظم هذه الكلمة التي هو من أهلها.

وقف رسول الله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع في ذلك الجمع الكبير

---

(١) رواه ابن ماجه، وهو حسن.

(٢) رواه البيهقي والنسائي، وهو صحيح.

(٣) رواه الترمذي، وهو صحيح.

متكلماً، فكان مما قال: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه)(١).

إن النفس المسلمة قد ترخص عند بعض ضعفاء العقول وفقراء الدين أيام الفتن، فلا يبالون بارتكاب هذه الجريمة ولو ذهبت أعداد كثيرة من النفوس المعصومة، أما الإنسان العاقل الذي يخاف الوقوف بين يدي رب العالمين فإنه لا يخوض عباب الهرج والمرج، بل يحرص على أن يكون بعيداً عن ساحات الفتن.

عن الأحنف بن قيس قال: ذهبت لأنصر هذا الرجل فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد؟ قلت: أنصر هذا الرجل، قال: ارجع؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار). فقلت: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: (إنه كان حريصاً على قتل صاحبه)(٢).

والمراد: أن كل واحد منهما كان حريصاً على قتل خصمه لو أمكنته الفرصة قبل صاحبه فاستحقا جميعاً النار بذلك، أحدهما بالفعل والآخر بالنية السيئة.

وعن عامر هو الشعبي قال: "لما قاتل مروان بن الحكم الضحاك بن قيس أرسل إلى أيمن بن خريم: إنا نحب أن تقاتل معنا، قال: إن أبي وعمي شهدا بدراً وإنهما عهدا

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

إلي أن لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله، فإن جئتني ببراءة من النار قاتلت معك، قال: اذهب، ووقع فيه وسبه، فأنشأ يقول:

ولست مقاتلا رجلاً يصلي ... على سلطان آخر من قريش

له سلطانه وعلي إثمي ... معاذ الله من سفه وطيش

أأقتل مسلماً في غير جرم ... فلست بنافعي ما عشت عيشي

وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بعثنا رسول الله ص إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ص فقال: (يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله)؟!. قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[1].

عباد الله، إن الإسلام لما حرم القتل حرم معه كل وسيلة تفضي إليه، فمن ذلك:

أنه حرم بين المسلمين المزاح بالسلاح والتهديد به، وهذا يشمل المزاح بالسلاح الأبيض والسلاح الناري، ويدخل فيه كل ما يؤدي إلى القتل كالمزاح بالسيارات والدرجات النارية؛ لأنها قد تقود إلى الموت.

قال رسول الله ص: (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي

(١) متفق عليه.

وإن كان أخاه لأبيه وأمه)(١).

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: (حدثنا أصحاب محمد ص أنهم كانوا يسيرون مع النبي ص فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع فقال رسول الله ص:لا يحل لمسلم أن يروع مسلما)(٢).

وحرم على المسلم كذلك أن يدخل السوق ورمحه مشهور؛ خشية أن يصيب المسلمين.

قال رسول الله ص: (إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها بكفه لا يعقر مسلما)(٣).

أيها المسلمون، إن هذا العصر يشهد تساهلاً كبيراً في ارتكاب هذه الجريمة بدوافع دينية عدائية من أهل الباطل لأهل الحق، وبدوافع سياسية بين الحكومات وشعوبها، وبدوافع دنيوية بين الناس. وكثرة القتل علامة من علامات الساعة التي أخبر عنها رسول الله عليه الصلاة والسلام في قوله: (يتقارب الزمان وينقص العلم، وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قيل: يا رسول الله، أية هو؟ قال: القتل القتل.)(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود، وهو صحيح.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أبو داود، وهو صحيح.

وقال: (لا تقوم الساعة حتى يفيض المـال وتظهر الفتن، ويكثر الهرج قالوا: وما الهرج يا رسول الله، قال: القتل القتل القتل، ثلاثا)[(١)].

وهذا الإسراف والتمادي في هذه الجريمة وعدم الخوف منها سببه: قلة الخوف من الله تعالى ومن عقابه ولقائه.

قال خير ابني آدم لشرهما-كما ذكر الله تعالى عنهما-: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[المائدة:٢٨].

فهابيل لم يمنعه من قتل أخيه إلا خوفه من الله تعالى، فلو كان هناك خوف من الله في قلوب القتلة لما أقدموا على فعلتهم الشنيعة. فالخائفون من الله لا تنقصهم القدرة والقـوة، ولا الحيـل والعـدة، غـير أن الخـوف حـال بيـنهم وبـين مـا تشـتهيه الـنفس والشيطان.

ومن أسباب التمادي في هذه الجريمة: قلة الطاعة وكثرة المعاصي وضعف الإيمان بالله واليوم الآخر.

قال رسول الله ﷺ: (الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن)[(٢)].

والمعنى: إن الإيمان يمنع من القتل الحرام الذي هو الفتك.

وقال النبي ﷺ: (ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم)[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود، وهو صحيح.

(٢) رواه أبو داود والحاكم، وهو صحيح.

(٣) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

ومن أسباب التساهل في هذه الجريمة: الانفلات الأمني والقضائي المتعمد، ومن مظاهره: عدم إقامة حد القصاص على القتلة؛ لأن إقامة الحدود الشرعية أمان للمجتمع وحفظ له.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾[البقرة:١٧٨-١٧٩].

وقال رسول الله ص: (لحدٌّ يقام في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحا)(١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور.

---

(١) رواه النسائي وابن ماجه، وهو حسن، مرفوعاً وموقوفاً.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على النبي محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن القتل العمد العدوان جريمة ذات خطر كبير، وعواقبها عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، ولها تبعاتها السيئة دينياً واقتصادياً واجتماعياً.

فالقتل من الجرائم التي تورد صاحبها موارد الهلكة، قال رسول الله ص: (اجتنبوا السبع الموبقات..، -وذكر منها-: القتل)(١).

وهي من ورطات الأمور التي تصعب النجاة منها، قال رسول الله ص: (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)(٢).

وهي من أسباب دخول النار وحرمان دخول الجنة.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[النساء:٩٣].

عباد الله، إن هذه الجريمة إذا تفشت- وليس هناك جهة ضبط تتابع وتنصف

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

المظلوم من الظالم- فإن الناس سيعيشون في خوف وقلق وهم وغم، وتقاطع وتفرق، وتذهب عن المجتمع السكينة والطمأنينة وينتج عن ذلك ضحايا من القتلى والجرحى، واليتامى والثكالى والمشردين، وذهبت بذلك مصالح اقتصادية كثيرة.

فاتقوا الله-عباد الله- في النفوس المعصومة؛ فإن العقوبة عظيمة، والعواقب وخيمة.

والحذر الحذر من طاعة النفس والهوى أو القريب أو البعيد أو الشيخ أو الحزب أو الجماعة أو المسؤول أو القائد في قتل نفس معصومة؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام[1].

فكل إنسان مسؤول عن عمله بين يدي ربه على ما قدم، ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾[المدثر:٣٨].

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا، وأن يأخذ بأيدينا إلى السداد والرشاد.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

(١) رواه أحمد والحاكم، وهو صحيح.

حلاوة الصلاة(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، سأتحدث اليوم إليكم عن عبادة من أعظم العبادات، وقربة من أعلى القربات، عبادة لا تنقطع في حياة المسلم المكلف حتى تنقطع حياته أو يذهب

---

(١) ألقيت في مسجد ابن تيمية في ١٤٢٩/٥/١٢هـ.

عقله، لا عذر في تركها لعاقل بالغ ولا لمريض مدرك أو مسافر.

أتحدث عنها اليوم حينما قل أهلها بين العدد الكثير، وقصر عن إتقانها مؤدوها، وبدت ألسنة الشر وبنانه تزهد من شأنها وتنتقصها عبر بعض وسائل الإعلام الموبوءة.

لقد سما الله هذه العبادة إيماناً، وقرنها في القرآن بكثير من العبادات، وربما أفردها عن العموم الذي تدخل فيه فذكرها بعد ذلك في السياق نفسه تعظيماً لقدرها.

لقد أوجبها الشرع على كل حال، وإن وقع التخفيف في بعض شروطها وكيفيتها عند وجود الأعذار. وقد اشترط لها أيضاً أكمل الأحوال من الطهارة والزينة وحسن الحال، ونهى أن يشتغل فيها بغيرها عند القيام بها.

وجعلها الله دينه الذي يدين به أهل السماء والأرض، وفرضها في جميع الشرائع، فلم يبعث نبي إلا ودعا إليها.

وجعلها عبادة للقلب واللسان وسائر الجوارح، فكل عضو له مشاركة فيها.

وقد أمر الله تعالى نبيه أن يصطبر عليها ويأمر بها، فقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[طه:١٣٢].

لعلكم أدركتم -أيها الأحبة- هذه العبادة العظيمة بهذه الصفات الكريمة، إنها الصلاة، فما أحلى الصلاة وما أعظم الصلاة وما أسعد الحياة بالصلاة.

عباد الله، إن الصلاة من العبادات الملازمة للمسلم في ليله ونهاره على سبيل

الوجوب، ولكن الناظر إلى حال المسلمين مع الصلاة سيجدهم أنحاء متفرقة فيها، فهم بين: تارك لها على الدوام، لأسباب متعددة، ومنهم من هو ساهٍ عنها مقصر فيها إما في أداء بعض الفروض دون بعض، وإما تأخير لها عن أوقاتها، وإما بفعلها في غير المساجد، وإما بعدم إتقانها، وإما بقلة الاستفادة من آثارها في الحياة العملية.

وإنها لمفارقة عجيبة حينما ينظر الإنسان إلى بعض هؤلاء في تعاملهم مع مصالح الدنيا، إذ يشاهد الحرص والجد والإتقان والغرام بها، وفي جانب الصلاة يتعامل بالكسل والكره والتطفيف، فويل للمطففين. وويل للذين هم عن صلاتهم ساهون.

إن هذه الأحوال المؤسفة لتنبئ عن صغر شأن الصلاة في قلوب أولئك المضيعين والمقصرين.

أفما علموا أن الصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا بها، فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع. قال رسول الله ص لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)(١).

أوما دروا أنها أعظم أركان الإسلام العملية، ألا تذكروا أنها الفريضة الوحيدة التي أخذها رسول الله عن الله مباشرة في السماء من غير واسطة ليلة المعراج، وأن الله فرضها أول مرة خمسين لحبها لها، ثم خففها إلى خمس رحمة بخلقه، وهذا كله لعظم

(١) رواه أحمد والنسائي والترمذي، وهو صحيح.

شأنها وشرفها عنده تعالى.

أفما عرفوا أنها آخر وصية أوصى بها رسول الله ص الأمة حين ودع الحياة والأحياء، فعن علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: (كان آخر كلام النبي ص: الصلاة الصلاة..)[١].

أفما أُخبروا أنها أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله يوم القيامة، قال النبي ص: (أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله)[٢].

أيها المسلمون، إن الله تعالى مدح القائمين بالصلاة وذكرها صفة حسنة من صفاتهم.

فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا، وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[مريم:٥٤-٥٥].

وافتتح بها صفات المؤمنين واختتمها بها، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ

(١) رواه أبو داود وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) رواه الطبراني، وهو حسن.

الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[المؤمنون:١-١١].

وقد ذم الله تعالى المضيعين لها والمتكاسلين عنها، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[مريم:٥٩].

وقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:١٤٢].

وقد أمر رسول الله ص الآباء بأمر أولادهم بالصلاة في سن صغيرة، قال رسول الله ص: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع)(١).

وأمر النائم والناسي بقضائها،قال رسول الله ص: (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك)(٢).

فبهذا تُعلم- يا عباد الله- جلالة هذه العبادة عند الله تعالى.

فلماذا تركها التاركون المقرون بوجوبها؟

فهل تركوها بانشغال بالبيع والشراء، أو بالنوم والكسل، أو بالانشغال بالكلام في المجالس والأعمال الدنيوية، أو العكوف أمام القنوات أو الشبكة العنكبوتية أو الجوال؟

---

(١) رواه أحمد وأبو داود، وهو حسن.

(٢) متفق عليه.

فأين عظمة الله في القلوب يوم ينشغل الإنسان عن واجب من أعظم واجبات الإسلام؟

فإذا كان الانشغال عنها بطلب الرزق فكيف يرجى الرزق من رزاق أمر في ذلك الوقت بترك العمل والذهاب إلى الصلاة؟ فكيف يريد التارك للصلاة رزقاً مباركاً من عند الله وهو يعصيه؟

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[الجمعة:٩-١١].

وإن كان الانشغال عنها بالنوم فالنوم عذر حتى يستيقظ النائم فيصلي، أما إذا تعمد النوم قبيل وقت الصلاة وهو ناوٍ تركها فليس بعذر. وفي هذه الأيام وسائل حديثة تعين على الاستيقاظ مهما ثقل النوم.

وإن كان الانشغال عنها بالاعتكاف أمام الشاشات المختلفة فأين قوة الإيمان التي تجعل صاحبها ينتفض ويترك المشاهدة مهما كان استمتاعه بها، لينطلق ليجيب داعي الله تعالى؟ لأن الآخرة خير وأبقى من الدنيا وما فيها. هذا إذا خلت تلك المشاهد من الحرام، أما إذا كانت في الحرام فهذه لها حديث آخر.

إني لأعجب والله من إنسان يقول: إنه مسلم، ولكن لا يصلي! فأي قلب يستطيع أن يعيش صاحبه سعيداً بدون صلاة، وأي عقل يمكن أن يصدق قول صاحبه: إنه مسلم وهو لا يصلي؟!

فيا تارك الصلوات الخمس، تعال إليها وستجد فيها راحتك وطمأنينتك، واستقرارك النفسي، وستذوق فيها طعم الحياة، وستلتذ بها لذة عظيمة. وسترى فيها النور الذي يهديك إلى صلاح الدنيا والآخرة.

تعال وذق وستعرف قيمة الصلاة التي ضيعتها فضيعت بذلك سرورك وراحتك.

فما أحسن الصلاة، وما ألذ الصلاة، وما أطيب الحياة وأهنأها في ظلال الصلاة.

معشر المسلمين، ولو دخلنا إلى محاريب المصلين ومساجدهم لفرحنا عندما نجد عدداً من الناس يصلون. لكن هل صلاة هؤلاء المصلين صلاة عبادة أو صلاة عادة؟

وهذا أمر مهم؛ لأنه تترتب على معرفة نوع الصلاة آثارُها على نفس صاحبها وواقعه.

فالذين يصلون عبادة لا عادة تجد للصلاة في قلوبهم مكانة سامية فهي أنسهم وراحتهم، ومُذهبة أحزانهم، ومسلية خواطرهم المكدودة، وشارحة صدورهم عند الهم، فعن رجل من خزاعة أنه قال: ليتني صليت فاسترحت، فكأنهم عابوا عليه ذلك، فقال سمعت رسول الله ص يقول: (يا بلال، أقم الصلاة أرحنا بها)[١]. وعن حذيفة

(١) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح.

قال: (كان النبي ص إذا حزبه أمر صلى)(١).

الذين يقيمون الصلاة عبادة يوجد في تفكيرهم همُّ الصلاة، فهم ينتظرونها انتظار المشوق إلى حبيبه، فإذا جاءت استبشروا وتطيبوا وأسبغوا الطهور، ودعوا عقب الوضوء وأقبلوا من بيوتهم أو أماكن عملهم إلى حيث ينادى بالصلاة، بل ربما عجلوا المجيء فلا يؤذن إلا وهم في الطريق أو في المسجد؛ حرصاً على السبق إلى الخير.

وهم في مشيهم إليها يمشون متئدين، وغير مبطئين عنها لحديث أطالوه مع غيرهم في الطريق، ولا يجرون إليها جرياً إن تأخروا؛ حتى لا يذهب خشوعهم إذا دخلوا إلى الصلاة.

فإذا وصلوا باب المسجد قدم الواحد منهم الرجل اليمنى وقال: (بسم الله، والسلام على رسول الله، اللّهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك). فشرعوا بعد الدخول في الصلاة قبل أن يجلسوا إذا لم تقم الصلاة بعد.

وهؤلاء الأخيار الذين يقدرون الصلاة قدرها، هم يقدرون كذلك أهلها في بيوت الله فلا يؤذونهم برفع صوت أو رائحة كريهة، أو عمل لا يليق في بيوت الله.

فإذا أقيمت الصلاة هبوا إلى جنة الدنيا وألذ ما فيها، فألقوا الدنيا خلفهم حين شرعوا في التكبير، فإذا بدأوا لا ترى عليهم إلا الخشوع وثبات الحركات، وإتقان الصلاة وإحسانها، لا يسبقون الإمام ولا يتأخرون عنه تأخراً مخلاً، بل يؤدون الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها ومستحباتها، فإذا سلم الإمام سلموا فذكروا الله ولم

(١) رواه أحمد وأبو داود، وهو حسن.

ينشغلوا بذكر الناس، ثم انصرفوا من محراب الصلاة إلى مجالات الحياة بعد أن غسلوا قلوبهم وطهروا نفوسهم، فلا يرى على وجههم إلا النور ولا على تعاملهم إلا الصدق والأمانة وحسن الوفاء؛ لأن هذه آثار صلاة العبادة في الواقع.

قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت:٤٥].

فهل نحن يا عباد الله من هؤلاء؟ نسأل الله أن نكون كذلك؟

أما الصنف الآخر من المصلين، فهم الذين يصلون الصلاة عادة، فحالهم معها أنهم يجعلون الصلاة في هامش الأعمال لا في أصولها، وليس لديهم حرص على الاستعداد لها والاهتمام بأوقاتها.

فإذا أذن المؤذن فلا يفرحون بذلك، بل قد يغضبون ويقطبون أجبنتهم كأن هذا الصوت عكر عليهم راحتهم.

فإن توضأوا لم يسبغوا، وإن جاءوا المسجد جاءوا متأخرين، فإذا دخلوا المسجد كأنهم دخلوا إلى سوق فيرفعون الأصوات ويحدثون الضجيج ويؤذون المصلين.

فإذا قاموا إلى الصلاة قاموا قيام من يريد التخلص من حِمل ثقيل على ظهره، ولسان حالهم: أرحنا منها يا إمام!

فإذا شرعوا في التكبير فتحوا مشاريع الدنيا ومشاغلها فلم يخشعوا ولا ذاقوا طعم الصلاة، فإذا سلم الإمام استيقظوا من سكرة الانشغال بتلك الأعمال الذهنية التي ربما

لم تفتح أبوابها إلا في الصلاة. فخرجوا بعد ذلك إلى ميدان الحياة بلا أثر للصلاة على أعمالهم وتصرفاتهم مع أنفسهم ومع الناس.

فأي صلاة هذه؟!

فإذن لا مساواة بين الفريقين في الثمرة والأثر؛ حينما لم تكن هناك مساواة في العمل للصلاة.

فاتقوا الله-يا عباد الله- في صلاتكم أقيموها وصلوها كما صلاها رسول الله مما وصف لنا في الأحاديث؛ فللصلاة الكاملة فضل على أهلها في الدنيا والآخرة.

فهي سبب لتكفير السيئات ورفع الدرجات، قال رسول الله ص: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر)(١).

وعن ثوبان قال: قلت لرسول الله عليه وسلم:أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، فقال: (عليك بكثرة السجود؛ فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط بها عنك خطيئة)(٢).

وهي نور لصاحبها وحجة له يوم القيامة وسبب لدخوله الجنة.

قال رسول الله ص: (والصلاة نور)(٣). وقال: (من حافظ عليها كانت له نورا

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف)[1].

نسأل الله أن يوفقنا للصلاة المقبولة التي تنفعنا في الدنيا والآخرة.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه أحمد، وهو صحيح.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن فضل الله تعالى يمتد على المصلين الصلاة المقبولة في الدنيا والآخرة كما سمعتم، ومن فضل الله تعالى أيضاً أن هناك من الصلوات الخمس ما تفضل بقيتها في القدر والمنزلة والثواب والأجر؛ لأن بها يُعرف المجد من غيره، والمؤمن من المنافق، والحريص ممن سواه. هذه الصلاة هي صلاة الفجر في المساجد.

فقد سمى الله تعالى صلاة الفجر قرآناً؛ لكثرة القراءة فيها، وجعلها ظرفاً يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء:٧٨].

وقال رسول الله ص: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر)[١].

وقال: (إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا)[٢].

هذه الصلاة الفاضلة يستعد لها المسلم الحريص من الليل؛ خشية أن يفوته وقتها ومكانها الفاضلان، فهو لا يطيل السهر بعد العشاء، وإذا سهر أو كان ثقيل النوم جعل

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

له ما ينبهه لها.

والسابق للخيرات لا يكتفي بالاستيقاظ عند حضور وقت هذه الصلاة، بل يستيقظ قبلها ليصلي ما كتب له ويناجي ربه في تلك اللحظات الغالية التي لا يدركها إلا الموفقون من عباد الرحمن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياما. فيستعين بذلك القيام على قيامه بين يدي رب العالمين يوم القيامة، وبمسيره في تلك الدلجة على مسيره في سفره إلى الله تعالى، وبذلك الانتصار على النفس والهوى على الانتصار على قواطع الطريق عن الله في سائر مجالات الحياة.

فإذا سمع الأذان كان من السابقين وأصحاب الصف الأول. ومشى في الظلم ليدرك النور التام يوم القيامة، قال رسول الله ص: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)[1].

وينطلق إلى المسجد ليدرك فضل هذه الصلاة خصوصاً، قال رسول الله ص: (من صلى البردين دخل الجنة)[2]. والبردان الفجر والعصر.

وقال: (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله)[3]

وقال: (من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته

---

(١) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

بشيء)[1]. يعني: في حفظه ورعايته.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

(١) رواه مسلم.

خذوا حذركم(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، تقول العرب في أمثالها وأسجاعها: "كن حذراً كالقِرلى، إن رأى خيراً تدلى، وإن رأى شراً تولى". والقرلى طائر من طيور الماء صغير الحجم سريع الخطف، يرفرف على وجه الماء بإحدى عينيه إلى الماء والأخرى إلى الجو؛ خوفاً من طائر جارح يصيده، فإذا بصر. سمكة يستطيع الإمساك بها انقض عليها كالسهم، فإن رأى جارحاً

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤٣٢/٧/١٥هـ، ٢٠١١/٦/١٧م.

يريد شراً به مرّ في الأرض وذهب.

وحاله في الحذر كحال الذئب، فإنه إذا أراد أن ينام راوح بين عينيه، فيطبق واحدة ويفتح الأخرى، فإذا كلّت أطبقها وفتح الأخرى، يقول أحد الشعراء في وصف حاله هذه:

إذا خاف جوراً من عدوّ رمت به ... قصائبه والجانب المتواسع

وإن بات وحشاً ليلة لم يضق بها ... ذراعاً ولم يصبح لها وهو خاشع

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

أيها المسلمون، إن الحياة مدرسة للعقلاء يستلهمون منها عظات وعبراً تنير دروب الحياة، فمن لم يستفد في حياته لم يستفد بعد مماته. والحكمة ضالة المؤمن يختطفها من أي جهة خرجت.

إن من مبادئ العيش في هذه الحياة: الأخذ بالحذر والحيطة، وركوب مطية اليقظة والترجل عن صهوات الغفلة. فمن هجر التأهب والاستعداد للمخاوف جاءته المكاره من كل جانب إلا أن يشاء الله.

فإن قال قائل: إن الحذر لا ينجي من القدر قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾[البقرة:٢٤٣].

قيل له: إن الله أمرنا بفعل الأسباب، وأخذ الحذر من فعل الأسباب، فإذا جاء

قدر الله فهو فوق الأسباب.

إن من نظر في القرآن الكريم سيجد أن الله تعالى أمرنا بأخذ الحذر والحيطة من عدة أشياء، فقد حذرنا تعالى من عقابه فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[آل عمران:٢٨].

وحذرنا من مخالفة أمره وارتكاب زجره، فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور:٦٣]. والمؤمن حينما يسمع هذا التحذير الشديد يسوقه ذلك إلى باب ربه ليتقرب إليه بالصالحات، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر:٩].

وحذرنا الله تعالى من أعداء ديننا فأمرنا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾[النساء:٧١].

أيها الأحبة، إن المتأمل في سيرة رسول الله ص يجد أن رسول الله قد أخذ بالحذر في أحوال متعددة:

ففي بداية الإسلام لم يكن من المناسب إظهار الإسلام وإعلان شعائره بين الملأ في مكة، فكان رسول الله وكبار أصحابه يعرضون الإسلام على من يلتمسون فيه الخير في الخفاء، وكان عليه الصلاة والسلام يجتمع مع أصحابه لأداء الصلاة وإسماعهم القرآن خارج مكة، واستمر على ذلك ثلاث سنوات. ثم هاجر من مكة ليلاً وكمن في

غار ثور ثلاثاً حتى ينقطع الطلب، فلما وصل المدينة -وكان يعرف خبث اليهود ومكرهم- أقام المعاهدات مع اليهود حتى يأمن جانبهم. وكان عليه الصلاة والسلام يعرف تربص قريش به فكان أول ما وصل المدينة لا يبيت إلا محروساً. فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي ص سهر فلما قدم المدينة قال: (ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة). إذ سمعنا صوت سلاح فقال: (من هذا؟). فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك ونام النبي ص)[1].

وفي السير عن عائشة قالت: كان رسول الله ص يحرس ليلاً حتى نزل: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧]، فأخرج رسول الله ص رأسه من القبة، فقال: (يا أيها الناس، انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل).

ومن حذره عليه الصلاة والسلام: أنه كان إذا أراد غزوة ورّى بغيرها؛ حذراً من كيد الأعداء أن يعرفوا وجهته فيكمنوا له فيعيقوه.

ولما سمته اليهودية في خيبر في الشاة المصلية كان بعد ذلك لا يقبل من أحد يشك فيه إذا أهدى له طعاماً حتى يأكل منه صاحبه.

عباد الله، ومن حذره ص أنه حذر أمته أشياء؛ لعلها تسلم شرها، ومن ذلك:

التحذير من المنافقين، فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ص:

---

(١) متفق عليه.

(إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم باللسان)[1].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾[المنافقون:٤].

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب!

وحذر عليه الصلاة والسلام أمته من أصحاب الشبهات والبدع، كما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تلا رسول الله ص هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾[آل عمران:٧]. قالت: قال رسول الله ص: (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)[2].

وحذر أمته الدجال فقال: (إني لأنذركموه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه)[3].

وهناك أشياء أخرى كثيرة حذر منها عليه الصلاة والسلام.

أيها المسلمون، إن الواقع الذي نعيشه يوجب على الإنسان أن يكون حذراً كامل اليقظة على دينه وعلى نفسه وأهله وأولاده وعلى إخوانه المسلمين.

(١) رواه أحمد والبيهقي والطبراني، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

ففي هذه الظروف على الإنسان أن يحذر أن يتكلم بكلمة باطل، أو كلمة لا تعود عليه بالنفع في دنياه أو في أخراه. فرب كلمة أوقعت صاحبها في مهلكة وكان في سلامة لو سكت عنها. ويحذر كذلك -في ظل هذه الأزمات- التشاؤم والقنوط من رحمة الله وفرجه، فالشدة ما تعظم إلا لتنفرج.

وعلى المسلم أيضاً أن يحذر أذية إخوانه المسلمين بقوله أو بفعله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾[الأحزاب:٥٨].

حتى الرائحة الكريهة التي يتأذى بها المسلم من أخيه المسلم نهى عنها الإسلام؛ ليبين أهمية الحفاظ على المسلم من الأذى مهما قل؛ لذلك نهي المسلمُ أن يدخل المسجد وفي فمه رائحة كراث أو فجل أو بصل، ومثله -في عصرنا- الدخان بل هو أشد، قال النبي ص: (من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)(١).

ومن حرص الإسلام على إبعاد الأذى عن المسلمين ما جاء عن رسول الله ص أنه قال: (مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة)(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: "ليكن حظ المسلم منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تحزنه، وإن لم تمدحه فلا تذمه".

وقال رجل ناصحاً عمر بن عبد العزيز رحمه الله: " اجعل كبير المسلمين عندك أباً، وصغيرهم ابناً، وأوسطهم أخاً، فأي أولئك تحب أن تسيء إليه؟!".

ومن خير الأمثلة على حرص الراعي في إبعاد الأذى عن رعيته: أن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رغّب عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في ركوب البحر لغزو الروم- وعمر لم يركب بحراً من قبل- فأرسل إلى عمرو بن العاص رضي الله كتاباً قال له: "صف لي البحر وراكبه؛ فإن نفسي تنازعني إليه، فكتب إليه عمرو: إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، إن ركن خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق، فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية: لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبدا، وتالله لمسلمٌ أحب إليّ مما حوت الروم، فإياك أن تعرض لي".

أيها المسلمون، وكما يحذر المسلم على دينه ونفسه وأهله وأولاده وعلى المسلمين، عليه أيضاً أن يحذر على بلاده التي باستقرارها استقراره، وباضطرابها اضطرابه، فلا يسعى في تخريب بيته ومستقره إلا من في عقله شيء، كمجنونة قريش التي كانت كلما غزلت شيئاً نقضته بعد إبرامه وإتمامه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا ﴾[النحل:٩٢]. فيحذر الفوضى وترويع الآمنين وتخريب المصالح العامة والخاصة؛ فإن الله لا يصلح عمل المفسدين.

وعلى العقلاء الكبار في هذه البلاد أن يحذروا أن توصلهم اختلافاتهم الحزبية والمصلحية والسياسية إلى صراعات مسلحة تأتي على الحرث والنسل، فليفكروا بالعواقب الوخيمة لذلك، وليفكر كل واحد منهم أيضاً أنه سيقف بين يدي ربه فيسأله عن عمله ولا ينفعه هناك حزبه أو جماعته أو قائده أو من يفسد من أجله.

فلتجتمع الجهود لتوحيد الصف ورأب الصدع والوقوف في وجه العدو المشترك، ومعالجة الأمور بروية وحكمة؛ حرصاً على جمع الكلمة وتوحيد الناس، وتفويتاً لأماني المخربين والمفسدين. كما قال ذلك الأب الناصح لأولاده:

كونوا جميعاً يا بَنيَّ إذا اعترى ... خَطْبٌ ولا تتناثروا أفرادا
تأبى العصي إذا اجتمعن تكسراً ... وإذا افترقن تكسرت آحادا

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على سيد البشرية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، لقد فاز بالظفر من أخذ بالحذر، فحصلت له الرغائب وأمن من المعاطب بقدر الله تعالى.

وسيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام مليئة بصور النتائج الطيبة لحذر رسول الله عليه الصلاة والسلام.

أما الغافلون عن الحذر فإنهم يجنون الخيبة والندامة، وما ينفع النادم ندمه بعد الفوات.

حكي أن أعرابياً أخذ جرو ذئب فرباه بلبن شاة عنده، فقال: إذا ربيته مع الشاء أنس بها فيذب عنها ويكون أشد من الكلب، ولا يعرف طبع أجناسه، فلما قوي وثب على شاته فافترسها، فقال الأعرابي:

بقرتَ شويهتي وفجعت قومي ... وأنت لشاتنا ابن ربيب
غُذيت بدّرها ونشأت معْها ... فمن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء ... فلا أدب يفيد ولا أديب

عباد الله، إن أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان ذا حذر شديد وفراسة صادقة، ومن ذلك: أنه كان يمنع الموالي البالغين من دخول المدينة حتى تسلم دار الهجرة من خبثهم،

ولكن كتب له المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن لديه غلاماً مجوسياً عنده قدرة على عدة صناعات يمكن أن ينتفع به المسلمون في المدينة، فأذن له أن يرسله إلى المدينة -وكأنه قدر سيق له بعد الحذر الشديد- فلم يلبث الخبيث المجوسي أن ظهر عليه الحقد الفارسي، فقال لعمر يوماً: لأصنعن لك رحى يُتحدث بها، فقال عمر الملهم: أوعدني العبد آنفاً، ومرت الأيام وجاء يومه الذي استعد له بعد أن هيأ خنجراً ذا رأسين، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في صلاة الفجر، فلما شرع عمر في الصلاة طعنه أبو لؤلؤة عدة طعنات وطعن معه عند فراره اثني عشر. مصلياً مات منهم ستة، ثم طعن نفسه. فتبين حينئذ أن حذر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان في محله.

عباد الله، أخيراً أقول: لابد حين الأخذ بالحذر أن لا يوصل ذلك صاحبه إلى الوسوسة وسوء الظنون، فالمسلم يُحمل على السلامة ما لم يتبين منه شيء يُخاف.

وأن لا يوصله كذلك إلى ارتكاب شيء محرم أو التقصير في واجب؛ حرصاً على الحذر. وأن لا يوصله أيضاً إلى قطع الصلات التي أمر الإسلام بها بين المسلمين إلا عند التحقق من المفسدة الراجحة التي توصل إلى الضرر يقيناً.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية...

ذم الكذب(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد، ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن الصورة المشرقة لأي مجتمع من مجتمعات البشرية هي سمو أخلاقه، واستقامة سلوكه، وإن البشرية منذ نشأتها لم تزل متعارفة على تعظيم محاسن الخلق ومحبة أهلها، وتحقير مساوئ الأخلاق وذم أصحابها. وإن الأنبياء والحكماء والعقلاء والمصلحين في كل أمة لم يقصروا في إرساء أبنية الخلق القويم، وهدم أكواخ الخلق الأثيم. والإنسان مدني بطبعه اجتماعي بفطرته، لا يأنس إلا بالعيش مع الآخرين، وبهذا الاجتماع والحياة المشتركة يحصل الابتلاء، وتظهر معادن الرجال في

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٢/٢/١٤٣٣هـ، ٦/١/٢٠١٢م.

امتثال محاسن الأخلاق في الأقوال والأفعال.

عباد الله، إنه لم يتفق الأنام على اختلاف أديانهم وبيئاتهم كاتفاقهم على ذم الكذب ومدح الصدق، ففي كل زمان يُرى الكذب خلقاً مبتذلاً، والاتصاف به سمة دنيئة لا تليق بالإنسان العاقل.

لقد كان العرب في جاهليتهم يأنف الرجل منهم أن يقال عنه: كذاب. وقال أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل إسلامه في قصة دخوله على هرقل: (فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه)[١].

عباد الله، إن خلق الكذب بوابة لمساوئ الأخلاق، وجسر إلى رذائل الأعمال وتغيير الفطر المستقيمة، وانحراف العادات القويمة، قال النبي ص: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا)[٢].

هذا الخلق الدنيء قد ينشأ عن المعتقدات المنحرفة، فمن كان اعتقاده مبنياً على الكذب ويعده قربة يتقرب بها إلى الله تعالى فلا يبالي بالتحلي بالكذب ومعرفة ذلك عنه وشهرته به.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

أو ينشأ عن الأفكار المائلة، فمن كان فكره منحرفاً يحاول إقناع الناس بما عنده بما يستطيع من الوسائل، ولن يسلم من ركوب مطية الكذب حتى يصل إلى هدفه.

أو ينشأ عن النفوس التي مردت على الخلق السيئ. فمن كانت نفسه معتادة على الأخلاق السيئة والبعد عن الاستقامة والهدى فإنه لن ينأ عن سلوك طريق الكذب حتى يحقق لنفسه المصالح ويدفع عنها المضار في زعمه.

أيها الأحبة الكرام، إن للتربية والنشأة الأولى للإنسان أثرها في هذا الخلق، فمن نشأ على حب الصدق وبغض الكذب قل أن يكون كذاباً في كبره، ومن تربى على سماع الكذب ومحبته وممارسته قل أن يكون صادقاً عندما يكبر؛ ولذلك قال لقمان لابنه: "يا بني، احذر الكذب؛ فإنه شهي كلحم العصفور، من أكل شيئاً منه لم يصبر عنه". وقال بعض الحكماء: " من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه".

ولأجل هذا كان من الأهمية الكبيرة تربية الأطفال على ملازمة الصدق وتجنب الكذب، وذلك بتعود الوالدين على الصدق أمام الأطفال وبعدهم عن الكذب، وتعويدهم على هذه الحال.

وعن عبد الله بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (دعتني أمي يوماً ورسول الله ص قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطك، فقال لها رسول الله ص: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً فقال لها رسول الله ص: أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك

كذبة)(١).

عباد الله، إن خلق الكذب يورث فساد الدين والدنيا، ويدمر صاحبه ويهلك المجتمع الذي يعيش فيه.

فالكذب يذهب المروءة والبهاء، ويغرس لصاحبه الصغار والازدراء، ويذهب قيمة الإنسان من بين الناس، ويجعله مهاناً ذليلاً مفضوحاً بكذبه في الدنيا والآخرة، وعند الله وعند خلقه، ويكفيه ذماً أن النفاق صورة من صوره، وأن أهله ممن تنالهم لعنة الله تعالى.

يقول تعالى عن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾[البقرة:١٠].

وقال رسول الله ص: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر)(٢).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[آل عمران:٦١].

أيها المسلمون، إن الكذب ليس في مرتبة واحدة في الذم، بل على مراتب، فالكذب على الله بأنه أمر بكذا ولم يأمر، أو نهى عن كذا ولم ينه، أو أباح كذا ولم يبح فهذا أشنع الكذب وأشده.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، وهو حسن.

(٢) متفق عليه.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[النحل:١١٦].

وقال: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأعراف:٣٢].

والكذب على رسول الله ليس كالكذب على أحد من الناس، كأن يقال: إنه قال كذا ولم يقل، أو فعل كذا ولم يفعل، أو شرع كذا ولم يشرع.

قال رسول الله ص: (إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)(١).

فليحذر المسلم أن يتقول على الله تعالى أو على رسوله ص أو على دين الإسلام ما لم يكن كذلك.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الأنعام:٢١].

ومن الكذب الشنيع: كذب العالم وكذب الحاكم، فكذب العالم ليس ككذب الجاهل؛ لأن العالم له علم ودراية تحول بينه وبين الكذب، وهو محل قدوة بين الناس فكذبه شنيع، وكذب الحاكم أو الراعي ليس ككذب الرعية؛ لأنه أسوة لرعيته، ولأنه لا يحتاج إلى الكذب حتى يرتكبه، قال رسول الله ص: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل

(١) رواه مسلم.

مستكبر)[١].

عباد الله، إن الكذب في الأصل يولد في القلب، ثم يظهر على اللسان وينتقل بعد ذلك في الجوارح. حتى ينتج كذب الأقوال وكذب الأفعال، وعلى هذا فليس الكذب مقصوراً على قول اللسان فحسب. فأهل النفاق والرياء كذابون في أفعالهم وعباداتهم؛ لأن ظاهرها العمل لله، وباطنها العمل للخلق. قال رسول الله ص: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل- إذا جزى الناس بأعمالهم-: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)[٢].

معشر المسلمين، من صور الكذب المشاهدة: نقض العهود وإخلاف الوعود؛ لأن الإنسان الصادق إذا عاهد وفّى وإذا وعد أنجز ما وعد، إلا أن يحول بينه وبين ذلك حائل خارج عن إرادته. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[المائدة:١].

وقال النبي ص: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)[٣].

ومن صور الكذب: شهادة الزور، وهي قلب الحقائق رغبة في مطلوب أو رهبة من مخوف، خاصة في المنازعات.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، وهو صحيح.

(٣) متفق عليه.

قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾[الحج: ٣٠].

ومن صور الكذب: الكذب في الشهادات، وإعطاؤها لمن لا يستحقها، وهذه خيانة عظيمة للدين ولدنيا الناس، فكم سيفسد صاحب الشهادة المزورة في المجتمع، فكم من مريض مات لأن معالجه لم يكن طبيباً متخصصاً في مرضه، أو لكونه غير طبيب ابتداء.

ومن صور الكذب: الظهور بمظاهر العلماء والتحدث باسمهم ممن ليس عالماً حقاً؛ ولذلك لا تستغربوا من بعض الفتاوى العجيبة الغريبة التي قد تحل الحرام، أو تحرم الحلال.

قال رسول الله ص: (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور)[1].

ومن صور الكذب: إقامة الحفلات والمسرحيات التي مبناها على الكذب والغرض منها إضحاك الناس والترويح على الجمهور كما يقولون.

قال رسول الله ص: (ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له)[2].

وقال رسول الله ص: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)[3].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وأحمد، وهو حسن.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

أيها المسلمون، لقد كان الكذب في الأزمنة السابقة لعصرنا شيئاً مقبوحاً وأمراً مشيناً، أما في عصرنا فقد لبس الكذب لبوس الصدق وغدا حقاً بعدما كان باطلاً، ومعروفاً بعد ما كان منكراً، وذكاء ومروءة وكياسة بعدما كان غباء ولؤماً ودناءة، وحسن تصرف وفقهاً بالواقع ودبلوماسية وحصافة بعدما كان جهلاً وحمقاً وسخافة، حتى لقد أضحى أهله يشار إليهم بالبنان، وتعلق عليهم نياشين التكريم وأوسمة التقدير، فسبحان الله! . هذا الذي جرى من انقلاب الموازين التي تحدث عنها نبينا عليه الصلاة والسلام في قوله: (سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه في أمر العامة)[1].

فمن تابع السياسة وحبائلها اليوم يجد أن الكذب لون أصيل من ألوانها، وقلما يصبح المرء سياساً لامعاً إذا لم يرقَ على سلم الكذب، إلا من بقي عنده شيء من دين أو خلق حميد.

ومن تابع الإعلام-فحدث عن البحر- سيجد أن الكذب فيه يغزل غزلاً ويصنع صناعة ثم يقدم للجمهور على أنه الحقيقة والصدق وما سواها الباطل والكذب، إلا ما قل، فكم غيرت من مفاهيم صحيحة، وقُلبت من سلوكيات مستقيمة بسبب كذب الإعلام الذي صار دجال العصر بحق. وكذباته تبلغ الآفاق ويشاهدها ويقرأها ويسمعها أعداد لا يعلمها إلا الله.

(١) رواه ابن ماجه، وهو صحيح.

وإذا انتقل الإنسان بعد ذلك إلى الإدارات الخدمية والمكاتب العامة والخاصة سيجد الكذب سمة بارزة أيضاً؛ لأن الكذب صاراً مسألة متعارفاً عليها، إلا من رحم الله.

وإذا ذهب الإنسان إلى الأسواق سيرى أن الكذب قد أقام فيها وباض وفرخ وخرج من نسله المشؤوم: الغش والتدليس واليمين الغموس، والحيلة والخداع وذهاب البركة ومحق الأرباح.

فنسأل الله أن يصلح الأحوال.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

أيها المسلمون، إن مطابقة القول للعمل، والظاهر للباطن، والخبر للواقع، هي حقيقة الصدق، صدق في الأقوال وصدق في الأفعال وصدق في الأحوال، وصدق في الظاهر وصدق في الباطن، فلا كذب ولا رياء ولا نفاق ولا خداع.

فالصدق بهذا المفهوم العام هو الذي يجب أن يكون عليه المسلم، فالأصل في المسلم الصدق، وأما الكذب فهو خلق طارئ على الفطرة السليمة والعقل المستقيم والخلق الحميد والدين الصحيح.

إن الصادقين -حينما يخالطون الكافرين- يمثلون الوجه المشرق للمسلمين، وأما الكذبة فهم الوجه المشوه الذين أساءوا للمسلمين باتصافهم بهذا الخلق الذميم. وتعجب عندما تجد من أولئك الكافرين من هو أصدق منطقاً من بعض المسلمين.

عباد الله، إن أهل الصدق يعيشون في طمأنينة وراحة، فليس عندهم قلق الكاذبين وخوفهم واضطرابهم، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: (حفظت من رسول الله ص: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة)[١].

---

(١) رواه الترمذي، وهو حسن.

وأهل الصدق هم أهل الربح وبركة العيش،قال رسول الله ص: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدق البيعان وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ربحاً ويمحقا بركة بيعهما، اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب)[1].

أيها الأحبة، إن سيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام لتفوح بطيب صدقه مع ربه ومع نفسه ومع أمته، إذ كان هو الصادق المصدوق الذي أثنى عليه بالصدق المفارقُ والموافق.

فهذه السيرة العطرة نبراس هدى للسائرين إلى الله يقتبسون من أنوارها ما يصلون به إلى الله تعالى في أمن ونجاة.

فيا أيها المسلمون، الصدق الصدق في جميع الأقوال والأفعال والأحوال، والحذر من الكذب في الظاهر والباطن؛ فإن الصدق منجاة، والكذب هلكة، فيا سعد من عاش صادقا، ومات صادقا ولقي الله صادقاً.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

(١) متفق عليه.

رسالة إلى الظالم والمظلوم(١)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قاهر الجبارين ومهلك المعتدين، وناصر المظلومين، ومغيث المستغيثين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، قتلى وجرحى، جوعى ومرضى، مسلوبون ومنهوبون، مقهورون ومشردون، يتامى وأرامل، وبواكٍ وثواكل، هذه آثار ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

إن الظلم والبطش والرهبوت والجبروت أخلاق غضبية تلازم السباع والمفترسات استطاع بعض الناس أن يجعلها كذلك من صفاته المرافقة له.

لقد صار واقع المسلمين اليوم يئن من ظلم الظالمين، ويشكو من فساد المفسدين

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤٣٥/١/٢٦هـ، ٢٠١٣/١١/٢٩م.

الذي عكروا صفو الحياة وكدروها، وضيقوها وأرهقوها فأصبحت تشكو التخمة من جورهم، وكثرة شرهم وعدوانهم. لقد أضحى أولئك الظالمون يقتاتون من عرق الفقراء، ويعيشون على دماء الأبرياء، ويسخرون حياتهم لإيذاء الآخرين والإضرار بهم، وتخريب معايشهم وتضييق أرزاقهم، حتى غدوا لا يستلذون بالحياة إلا على رؤية الأشلاء وسيلان الدماء، وسماع توجع المتوجعين وآهات الضعفاء والمساكين، وتزايد مواكب المشردين والمسجونين.

يحبون أن يكون الناس لهم مطايا إلى الرغبات العدوانية والأماني الشيطانية، ولا يريدون العيش الكريم لغيرهم، ولو فرشوا طريقه بالجماجم، وعبروا إليه على جسور المآثم.

ومازال بعض الظالمين في طريقهم مستمرين، ولا يزيدهم مرور الأيام إلا عتواً وازدياداً. لم يرعووا عن غيهم ونصيحة الناصحين واصلة إليهم لعلهم يرجعون ويتوبون. غير أن القوة غرتهم والكراسي صدتهم، والأموال حبستهم عن الرجوع إلى ربهم والأوبة إلى رشدهم، وإمهال الله لهم جعلهم يظنون أنهم على الحق، وتأخر العقوبة أغراهم في الاستمرار. طبعت قلوبهم على الغفلة فلم يعتبروا بأخذ الله الظالمين الأولين منهم والآخرين، الإنسان يستعجل والله من عدله وحلمه يمهل، حتى تحين ساعة العدل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنعام:٤٤-٤٥].

فبعد التمادي في الظلم وفوات فرصة الإمهال تأتي العقوبة على حين غرة:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾[هود:١٠٢].

عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله ص: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته). قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾[هود١٠٢] (١).

وقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾[العنكبوت:٤٠].

وإذا لم يقرؤوا القرآن ولم يسمعوه فليقرأوا الواقع ففيه عبر لمن يعتبر وعظات لمن يتعظ. فكم من عزيز ذل وقوي ضعف، وغني افتقر وصحيح أقعده الألم، فلم تنفعه قواته ولا دفعت عنه أمواله، ولا نفعه حشمه ولا خدمه ولا جنده.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾[آل عمران:٢٦].

هل يظن ذلك الظالم العاتي أنه سيبقى في جبروته سالما، وأن يد العدل لن تصل إليه بالمؤاخذة، وأن أسباب طغيانه لن تذهب عنه إلى غيره فيصبح عاجزاً ضعيفاً يسترحم فلا يرحم، ويستغيث فلا يغاث ويستنجد فلا ينجد؟!. أفما آن للظالم أن ينزجر ويرشُد؟!.

على ظالم الضعفاء أن يتذكر أن هناك قادراً قوياً سيأخذ حق المظلوم الضعيف منه

(١) رواه البخاري.

إن عاجلاً وإن آجلاً.

قال أبو مسعود البدري: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي: (اعلم أبا مسعود)، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ص فإذا هو يقول: (اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود)قال: فألقيت السوط من يدي فقال: (اعلم أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام)قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبدا)[1].

ألا أيها الظَّالمُ المستبدُ ... حَبيب الظَّلامِ، عَدوُّ الحياهْ
سَخَرْتَ بأنّاتِ شَعْبٍ ضَعيفٍ ... وكفُّكَ مخضوبةٌ من دِماهُ
وَسِرْتَ تُشَوِّه سِحْرَ الوجودِ ... وتبذرُ شوكَ الأسى في رُباهُ
رُوَيدَكَ ! لا يخدعنْك الربيعُ ... وصحوُ الفَضاءِ، وضوءُ الصباحْ
ففي الأُفُق الرحب هولُ الظلام ... وقصفُ الرُّعودِ، وعَصْفُ الرِّياحْ
حذارِ ! فتحت الأسى والبلا ... ومَن يَبْذُرِ الشَّوكَ يَجْنِ الجراحْ
تأملْ ! هنالِكَ أنّى حَصَدْتَ ... رؤوسَ الورى، وزهورَ الأمَلْ
ورَوَيَّت بالدَّم قَلْبَ التُّرابِ ... وأشْربتَه الدَّمعَ، حتَّى ثَمِلْ
سيجرفُكَ السيلُ، سيلُ الدماء ... ويأكلُك العاصفُ المشتعِلْ

أيها المسلمون، إن ظلم الإنسان للإنسان صفة ذميمة، وذنب كبير نهى الله عنه عباده، ونزه نفسه تعالى أن يظلم أحداً من خلقه.

(١) رواه مسلم.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الأنبياء:٤٧].

وقال النبي ص فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي. وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)(١). إن على الظالم أن يعلم أن ظلمه وبال على نفسه في الدنيا والآخرة، قال النبي ص: (وليس شيء أعجل عقاباً من البغي)(٢). وقال: (الظلم ظلمات يوم القيامة)(٣). وقال: (من ضرب سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة)(٤).

فخف القصاص غدا إذا وفيّت ما كسبت يداك اليوم بالقسطاس
في موقف ما فيه إلا شاخص أو مهطع أو مقنع للراس
إن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى فغداً تؤديها مع الإفلاس

وعلى الظالم أيضاً أن يعي أن الله إذا أنعم عليه بنعمة من جاه أو قوة أو مال فسخر ذلك في ظلم عباد الله فإن ظلمه سيسحت عليه النعم ويجلب له النقم، وتسرع إليه العقوبات. ولن تدوم عليه تلك النعم إلا ببعدها عن الظلم.

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي، وهو حسن.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البزار والطبراني، وهو حسن.

وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم
وإياك والظلم مهما استطعت فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى لتبصر آثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم شهود عليهم ولا تتهم
وما كان شيء عليهم أضر من الظلم وهو الذي قد قصم
صلوا بالجحيم وفات النعيم وكان الذي نالهم كالحلم

فيا من كان ظالماً ارجع إلى ربك قبل حلول العقوبة أو نزول المنية، فمازال باب التوبة مفتوحاً، والحياة باقية، قبل أن ترد الآخرة حاملاً وزر الظلم الثقيل فتخسر خسارة لا يمكن تلافيها. قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾[طه:١١١].

أيها المسلمون، إن على الناس عموماً وعلى المظلومين خصوصاً أن يوقنوا أن الحياة الدنيا تجري على سنن وقوانين لابد من وقوعها، ومن هذه السنن: سنة الابتلاء والامتحان لصدق الإيمان من كذبه، ابتلاء بالآلام وابتلاء بتسلط الظالمين ومصادرة الحقوق المعصومة.

فمن كان صادق الإيمان صقلته البلايا بصبره عليها فرفعت شأنه فأصبح كالذهب المصفى الذي ذهب زيفه وبقي جيده حينما عرض على لفح النار.

وعليك أيها المظلوم أن لا تظن أن الله تعالى غافلاً عن مظلمتك، أو لن يأخذ حقك ممن ظلمك، فالله تعالى هو الحكم العدل ولا يظلم ربك أحداً، فلا تيأس ولا

تحزن فإن الله معك، فكن صابراً على بليتك واثقاً بربك مستبشراً بأن ظالمك لن يهنأ بعيش وفي كاهله أثقال المظالم، بل سيعيش في شقاء وتعاسة، وضيق وسجن نفسي. لا يخرج منه حتى يخرج من المظالم ويتوب من المآثم.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم مصدره يفضي إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

لا شك دعوة مظلوم يحل بها ... دار الهوان ودار الذل والنقم

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

ونقول للمظلوم أيضاً لا تحزن أيضاً؛ فإنك إن لم تنل حقك في الدنيا فإنك ستناله في الآخرة أوفر ما كان وأحوج ما تكون إليه، لكن لن تأخذه عرضاً من أعراض الدنيا كما كان، بل سيكون من الحسنات والسيئات، إذ تؤخذ من حسنات الظالم -إن كانت له حسنات- فتوضع في ميزان المظلوم، أو تحمل من سيئات المظلوم فتوضع في ميزان الظالم، فلماذا تحزن إذن، ويوم القيامة قد يبحث الإنسان عن الحسنة الواحدة التي قد تكون سبب نجاته.

قال رسول الله ص: (أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: (من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره، ومن مات وعليه دين فليس ثم دينار ولا درهم ولكنها الحسنات

---

(١) رواه مسلم

والسيئات[١].

أيها المظلوم، إن لديك سلاحاً عظيماً تستطيع به -إن شاء الله- رد المظالم وإهلاك الظالم دون أن يحول بينك وبين استخدامه أحد، إنه سلاح الدعاء، فأين أنت من الدعاء الخالص الصادق؟ فأبشر فإن لك عند الله باباً مفتوحاً.

قال رسول الله ص: (واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)[٢].

وقال: (اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تحمل على الغمام يقول الله جل جلاله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين)[٣].

وقال: (اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة)[٤].

توق دعا المظلوم إن دعاءه ... ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توق دعا من ليس بين دعائه ... وبين إله العالمين حجاب

ثم صلوا على المبعوث رحمة للعالمين...

---

(١) رواه البيهقي والحاكم، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الطبراني، وهو حسن.

(٤) رواه الحاكم، وهو حسن.

سحائب الرحمة(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللّهم إن لم نكن أهلاً أن تبلغنا رحمتك فإن رحمتك أهلٌ أن تبلغنا، رحمتك وسعت كل شيء، وإنا شيء فلتسعنا رحمتك يا أرحم الراحمين. اللّهم إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم، وعملوا في الذي خلقتهم له، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم،

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١/١١/١٤٣٢هـ، ٣٠/٩/٢٠١١م.

فوفقنا كما وفقتهم، وارحمنا كما رحمتهم، وأنت أرحم الراحمين.

أيها المسلمون، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠].

إن لله تعالى أسماء حسنى بلغت في الحسن الغاية وصفات عليا وصلت في الكمال النهاية، ومن تلك الأسماء: الرحمن والرحيم، اللذان يتضمنان صفة الرحمة.

فالرحمن اسم عظيم من أسماء الله يدل على المبالغة في الرحمة، وهو اسم خاص به تعالى لا يسمى ولا يوصف به أحد غير الله جل وعلا، ومن خصائصه: أنه لا يثنى ولا يجمع؛ لأنه لا يقبل الاشتراك، ولا يؤنث؛ لانعدام مشاركة له فيه. وهو اسم كريم يدل على الرحمة الشاملةِ خلقَه في الدنيا والآخرة.

وأما اسم الرحيم فهو اسم كريم يدل على رحمته الخاصة بأهل الإيمان، كما قيل؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣].

فرحمة الله التي تنال عباده نوعان: نوع يقتضي تسهيل الرزق وإسدال النعم، وظهور آثار العدل، وهذه رحمة عامة يشترك فيها المسلم والكافر، وهي مضمون اسم الرحمن كما قيل.

والنوع الآخر رحمة خاصة تقتضي إيصال الخير ودفع الشر، والتوفيق والتسديد والعون، وهذه رحمة خاصة بأهل الإيمان، وهي مضمون اسم الرحيم.

وبهذين الاسمين جاءت أول آية ذكرت في المصحف الكريم على رأي كثير من العلماء وهي بسم الله الرحمن الرحيم.

عباد الله، إن ربنا تعالى الذي نعبده وحده لا شريك له إله رحيم بخلقه، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٦٣].

فلرحمته عز وجل استحق أن يعبده خلقه، فبينهم وبين عباده سبب العبودية، وبينه وبينهم سبب الرحمة، كما قال ابن القيم رحمه الله.

عباد الله، لقد وسعت رحمة الله كل شيء: رحم العباد، ورحم الدواب في الدنيا، ورحم عباده في الآخرة، وجعل في قلوب خلقه رحمةً يتراحمون بها فيما بينهم.

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحج:٦٥].

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم على النبي ص سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ص: (أترون هذه طارحة ولدها في النار؟)فقلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال: (لله أرحم بعباده من هذه بولدها)[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: (إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض، وأخر تسعا وتسعين فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة)[٢].

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

وقال: (جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)(١).

وقال: (لو تعلمون قدر رحمة الله عز وجل؛ لاتكلتم وما عملتم من عمل ولو علمتم قدر غضبه ما نفعكم شيء)(٢).

أيها الأحبة الفضلاء، إن من تأمل هذا الكون سيجد فيه مظاهر تدل على رحمة الله تعالى بخلقه، فإرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم مظهر من مظاهر رحمة الله بالخلق.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٥٢].

وكفاية رزقهم وضمان ذلك لهم مظهر من مظاهر رحمة الله بمخلوقاته.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

ومن رزقه: إنزال الغيث الذي يغيث به العباد والبلاد والشجر والدواب، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الروم:٤٦].

وقال: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البزار، وهو حسن.

الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الروم:٥٠].

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[الشورى:٢٨].

وقبول توبة العباد وإمهالهم عن نزول العذاب وتعجيل العقاب مظهر آخر من مظاهر رحمة الله، وهذا من أعظم النعم على الخلق.

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:٣٧].

وقال: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:٥٤].

معشر المسلمين، تسخير ما في الأرض لخدمة الإنسان ونفعه مظهر من مظاهر رحمة الله.

قال تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[النحل:٥-٧].

وقال تعالى: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[الإسراء:٦٦].

فيا سيد الكائنات ما في الكون سُخر لك رحمة بك، فهلا رحمت نفسك فآمنت إيماناً صادقاً بمن وهبك هذه النعمة.

الهداية من الضلال والحفظ للمؤمن من تسلط الشياطين عليه بالغواية مظهر آخر،

قال تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء:١١٣].

وقال: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:٨٣].

ومن مظاهر رحمة الله تعالى: تخفيف الشريعة من الآصار والأغلال التي كانت على من قبلنا، فلم يكلفنا ربنا ما يشق علينا ويوصلنا إلى الحرج، فلماذا يكسل بعض الناس عن هذه التكاليف وهي سهلة يسيرة؟!

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ..﴾[الحج:٧٨].

أيها الإخوة الأفاضل، ومن المظاهر أيضاً: حصول البلاء للمؤمن؛ فإنه رحمة من رحمات الله، قال ابن القيم رحمه الله: "ومن رحمته:أن نغص عليهم الدنيا وكدرها؛ لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم وابتلاهم ليعافيهم وأماتهم ليحييهم" وقال كذلك: " ومن رحمته بهم: أن حذرهم نفسه؛ لئلا يغتروا به فيعاملوه بما لا تحسن معاملته به، كما قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:٣٠]. قال غير واحد من السلف:"من رأفته بالعباد: حذرهم من نفسه؛ لئلا يغتروا به".

أيها المسلمون، إن على المسلم أن ينظر إلى نفسه بعين الشفقة والرأفة، فيحرص حرصاً شديداً على نيل رحمة الله حتى وهو يعمل العمل الصالح، كما حرص النبيان الكريمان: إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام،

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٢٧-١٢٨].

وعلينا أن نبحث عن سحائب الرحمة لتعمنا رحمة الله بالاستظلال في ظلها، فالتزام طاعة الله تعالى والمسارعة إلى مراضيه والابتعاد عن مساخطه سبب للرحمة.

قال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:١٥٦].

وطاعة رسول الله ص واتباع سنته وعدم الابتداع في شريعته سبب آخر للرحمة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[آل عمران:٣١].

وقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦].

وصلاة الليل وإيقاظ الأهل لها سبب أيضاً لنيل رحمة الله تعالى. قال رسول الله ص: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)[١].

والدعاء بحصول الرحمة من الأسباب كذلك، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[آل عمران:٨].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وهو صحيح.

وأسباب نيل العبد رحمة الله تعالى كثيرة يجمعها الافتقار بين يدي الله والانقياد لشرعه والتسليم لأمره.

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرحمنا رحمة تغنينا عن رحمة من سواه، يصلح لنا بها الدنيا والآخرة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الحديث عن الرحمة في مثل هذه الظروف العصية له أهميته، فما حل من المصيبات لا يرفعه إلا رحمة الرحيم الرحمن بسلوك دروب نيل رحمة الله تعالى.

ثم بإحياء خلق التراحم فيما بيننا، فليرحم راعينا مرعينا، وقوينا ضعيفنا، وقادرنا عاجزنا، وغنينا فقيرنا.

فإقامة العدل بين الرعية والحكم بالشريعة المحمدية، والإحسان إلى الضعفاء والمساكين، ونجدة المحتاجين والملهوفين، ونصرة المظلومين والتعاون على البر والتقوى مفاتيح لرحمة الله تعالى.

وهذا من صفات الذين آمنوا وعملوا الصالحات أصحاب اليمين. قال تعالى: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[البلد:١١-١٨].

إن التراحم -معشر الفضلاء- جعل المؤمنين كالجسد الواحد، وبذلك يكمل إيمانهم، وتقضى حوائجهم.

قال رسول الله ص: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: (لن تؤمنوا حتى تراحموا) قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم! قال: (إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة)(٢).

عباد الله، إن المجتمع المسلم إذا انتشر التراحم بين أفراده عاش حياة سعيدة مطمئنة، قويه وضعيفه، وغنيه وفقيره وحاكمه ومحكومه، حتى لا تجد الأحقاد والكوارث والحاجة مكاناً لها في هذا الجو الذي يتنفس التراحم فيبث عطر المحبة والتآلف والتعاطف والتواد.

فعند ذلك تهطل سحائب رحمة الله عليه بالخير العميم؛ جزاء وفاقا، وثواباً عاجلاً لأهل الرحمة، فمن رحِم رُحم، ومن أحسن أحسن الله إليه، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

قال رسول الله ص: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)(٣).

ولا تقتصر رحمة الإنسان على رحمة إنسان مثله،، بل الرحمة بالحيوان أيضاً سبب

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني، وهو صحيح.

(٣) رواه الترمذي وأبو داود وأحمد، وهو صحيح.

لرحمة الله، فعن معاوية بن قرة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلا قال: يا رسول الله، إني لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال: (و الشاة إن رحمتها رحمك الله)[1].

أيها المسلمون، لكن إذا ذهب التراحم وحل بدلاً عنه التشاحن والضغينة والشح والجور والقطيعة، فهذه نذر شقاء ومفاتيح بلاء، وحجب كثيفة تمنع نزول رحمة الله على من هذه صفاتهم وأعمالهم.

قال رسول الله ص: (لا تنزع الرحمة إلا من شقي)[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)[3].

نسأل الله أن يجعلنا من الرحماء، وأن لا يجعلنا من الأشقياء.

هذا وصلوا وسلموا الرؤوف الرحيم بالمؤمنين...

(١) رواه الحاكم والطبراني والبخاري في الأدب المفرد، وه صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح.

(٣) متفق عليه.

صفات عباد الرحمن(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً، وَالَّذِينَ

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ذي القعدة ١٤٣٥هـ، ٥/٨/٢٠١٤م.

يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً، وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً، وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً، إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً، وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً، وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً، وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً، أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً، خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً، قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾[الفرقان:٦٣-٧٧].

أيها المسلمون، في هذه الآيات الكريمات تتجلى صفات عباد الرحمن وأخلاقهم الحميدة مع الله ومع عباده أنواراً تهدي إلى صلاح الدنيا والآخرة.

إنها أعمال صالحة وسلوكيات فاضلة تبني مجتمعاً يرفرف فيه الأمن والطهر والعدل والاستقامة.

إن هؤلاء المتصفين بهذه الصفات ليسوا عباداً لأحد، إنما هم عباد لله وحده، لا يعبدون سواه ولا يقدمون طاعة أحد على طاعته.

وبهذه النسبة: عباد الرحمن صاروا أعزة مرفوعي الرؤوس لا يحنونها لغير خالقها

جل وعلا.

فمن صفاتهم الحسنة: التواضع، وخفض الجناح للمؤمنين، فليسوا متكبرين ولا متجبرين، ولا متعالين ولا مغرورين. أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين. لم يزدهم تواضعهم إلا رفعة وسمواً؛ ليكون ذلك ثواباً عاجلاً من عند الله. قال رسول الله ص: (من تواضع لله رفعه الله)(١).

لقد عُرف التواضع خلقاً راسخاً من أخلاق رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي قال له ربه تعالى: ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر٨٨]. ومن تتبع سيرته عليه الصلاة والسلام وجد مصداق ذلك.

فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ص فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة، فقال لها: (يا أم فلان، اجلسي في أي نواحي السكك شئت حتى أجلس إليك)(٢).

وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (كان رسول الله يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب)(٣).

(١) رواه أبو نعيم في الحلية، وهو حسن.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: (لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله، قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لما يعلمون من كراهته لذلك)[1].

قيل لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: ماذا كان يعمل رسول الله في بيته؟ قالت: (كان بشرا من البشر: يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه)[2].

ففي التواضع قال تعالى في هذه الآيات: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً... ﴾.

عباد الله، ومن صفات عباد الرحمن: أنهم أهل عفو وصفح، فإذا آذاهم السفهاء بالقول أجابوهم بالمعروف، وخاطبوهم خطاباً لطيفاً يسلمون فيه من الإثم ومن مقابلة الجاهل بجهله.

وهذا الخلق الكريم- خلق العفو- خلق عظيم يجمع الكلمة ويوحد الصف ويؤلف القلوب ويحبب أهله إلى الناس، وهو من صفات المتقين التي ينالون بها الجنة.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران١٣٣-١٣٤].

فأين العمل بهذا الخلق الكريم في الخلافات التي نعيشها اليوم؟

(١) رواه الترمذي، وهو صحيح.

(٢) رواه الترمذي، وهو صحيح.

إنه بسبب بُعد النفوس عنه حصلت آثار مدمرة على العباد والبلاد، فأين هم عباد الرحمن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما؟

إن في حياة رسول الله ﷺ نماذج ناصعة من عفوه وصفحه وحلمه عمن جهل عليه. لم يكن ينتصر لنفسه، ويقتص لها، إنما كان ينتصر لله، فقد عفا عمن آذاه من المشركين ومن اليهود ومن المنافقين ومن الأعراب.

فعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خرج رسول الله ﷺ يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي[يعني في الظاهر] فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجلسنا ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ: (يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال كذا وكذا)قال سعد بن عبادة: يا رسول الله، اعف عنه واصفح عنه فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل

عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ص وكان النبي ص وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله عز وجل: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا... ﴾[آل عمران:١٨٦]. والشواهد على ذلك كثيرة.

وفي هذه الآيات يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾.

أيها الأحبة الفضلاء، ومن صفات عباد الرحمن: أنهم أهل عبادة لله تعالى مثل صلاة الليل، فإنه إذا دخل عليهم الليل فلا يخرج عنهم إلا وقد أخذوا حظهم من القيام والتلاوة الخاشعة والاستغفار الصادق بين يدي ربهم سبحانه وتعالى.

قال عز وجل: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات:١٧-١٨].

هذه الصلاة لها شأن عظيم في إصلاح النفس وتقويم عوجها، وفي كسب الأجور والوصول إلى الآمال الصالحة والنجاة من المكاره والكروب.

وهي عبادة تبرهن عن الإيمان والإخلاص، ويجد صاحبها من اللذة والطمأنينة ما لا يجده في غيرها، فلا غرابة إذن أن تكون أفضل الصلوات بعد الصلوات المكتوبة، كما أخبر رسول الله ص (١).

---

(١) رواه مسلم.

لقد كانت هذه الصلاة دأب رسول الله في ليله، فكان يلازمها ولا يتركها إلا لمرض، وقد قال الله تعالى له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[المزمل:١-٤].

سئلت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا عن صلاته في رمضان؟ فقالت: (ما كان رسول الله ص يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً)[١].

وفي هذه الآيات في صفات عباد الرحمن يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾.

معشر المسلمين، ومن صفات عباد الرحمن: أنهم -مع اجتهادهم في الإيمان والعمل الصالح- يخافون الله تعالى أن يدخلهم نار جهنم التي يلازم عذابها أهلها. وهذا من صدق عبوديتهم حيث جمعوا بين العمل والخوف.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

فهؤلاء الصالحون -نسأل الله أن يجعلنا منهم- يدعون الله فيقولون: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾.

---

(١) متفق عليه.

وقد كان رسول الله ص سيد الخائفين من رب العالمين مع كونه سيد المرسلين.

فعن عبد الله بن عباس أن رسول الله ص كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: (اللّهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)(١).

أيها الأفاضل، إن عباد الرحمن أورثهم العمل النافع والعمل الصالح التوسطَ في الأمور والاعتدال فيها فلا إفراط ولا تفريط. ومن ذلك التوسط في الإنفاق فليس لديهم إسراف يضيعون به نعمة المال، وليس من صفاتهم البخل به على المستحقين منه.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾.

لقد عاش رسول الله عليه الصلاة والسلام زاهداً في هذه الدنيا راغباً عنها وكان باستطاعته أن يعيش الحياة الرخية المترفة، لكنه أبى ذلك، فقد ظل في هذه الحياة الزاهدة ملازماً للتوسط في نفقته وإمساكه، فلم يكن بالمسرف الذي يصرف المال في غير وجهه الحق، ولم يكن بالبخيل الذي أمسك حقوق الخلق عليه، بل عاش بالحسنة بين السيئتين عاش بالاعتدال بين الإقتار والإسراف.

عباد الله، ويستمر الخطاب القرآني الرائع فيسرد صفات هؤلاء الصالحين، فبعد أن ذكر فضائل الأعمال التي يقومون بها من تواضع وحلم، وقيام ليل ودعاء، واقتصاد في إنفاق المال، فبعد ذلك كله انتقل الخطاب إلى ذكر مجانبتهم للرذائل الخاصة والعامة.

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

وابتدأ الحديث بتجنبهم لأعظم الرذائل والذنوب وهو الشرك بالله تعالى. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ...﴾.

هذه المعصية هي المعصية العظمى والذنب الأكبر والظلم الأعظم؛ لأنه وضعٌ للعبودية في غير موضعها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]. فعباد الرحمن بعيدون عن الإشراك بالله باطنه وظاهره، قوله وفعله. فالله تعالى وحده هو معبودهم الذي يفردونه بجميع ما يستحقه من أفعاله وأفعال عباده وأسمائه وصفاته.

وبعدُهم هذا عن هذه الخطيئة الكبرى هو سفينة النجاة التي تنجي راكبها من الخلود في جهنم مهما كانت ذنوبه وإن دخلها، وقد تنجيها منه فلا يدخلها أبدا.

قال رسول الله ص: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار)(١).

لقد دعا رسول الله ص إلى توحيد الله تعالى وكان هو سيد الموحدين حتى مات، وحذر من الشرك وكان أشد الناس بعداً عنه عليه الصلاة والسلام.

فعن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ص كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فقال رسول الله ص: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم

(١) رواه مسلم.

القيامة)[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك)[2].

ثم ثنى الله تعالى ببعد عباد الرحمن عن الاعتداء على المعصومين بالقتل فقال: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ لأن إزهاق الأرواح البريئة جريمة من أشد الجرائم، فعباد الرحمن هم سِلْمٌ للمعصومين لا يعتدون عليهم بقتل أو جرح، فما بعد الشرك بالله تعالى ذنب أعظم من قتل النفس المحرم قتلها وأعلاها نفس المؤمن، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء:٩٣].

وفي الصحيحين قال رسول الله ص: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).

فانتبه أيها المسلم، أن تخرج من هذه الدنيا وفي عنقك دم لمسلم معصوم؛ فإنها لخسارة عظيمة يوم يلقى الإنسان ربه وقد سفك الدماء؛ فإن أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء، كما أخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام[3].

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

فاتقوا الله-يا عباد الله- في دماء المسلمين خاصة في هذا الصراع السياسي الدائر على أمر الدنيا الذي لا يدفع عن صاحبه يوم القيامة إذا اعتدى على دماء الناس من أجله.

واسمعوا إلى القدوة المهداة عليه الصلاة ماذا يقول، يقول: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[١].

ويقول: (و إني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال)[٢].

أيها المسلمون، ومن صفات عباد الرحمن: أنهم لا يعتدون على الأعراض بالفاحشة، بل هم أهل عفة وصيانة وطهارة، حافظون لفروجهم إلا على أزواجهم فحسب. فقال تعالى هنا: ﴿وَلَا يَزْنُونَ...﴾.

إنهم يجعلون بينهم وبين الفاحشة مفاوز وخنادق من المراقبة والخشية، ومن ترك الوسائل والأسباب المؤدية إليها.

والله جل وعلا يقول: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وهو صحيح.

سَبِيلًا ﴾[الإسراء:٣٢].

إن هذه الفاحشة إذا فشت في مجتمعٍ ما فقد هلك: فحلت فيه الكوارث والعقوبات ونزلت عليه المصائب والنقمات، وسلط الله على أهلها من الأمراض والأوجاع التي يصعب علاجها. فالحذر الحذر قبل الندامات العاجلة والآجلة.

إن رسول الله صلى الله عليه والسلام كان سيد الأعفاء قبل بعثته وبعدها، فلم تشب سيرتَه الحسنة تهمةٌ ومذمّة، فقد كان يأمر بأسباب العفاف ويحذر من مواقع الفاحشة وسبل التدنس بها، قال عليه الصلاة والسلام: (من استطاع الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء)[1].

وقال ص: (إياكم والدخول على النساء). فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: (الحمو الموت)[2].

معشر المسلمين، إن هذه الذنوب الثلاثة هي كبرى الذنوب وأشنعها؛ ولذا انظروا ماذا رتب الله عليها من العقوبة: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾. إنها عقوبة بملاقاة الإثم الذي يترتب عليه العذاب ومضاعفته والخلود فيه. ولكن الله برحمته وحلمه فتح باب التوبة لمن تاب من هذه الذنوب وغيرها توبة نصوحاً فيتقبل منهم ويهديهم إلى أعمال صالحة تكفر تلك

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

الذنوب السالفة، فقال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً، وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً﴾.

فيا من وقاه الله هذه الذنوب احمد الله على حمايته لك، وسله دوام الوقاية، واحذر وساوس الشيطان. ويا من أسرف على نفسه فواقع هذه الموبقات ارجع إلى ربك تجد الله غفوراً رحيماً.

لا تيأسن فباب الله مفتوح   وعفوه للذي قد تاب ممنوح

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن عباد الرحمن قوم يخافون على دينهم وسمعتهم العطرة؛ ولذلك يحترزون عن كل سبب يوصل الضرر على ما يخافون عليه.

قال تعالى هنا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴿٧٢﴾﴾. ومن مجالس الزور: الجلوس أمام القنوات أو الشاشات بأنواعها التي تخدش الحياء وتدعو إلى الفحش.

فهم لا يجلسون في المجالس التي فيها تعدٍّ على الله أو على رسوله أو على دينه أو فيها ما يخدش الخلق الكريم، فإن مروا بها مروا ناصحين غير مقرين لباطل فيها.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

إن من تتبع سيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام يجد أن مجالسه كانت مجالس خير حتى قبل بعثته، إذ لم يكن يشهد مجالس اللهو والعبث الي كان يشهدها أهل الجاهلية.

هذا معنى لبعدهم عن شهادة الزور مأخوذ من الشهود وهو الحضور، وهناك

معنى آخر وهو تفسير شهود الزور بالقول الكاذب المعروف بشهادة الزور.

عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ص: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر). ثلاثا قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئا- فقال: (ألا وقول الزور). قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته يسكت. (١).

عباد الله، ومن صفات عباد الرحمن: أنهم إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم فلا يقابلونها بالإعراض عن سماعها والعمل بها، بل يستمعونها ويعونها ويتأثرون بها، فهم أهل استجابة واتباع، حتى تؤثر الموعظة على قلوبهم، ويظهر أثرها في استقامة جوارحهم. وهذه الآيات التي تلوناها في هذه الخطبة في صفات عباد الرحمن ينبغي أن تعيها قلوبنا وتستجيب لها جوارحنا لنكون من عباد الرحمن حقاً. قال تعالى في عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾.

أما الذين قد طبع على قلوبهم فلا تؤثر فيها الآيات، بل قد تزيدها قسوة إلى قسوتها؛ لأنها لم توافق محلاً قابلاً وأرضاً خصبة تستقبل غيث الهدى.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[التوبة:١٢٤-١٢٥].

إن رسول الله ص كان شديد التأثر بآيات الله التي أنزلت عليه، فقد قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال لي النبي ص: (اقرأ علي، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك

(١) متفق عليه.

وعليك أنزل؟! قال: نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾[النساء:٤١] قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان(١).

عباد الله، وبعد أن تحلّى عباد الرحمن بالفضائل وتخلوا عن الرذائل فأدوا حق أنفسهم وذاقوا حلاوة عبادة الرحمن أحبوا أن يكون لهم عون على الاستمرار على هذا الخير العظيم وأن ينالوا ما نالوا فدعوا الله بصلاح أزواجهم وذرياتهم الذين هم أقرب الناس إليهم، ولهم تأثير عليهم وتأثر بهم أيضاً، فإذا ما رأوهم صالحين قرت عيونهم بهم وحصل السرور لهم بهذا السند القريب.

ثم تاقت نفوسهم بعد أن اهتدوا أن يكونوا هداة لغيرهم؛ ليسعدوا غيرهم كما سعدوا، وليكون لهم من الأجر مثل أجور من تبعهم إلى يوم القيامة.

فقال تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾.

هذا هي أعمالهم الصالحة فما الجزاء الصالح الذي ينتظرهم عليها؟

قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاما، خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾.

فنعم المكافأة التي أعدت والجائزة التي نيلت. نسأل الله أن يجعلنا من عباد الرحمن

---

(١) رواه البخاري.

الذين اتصفوا بهذه الصفات.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

ضريبة الانهزام(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، إن النفس الشريفة الكريمة ترى العزة كنزها ومالها، وفخرها وجمالها، وعرينها وحماها الذي تحرسه، وعنوانها الذي تحافظ عليه. لم تسق عزتها يوماً إلى سوق الذل والخضوع، ولو بذلت لها الأموال والوظائف وأهديت لها التحف واللطائف. تفضل العيش بعز الفقر على ذل الغنى، وترضى بعزة الخمول والخفوت، ولا ترضى بمناصب الركل إلى الأعلى مع خفض الرؤوس إلى الأدنى.

---

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في٢٨/٤/١٤٣٥هـ، ٢٨/٢/٢٠١٤م.

لا تسقني كأس الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

فكنزها غالٍ لا يسرقه الترغيب، ولا يسلبه الترهيب، والموت على أسنة العزة والكرامة خير من الحياة الرغدة في مهود الإذلال والإهانة. قال أبو فراس:

ونحن أناسٌ لا توسّط عندنا ... لنا الصّدر دون العالمين أو القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

أيها المسلمون، إن عزة النفس من أخلاق الناس الكرام النبلاء، ومن صفات المسلمين الصادقين الفضلاء.

فدين الإسلام دين العزة؛ لأنه الحق من عند الله، والأصلح لخلق الله، والأكمل والأتم لجلب المصالح ودرء المفاسد عن معتنقيه الآخذين به. وهو يأمر أهله أن يكونوا أعزة غير أذلاء؛ لأنهم يحملون دين الهدى ومشعل النور الشامل الذي يصلح الدنيا والآخرة.

قال تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون:٨].

عباد الله، إن التمسك بالإسلام عقيدة وشريعة يبث في روح المسلم العزة والفخر، ويشعره بعلو مكانته بين الورى، فيدعوه ذلك إلى إظهار شعائر دينه والعمل بمطالبه في إصلاح الدين والدنيا، ونفع الآخرين وإيصال الخير إليهم.

وإن أوائل هذه الأمة عندما أخذوا الإسلام وجعلوه نبراس حياتهم ومنهاج عيشهم عزوا وارتفعوا، وغلبوا كل كافر وقف في طريق النور الذي ينشرونه في العالم،

فسادوا وقادوا، وصلح لهم بذلك الدين والدنيا. وقذف الله في قلوب أعدائهم المهابة منهم.

لقد كان المسلمون في تلك العصور الزاهرة مالكي أمرهم وقرارهم بأيديهم، يحكمون أنفسهم ولا يحكمهم غيرهم، يحلون مشكلاتهم بأنفسهم ولا تخرج قضاياهم ليحكم فيها عدوهم.

لم يصل إليهم مندوب أممي، ولم يطلبوا المنح المالية والمساعدات الدولية والقروض الاستعمارية، ولا انتظروا قرارات الفرج من أعدائهم.

وإنما احترموا الدستور الذي أنزله الله إليهم وطبقوا مواده التي لا تتغير، فصاروا هم الرعاة لا الرعية والقادة لا المقودين.

قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله". فتأملوا في هذه الكلمة العمرية النورانية، وقارنوا واقعنا وواقع تلك الفئة المؤمنة التي أعزها الله بامتثال الإسلام عقيدة وعملاً.

عباد الله، لقد بقي المسلمون على سنام العز المنيف فترة من الزمن ببقائهم على الأخذ بالإسلام، فلما دب الوهن والضعف في القلوب، وأقبلت النفوس على الدنيا رغبة فيها وميلاً إليها، نزلت بساحتهم الهزيمة وحلت بينهم النقمة وتكالب عليهم الأعداء من كل حدب وصوب، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون.

وقد أخبر رسول الله ص عن هذا المآل الذميم وأسبابه، قال رسول الله ص:

(يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن، قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت)[1].

ففي هذا الحديث الشريف ينبأ رسول الله عن واقع المنتصر. وأسباب نصره، وعن واقع المنهزم وأسباب هزيمته.

حيث أخبر عن اجتماع الأمم على أمة الإسلام، فاليوم انظروا كيف تقاطر اليهود والنصارى والهندوس والبوذيون والملحدون على حرب المسلمين حروباً متنوعة منها: العسكرية والفكرية والاقتصادية والإعلامية وغيرها.

فظن بعض الناس أن هذا الاجتماع على الإسلام وأهله بسبب قلة المسلمين، فرد رسول الله ذلك بأن عدد المسلمين في زمن هذا الاجتماع كثير، فكم عدد المسلمين اليوم أيها المسلمون، أليس الإسلام هو الديانة الثانية في العالم في عدد معتنقيه؟ بلى.

ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام استدرك بأن هذا العدد الكثير غير نافع وشبهه بالغثاء الذي لا فائدة فيه. فقد شبههم بهذا لقلة شجاعتهم وضعف نفعهم كيفية بلا نوعية.

ثم بين عليه الصلاة والسلام أسباب الهزيمة فقال: (ينتزع المهابة من قلوب

---

(١) رواه البيهقي وأحمد، وهو حسن.

عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن). إن وجود الخوف الكبير في قلب المحارب من عدوه يعد هزيمة عليه ونصراً كبيراً لعدوه بلا خسائر؛ لأنه يوقف ذلك المحارب عن اعتدائه، وإذا تحرك للاعتداء تحرك بوجل وضعف لا يستطيع معهما الصمود والمواجهة.

إن هيبة المسلمين في قلوب أعدائهم كانت موجودة لما كان الإسلام هو الذي يحكم المسلمين.

وكانت الهيبة موجودة حينما كان المسلمون يعتزون بدينهم. وكانت الهيبة موجودة عندما كان الهم الأعلى للمسلمين هو هم الآخرة.

فلما تغيرت المبادئ السابقة تغيرت الأحوال فصار للكافرين في قلوب المسلمين هيبة كبرى.

لقد لخص رسول الله أسباب الهزيمة بسببين: (حب الدنيا، وكراهية الموت). فحب الدنيا يتمثل في حب طول البقاء على الحياة وعلى الكراسي وعلى الأموال ومتع الدنيا.

وكراهية الموت يتمثل في الرضا بالذل واستمراء الإهانة وتقبل أوامر الكفر بالسمع والطاعة وفي ترك الجهاد في سبيل الله وعد ذلك إرهاباً يجب محاربته، قال رسول الله ص: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم

الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[١].

فلما قضت الأمة على نفسها بضعفها جاءها عدوها بعد ذلك ليكمل ما تبقى منها.

يا لَكِ من قُبَّرَةٍ بمَعْمَرِ خَلاَ لَكِ الجَوُّ فَبِيَضي واصْفِري

ونَقِّري ما شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِي

أيها المسلمون، إن ضريبة انهزام المسلمين تدفع من دينهم ودنياهم قرناً بعد قرن وعقداً بعد عقد وعاماً بعد عام.

ومن تلك الضرائب: تسليم القيادة لأعداء الأمة، لتسير بها حيث شاءت، كما قال سعد بن معاذ لرسول الله: " فامض بنا لما أردت فنحن معك، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد"!!.

فإلى أين سيذهب الربان الغربي بالأمة؟!

ومن أضحى الغراب له دليلاً يمر به على جيف الكلاب

عباد الله، إن العقل الغربي عقل يدرس الأحداث من جميع الجوانب وينظر إلى منطلقاتها وأبعادها بكل المقاييس الممكنة، ثم يتخذ القرار الجمعي المدروس بعد تلك الدراسات المكثفة.

ويستفيد من أخطائه حتى يتلافها في المستقبل، ويقرأ الماضي قراءة فاحصة

(١) رواه البيهقي وأحمد وأبو داود، وهو صحيح.

ليستفيد منه في حاضره ومستقبله؛ فلأجل هذا نظر الغرب اليوم إلى أن استعماره السابق للبلاد الإسلامية مُكلِف بشرياً ومادياً وزمنياً، فأراد الآن تغيير تلك الطريقة إلى طريقة أجدى نفعاً وأقل كلفة وأسرع تأثيراً، فما ذا فعلوا حتى يكسبوا المعركة بأقل الخسائر وأكثر الأرباح؟

لقد لجأوا إلى الحرب الناعمة أو الحرب عن بُعد، تحت مشروع الفوضى الخلاقة، وذلك بتفتيت الأوطان من داخلها وإشعال فتيل الاضطراب من بينها، ثم تسليم فتيل الإحراق إلى بعض عملائهم فيها ليتحكم باللهب والإحراق المخطط له. حتى إذا شبت النار وكادت أن تقضي على الأخضر واليابس استنكروا وجاءوا كرجال إطفاء ليفرضوا على المستغيثين السياسة التي يريدونها هم.

وقتلتَه بالغدر ثم أتيته بين الجموع تشيّع الجثمانا!

أيها المسلمون، إن مما يدعو للحزن في خضم الكارثة أن يبقى في المسلمين من يحسن الظن بالغرب وأنهم حمائم سلام وحراس العالم الأمناء، ويعلق الآمال عليهم، وينتظر منهم الفرج والنجدة كالغزالة الغارقة في الوحل وهي تستغيث فجاءت الضبع لنجدتها!.

ألا تكفينا العبرة تلو العبرة والنكبة تلو النكبة، ومازال الداعي لا ينزع والذاهب لا يرجع أفي كل موطن لا يعقل الناس؟!

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن شكوى المريض من مرضه باستمرار دون أن يسعى في طريق العلاج حمق، وإن رؤية الأطباء للمرضى وترك علاجهم مع قدرتهم على ذلك خيانة.

فإذن ليس من الحكمة أن يبقى المسلمون يشكو بعضهم إلى بعض عمق الجرح واتساعه وخطره دون أن يكون هناك تعاون مشترك على العلاج.

إن ثوب المسلمين المتهري اليوم لا يحتاج إلى جهة واحدة لإصلاحه، بل يحتاج إلى جهود الجميع. يحتاج إلى جهد الحكومات الصادقة، وإلى جهود الشعوب الصالحة، ويحتاج إلى جهد داخلي وجهد خارجي. فأول طريق الشفاء أن يكون عند المسلمين- حكاماً ومحكومين- عزم على الشفاء، وتلقي الدواء ولو كان مراً في أوله لكنه سيعقب الصحة والعافية.

فالحل أن يرضى الجميع بالإسلام عقيدة وشريعة، كما أنزل الله وكما بلغه رسول الله في تسيير جميع شؤون الحياة. فالإسلام صالح لكل زمان ومكان وأمة.

وعلينا جميعاً أن نعلم أن عدونا لن يهابنا ولن يستريح من أذاه لنا إذا كنا أقوياء بديننا أعزاء بشريعتنا. فالعدو لا يحترم المنبطحين، وإنما يحترم الأقوياء القائمين، الذين

يستطيعون أن يقولوا له بكل عزة: لا، فلماذا يحب بعض الناس أن يصير ذيلاً مع قدرته على أن يصير رأساً.

وعلى أصحاب القرار في بلاد المسلمين أن يتقوا الله في شعوبهم، وأن لا يبحثوا عن مصالحهم الضيقة بصناعة المشكلات وتغذية الصراعات.

وعليهم كذلك أن تقوم على أيديهم المشروعات الحضارية العملاقة التي تنهض بالشعوب علمياً واقتصادياً في جميع مجالات الحياة حتى تكتفي بنفسها ولا تستجدي غيرها.

فإن هذه المشروعات الكبيرة تستطيع أن تغيّب المشروعات الصغيرة؛ لأن المشروع الصغير من حزبية وعرقية ومناطقية لا يظهر إلا حينما يغيب المشروع الكبير.

أخيراً أن نسعى في حل مشكلاتنا بأنفسنا، وأن لا نجعل الحل يأتينا من الخارج؛ لأن الحل الخارجي لا يمكن أن يصل إلينا إلا بفاتورة وضريبة تدفع من السيادة الإسلامية والسيادة الوطنية.

هذا وصلوا وسلموا على النبي محمد...

ظاهرة تكفف الناس وسؤالهم(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، لا خوفَ ولا قلق على الرزق؛ فإنه مقسوم، قد كفله الله تعالى لمن أخرجه إلى هذه الحياة، من الإنس والجن والطير والحيوان وكل ما تدب فيه الحياة.

يقول تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود:٦]. وقال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤٣٤/٤/٥هـ، ٢٠١٣/٢/١٥م.

﴿وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٦٠﴾[العنكبوت:٦٠]. والذي قال هذا ووعد به هو الرزاق الغني العليم، الكريم الرحيم الذي قال في الحديث القدسي: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر)[1].

فلا يظنن ظان-يا عباد الله- أن رزقه سيأخذه غيره وسيقطعه عنه سواه؛ فإن رزقك-أيها الإنسان- إذا لم تعرفه عرفك. قال رسول الله ص: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية؛ فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته)[2].

معشر المسلمين، إن ضمان الله رزق عباده لا يعني القعود عن طلب الرزق، بل الإنسان مأمور بالسعي والانتشار والمشي في جوانب الأرض بحثاً عن ذلك الرزق المقسوم، وإنما تقوم الحياة على بذل الأسباب لنيل المسببَات.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾[الملك:١٥]. وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٠﴾[الجمعة:١٠]. وقال رسول الله ص: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي والبزار، وهو صحيح.

كان يأكل من عمل يده)[١].

أيها المسلمون، إن من المشكلات التي تؤرق العالم اليوم ويئن منها: المشكلة الاقتصادية وتفاقم تمددها يوماً بعد يوم. وقد انتجت هذه المشكلة آثاراً سيئة في المجتمعات، كان من أبرزها: ظاهرة سؤال الناس أموالهم ومد الأيدي إليهم بالسؤال. هذه الظاهرة التي كشرت عن أنيابها، واتسع نطاقها، وتنوعت أساليب أهلها، وصاروا يسيحون في الأرض سيحان السرطان في الأبدان رجالاً ونساء صغاراً وكباراً شيباً وشباناً، في أي مكان يوجدون في الطرقات والشوارع، وفي الحارات ومقرات الأعمال والوظائف وفي المساجد والمدارس، وغير ذلك. وفي أي وقت يشاهدون، يسيرون مع الزمن في جميع ساعاته، فقبل أيام رأيت أطفالاً في على أبواب أحد المطارات الساعة الرابعة قبل الفجر، فأي قلوب أخرجتهم في ذلك الوقت إلى ذلك المكان ولم تخف عليهم؟!

عباد الله، إن هذه الظاهرة لا تدعو الإنسان الذي أنعم الله عليه بالغنى أو الكفاف إلى السخرية بأولئك الناس، بل تدعوه هذه المناظر إلى التألم والشكر لله على ما أنعم عليه، وتدعوه كذلك إلى التفكر في هذه الدنيا التي تتقلب بأهلها ولا تدوم على حال.

فكم من غني افتقر بعد غناه، وكم من فقير اغتنى بعد فقره، وكم من عزيز ذل، وذليل عز. فالعقلاء يعرفون من هذه الدنيا أنه لا ينبغي لذي نعمة أن يأمن فيها، ولا

---

(١) رواه البخاري.

لذي بلية أن يقنط من تغير حاله فيها.

أيها المسلم، إذا أردت أن يحفظ الله عليك نعمته فاشكر الله عليها واصرفها فيما يرضي واهبها. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[إبراهيم:٧].

وداوم على الإحسان منها على الناس ببذل المعروف لهم بالصدقة ونجدة الملهوف ورحمة الضعيف والمسكين. قال رسول الله ص: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء)(١).

وإذا أردت أن يحفظ الله نعمته عليك فلا تحتقر ولا تسخر من الفقراء والمحتاجين، فإذا رأيتهم فاحمد ربك على نعمته عليك؛ لأن الساخر قد يعاقب فيصير كمن سخر منه، قال بعض السلف: "عيرت إنساناً بالفقر فافتقرت بعد أربعين سنة".

أيها المسلمون، إن بعض الناس قد تلم به أزمة أوضائقة مالية أو جائحة تجتاح ماله ولا يجد من يسلفه ويمهله أو يعينه فيعفيه فهذ ا قد أباح له الشارع الرحيم أن يسأل الناس بقدر حاجته فقط، فإذا انقضت حاجته حرم عليه السؤال بعد ذلك.

فعن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله -ص- أسأله فيها فقال: (أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها). قال: ثم قال: (يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك،

---

(١) رواه البيهقي والطبراني، وهو صحيح.

ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو قال: سداداً من عيش -، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو قال: سدادا من عيش -، فما سواهن من المسألة يا قبيصة، سحتاً يأكلها صاحبها سحتا)(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أصل السؤال محرم في المسجد وخارج المسجد، إلا لضرورة، فإن كان به ضرورة وسأل في المسجد ولم يؤذ أحداً بتخطيه رقاب الناس ولا غير تخطيه ولم يكذب فيما يرويه ويذكر من حاله ولم يجهر جهراً يضر الناس مثل أن يسأل والخطيب يخطب أو وهم يسمعون علما يشغلهم به ونحو ذلك جاز، والله أعلم".

وقال الغزالي رحمه الله: "السؤال حرام في الأصل، وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة، فإن كان عنها فهو حرام، وإنما قلنا: إن الأصل فيه التحريم؛ لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة".

عباد الله، إن المشاهد في الواقع يجد أن المسألة لم تعد بقدر الحاجة والكف عند حصولها كما في الحديث السابق، بل قد صارت مهنة عند كثير من الشحاذين والمتكففين، حتى تعودوها وعشقوها وصعب عليهم فراقها ولو اغتنوا. وقد أضحى لديهم طرق متنوعة وجذابة لأخذ أموال الناس بالباطل.

---

(١) رواه مسلم.

إن أكثر هؤلاء الشحاذين قد جنوا على أنفسهم وعلى الناس وعلى المجتمع جنايات كثيرة، فهم أولاً: يشكون الخالق إلى خلقه، ويسترحمون الناس من قضاء الله وقدره.

وإذا ابتُلِيتَ بضيقة فالبس لها ... ثوبَ العفاف فإن ذلك أسلمُ
لا تشكوَن إلى العباد فإنما ... تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يَرْحَم

وثانياً: أنهم يتضرعون بين أيدي الناس ويسكبون الدموع ويكثرون من العويل والاستغاثة والنجدة، وهذا لا يليق إلا أن يكون بين يدي الله تعالى، فهذه الأحوال لو كانت بين يدي الله تعالى وصاحبها صادق فإن الله لن يخيب أمله. قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل:٦٢].

قال الشاعر عبيد بن الأبرص الجاهلي:

من يسألِ الناس يحرموه ... وسائل الله لا يخيب

فمن توكل على الله كفاه، ومن سأله وحده أجاب سؤله ودعاه، فلماذا يبكون إلى الخلق ولا يبكون إلى الخالق الذي بيده مفاتيح السماوات والأرض؟!

وثالثاً: أنهم يظهرون الشكوى والجزع من المصيبة لو كانت حقيقية، والله قد أمر المسلم بالصبر وعدم السخط، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾[لقمان:١٧].

ورابعاً: أن الكذابين منهم قد ارتكبوا إثم الكذب، وربما يضيفون إلى ذلك اليمين

الغموس.

قال رسول الله ص: (من اقتطع مال أخيه بيمينه فلا بارك الله له فيه)(١).

وقال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "اليمين الغموس: اقتطاع الرجل مال أخيه باليمين الكاذبة".

خامساً: أن الذين يصيحون في المساجد منهم قد انتهكوا حرمة المساجد؛ لأن المساجد لم تبن إلا لإقامة ذكر الله تعالى وللصلاة، ولم تبن لتكون منبراً للشحاذين على الدوام. ومن المعلوم أنه قد حُرم إنشاد الضوال فيها، وفعل هؤلاء أشد وأشنع.

سادساً: أن الكذابين منهم أكلوا أموال الناس بالباطل. والله تعالى قد نهى عن ذلك فقال: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[البقرة:١٨٨].

سابعاً: أن غير المستحقين منهم حرموا المستحقين فاشتبه الصادق بالكاذب، وأعطي الخادع وحرم المحتاج.

ثامناً: أن هؤلاء المتكففين يسببون مشكلات اجتماعية كثيرة، منها: ظهور البطالة، وتعطيل القدرات والجهود، وأخذ أموال الناس من غير عناء.

وتاسعاً: أن الكارثة المستقبلية أن هؤلاء الشحاذين قد ربّوا لهم خلفاء من الأجيال القادمة من الأطفال الذي يحملون المهنة بعدهم، وقد يكونون أطفالهم أو أطفالاً استأجروهم على المناصفة أو الثلث.

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى، وهو صحيح.

يقول شيخ الإسلام في تحدثه عن الطالبين من الخلق: "هو ظلم في حق الربوبية، وظلم في حق الخلق، وظلم في حق النفس، أما في حق الربوبية: فلما فيه من الذل لغير الله، وإراقة ماء الوجه لغير خالقه، والتعوض عن سؤاله بسؤال المخلوقين، والتعرض لمقته إذا سأل وعنده ما يكفيه يومه

وأما في حق الناس: فبمنازعتهم ما في أيديهم بالسؤال واستخراجه منهم وأبغض ما إليهم: من يسألهم ما في أيديهم وأحب ما إليهم: من لا يسألهم؛ فإن أموالهم محبوباتهم، ومن سألك محبوبك فقد تعرض لمقتك وبغضك، وأما ظلم السائل نفسه: فحيث امتهنها وأقامها في مقام ذل السؤال ورضي لها بذل الطلب ممن هو مثله، أو لعل السائل خير منه وأعلى قدراً وترك سؤال من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فقد أقام السائل نفسه مقام الذل وأهانها بذلك ورضي أن يكون شحاذاً من شحاذ مثله؛ فإن من تشحذه فهو أيضا شحاذ مثلك والله وحده هو الغني الحميد، فسؤال المخلوق للمخلوق سؤال الفقير للفقير، والرب تعالى كلما سألته كرمت عليه ورضي عنك وأحبك والمخلوق كلما سألته هنت عليه وأبغضك ومقتك وقلاك كما قيل:

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب".

إخواني الكرام، نقول لهؤلاء الذين يطلبون الناس: إن الإنسان لا شرف له بين الناس إلا بالحفاظ على مروءته وعزته، فإذا ذهبت الكرامة وحل الذل مكانها فباطن الأرض خير من ظهرها.

واقرأوا في الأدب العربي ماذا قال الشعراء والحكماء عن المروءة والعزة، وكيف طبقوا ذلك في حياتهم، وتحملوا لأجلها الجوع والظمأ، واستلذوا مرارة الموت، ولم يستحلوا العيش المشوب بالذل.

إن على أولئك الشحاذين الكاذبين أن يعلموا أنهم قد ارتكبوا إثماً عظيماً بهذا الفعل المشين الذي يعود على صحبه بالعواقب الوخيمة في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ص: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم)(١).

وقال: (من سأل وله ما يغنيه؛ جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً أو كدوحاً في وجهه)(٢).

وقال: (من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى، إما بموت آجل أو غنى عاجل)(٣).

فعلى الإنسان المحتاج القادر على العمل أن يعمل ولو في مهنة دنية في نظر الخلق فليست عيباً، إنما العيب تكفف الناس وسؤالهم.

قال رسول الله ص: (لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي الجبل فيجئ بحزمة حطب

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الخمسة، وهو صحيح.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وهو حسن

على ظهره فيبيعها فيستغني بثمنها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)[١].

قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "مكسبة في دناءة خير من سؤال الناس". وقال أيضاً: "إني أرى الرجل فيعجبني شكله، فإذا سألت عنه فقيل لي: لا عمل له، سقط من عيني".

وقال لقمان لابنه: "يا بني، استغن بالكسب الحلال؛ فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، ووهاء مروءته وأعظم من ذلك استخفاف الناس به".

ولا تحسبن الموت موت البلى ... فإنما الموت سؤال الرجالْ
كلاهما موت ولكن ذا ... أشد من ذاك لذل السؤال

نسأل الله أن يفرج عن الصادقين من السائلين، وأن يعافي الكاذبين منهم.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) رواه البخاري.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن المشكلات التي تهدد المجتمعات إذا لم تعالج في بداية الظهور فإنها تستفحل ويعم بلاؤها المجتمع كله؛ لأجل هذا وجب على الجميع التعاون في حل المشكلات المجتمعية ومنها مشكلة تكفف الناس وسؤالهم.

فعلى الدولة إنشاء مكاتب لمكافحة هذه الظاهرة مثل ما أنشأت ذلك بعض الدول. وأن تحقق مع أولئك السائلين فتنظر الصادق منهم فتكفيه، وتنظر الكاذب فتتخذ معه الأساليب الرادعة حتى يكون عبرة لغيره من مبتزي أموال الناس بالباطل.

وعليها كذلك إنشاء المشروعات التي تقضي بها على البطالة وتستوعب الأيدي العاملة لتنتفع البلاد والعباد.

وعليها كذلك أن تقوم حق القيام بركن الإسلام الثالث وهو الزكاة بأخذها ممن وجبت عليه وتوزيعها فيمن وجبت له، فلو حصل هذا الأمر بعدل وحزم وأمانة لما رأينا هذه الظاهرة.

والواجب على عموم المسلمين أن يبحثوا عن المحتاجين خصوصاً بين الجيران والأقارب، فكم من محتاج يمنعه حياؤه أن يظهر حاجته للناس. قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ

﴿إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾[البقرة:٢٧٣].

قال رسول الله ص: (ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس)[1].

نسأل الله أن لا يجعلنا بنعمته متباهين، ولا من خلقه ساخرين، ولا من دوام نعمته وزيادتها محرومين.

هذا وصلوا وسلموا على النبي الأمين...

(١) متفق عليه.

عقيدة الولاء والبراء وأثرها في حياة الأمة(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

عباد الله، في ظل الانحدار المتتابع الذي يتجه إليه المسلمون في عصرنا الحاضر تغيب كثير من مفاهيم الدين وقيمه الحميدة التي تعز المسلمين. وحينما تجذر في قلوب كثير من أهل الإسلام اليوم مرض الضعف والهوان سهل على بعضهم التنازل عن مبادئ دينهم وأحكام شريعة ربهم؛ تقرباً إلى أعداء الدين ورهبة من غضبهم عليهم. قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى

---

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٠/٧/١٤٣٥هـ، ٩/٥/٢٠١٤م.

ﭐللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[المائدة:٥٢].

وعندما صارت الدنيا هي الهم الأكبر والجائزة العظمى والهدف السامي الذي يعيش لأجله الجم الغفير والعدد الكبير بيعَ الدينُ والقيم الحميدة والعادات العرفية الشريفة.

وتحت هذه السحب الكثيفة من التغيرات العجيبة غدا المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والصديق عدواً والعدو صديقاً.

أيها المسلمون، إن أمة الإسلام أمة من دون الناس، متميزة بعقيدتها الصحيحة وأحكامها العادلة وأخلاقها المستقيمة إذا ما عملت بهذا الدين. وهي أمة لا تقبل الانصهار في مستنقعات الانحدار ولا تستمرئ البقاء في مواطن الذل والانكسار. ولكنها أمة تعيش مع الآخرين عيشة العزيز الذي يحافظ على قيمه الفاضلة من غير ظلم لمن سواها.

إن سماحة الإسلام الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من عند ربه تعالى إلى هذه الأمة لا تعني التنازل عن عقيدة الولاء والبراء وجعل المسلم والكافر على حد سواء. قال تعالى: ﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحشر:٢٠].

وقال: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾[السجدة:١٨].

أيها الفضلاء، إن الولاء والبراء عقيدة ثابتة دعا إليها الإسلام؛ فقد بين الله تعالى أن الولاية والمحبة والنصرة إنما تكون للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾[التوبة:٧١].

ونهى تعالى المؤمنين أن يتخذوا اليهود والنصارى حلفاء وأنصاراً على أهل الإيمان. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾[المائدة:٥١].

ونهى الله المؤمنين كذلك عن ولاية الكافرين ولو كانوا من الأقربين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾[التوبة:٢٣].

وقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾[المجادلة:٢٢].

عباد الله، إن عقيدة الولاء والبراء قضية قام بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم القدوة الذين يقتدى بهم في الطريق إلى الله تعالى.

فنوح عليه السلام يذكر الله خبره مع ابنه الكافر فيقول: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾[هود:٤٥-٤٧]. إنها مفاصلة قائمة على البراءة ممن لم يؤمن بالله ولو كان ولداً: إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح.

وخليل الرحمن يعلن البراءة صريحة من أبيه وقومه المشركين بعد أن لم يستجيبوا لدعوة التوحيد، ففارقهم وترك أرضه وخرج مهاجراً إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ

قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الزخرف:٢٦-٢٨]. وقال: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾[العنكبوت:٢٦].

وقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾[الممتحنة:٤].

هكذا يترك الأهل والأقارب والأوطان إذا كانت تحول بين العبد وربه، إنها براءة من محبوبات النفس ابتغاء وجه الله تعالى.

وهذا نبيا عليه الصلاة والسلام يقول: (إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين)[١].

وقد سارع صحابة رسول الله ص إلى تطبيق هذه العقيدة الصحيحة حتى مع أقرب الناس إليهم. ففي غزوة بدر التي التقى فيها الأقارب بالأقارب والأصحاب بالأصحاب والجيران بالجيران والسادة بالعبيد تمثلت هذه العقيدة في قتل المسلم أباه أو أخاه أو خاله أو صديقه أو جاره من أجل الله تعالى حينما حالوا بين النور الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام وبين وصوله للناس في الظلماء وآذوا من اقتبسه حتى وصل الحد ببعضهم إلى قتل من استضاء به.

---

(١) رواه البخاري.

فأبو عبيدة قتل أباه، وبعد انتهاء المعركة مر مصعب بن عمير بأخيه أبي عزيز بن عمير الذي خاض المعركة ضد المسلمين،مر به وأحد الأنصار يشدّ يده، فقال مصعب للأنصاري: شد يديك به؛ فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصاتك بي؟! فقال مصعب: إنه –أي: الأنصاري – أخي دونك.

أيها المسلمون، إن مبدأ الولاء والبراء بدأ يتلاشى من بين المسلمين شيئاً فشيئاً، فحينما حصل الانهزام داخل النفوس أصبح المسلم ينظر إلى الكفار بعين الإكبار في كل شيء ناسياً أو متناسياً ما يحملونه من الكفر بالله وكراهيتهم للمسلمين ولدينهم. وغاب هذا المبدأ لما كثر الجهل بدين الله وغدا كثير من المسلمين لا يعلمون من دينهم إلا القليل. وغاب مبدأ الولاء والبراء حينما أضحى المسلمون في ذيل قافلة الحضارة المعاصرة فغدوا يستجدون كثيراً من أمور حياتهم من أعدائهم. وغاب هذا المبدأ عندما أمسى العالم الإسلامي محكوماً من قبل الغرب وما عليه إلا السمع والطاعة وإلا فالعقوبات تنتظره.

عباد الله، إنه لما حصل هذا الغياب لهذا المفهوم العظيم ظهرت علامات الولاء لأعداء الإسلام بين المسلمين، ومن مظاهر ذلك:

التشبه بالكفار في المأكل والمشرب والملبس والعيش والنظرة إلى الحياة، وهذا أمر حتمي؛ فإن من طبيعة المنهزم أن يقلد من هزمه لقيام تعظيمه في النفس.

وقد حذر رسول الله ص من التشبه بهم؛ خشية أن يسوق ذلك إلى الانحراف والرضا عن ما يفعلون من الكفر.

قال النبي ص: (من تشبه بقوم فهو منهم)[1].

ومن المظاهر: إعانتهم ونصرتهم على المسلمين بالسلاح أو بالمال أو الإعلام أو غير ذلك.

ومنها: تهنئتهم بأعيادهم الدينية ومساعدتهم عليها، والتسمي بأسمائهم الخاصة، والثقة بهم وائتمناهم على أسرار المسلمين.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[آل عمران:١١٨-١٢٠].

عباد الله، إن دين الإسلام يوجب على المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً، فإن كانت لهم أخطاء فيمكن علاجها دون البراءة منهم ومساواتهم بالكفار. فالولاء للمسلمين يعني محبتهم على قدر طاعتهم.

قال رسول الله ص: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في

(١) رواه أبو داود والطبراني، وهو صحيح.

الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[١].

والولاء للمسلمين يعني مناصرتهم ومساعدتهم ونجدتهم والوقوف معهم.

قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾[الأنفال:٧٢].

قال رسول الله ص: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[٢].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

أيها المسلمون، في نهاية هذا الموضوع لابد أن نعي حقيقتين مهمتين:

الحقيقة الأولى: أن طبيعة العلاقة بين الحق والباطل هي الصراع المحتدم منذ بداية الخليقة. فمن ظن أن اليهود والنصارى والوثنين يحبوننا ويرضون عنا فهو مخطئ. قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[البقرة:١٢٠].

وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[البقرة:٢١٧].

ومن ظن أن الولاء والبراء لا يوجد عند الكفار وإنما يوجد عند المسلمين فهو مخطئ أيضاً فالولاء والبراء موجود في كل ملة حيث يوالي أهل كل ملة أهل ملتهم ويعادون من ليس منهم.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[الأنفال:٧٣].

وقال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[التوبة:٦٧].

وواقعنا يشهد لهذه الحقيقة بكل تفاصيلها.

الحقيقة الثانية: إن تطبيق المسلمين لمبدأ الولاء والبراء من الكافرين لا يعني أبداً

أن نظلمهم أو نسقط حقوقهم المشروعة، فمن فعل ذلك من المسلمين فقد تعدى وأساء وظلم.

ولا يعني البراء من الكافرين أن نعتدي على المسالمين منهم بقتل أو جرح أو إيذاء.

قال رسول الله ص: (ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)(١).

وقال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما)(٢).

ولا يعني البراء من الكافرين سوء التعامل معهم، بل المسلم مأمور بحسن المعاملة مع الكافرين؛ رجاء إسلامهم حينما يرون الأخلاق الحسنة والتعامل الصادق. لكن حسن المعاملة لا يعني التنازل عن شعائر الإسلام أو الذل والخضوع لهم.

ولا يعني البراء من الكافرين قطع جميع العلاقات وعدم التعايش معهم والاستفادة مما عندهم من أمور الحيادة الدنيا، بل لابد أن تكون هناك علاقات متصلة كالعلاقات الاقتصادية المباحة والعلاقات العلمية النافعة.

ولهذا عاش رسول الله ص مع اليهود في المدينة وتعامل معهم اقتصادياً ولم يقطع هذه العلاقة معهم.

نسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن يرد المسلمين إليه رداً جميلا.

---

(١) رواه أبو داود، وهو صحيح.

(٢) رواه البخاري.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

فضل إحسان الإنسان إلى غيره(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

---

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٣/ ١٤٣٢هـ، ١٤/ ٧/ ٢٠١١م.

فيقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥].

أيها المسلمون، هذا أمر من الله تعالى لعباده بالقيام بالإحسان الذي هو فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي، فيجتمع بذلك الفعل وإكماله وإتمامه وإتقانه، ووعدهم سبحانه وتعالى على إحسانهم بإحسانه إليهم بمحبته لهم. وهذا فضل عظيم، و﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ٦٠﴾[الرحمن:٦٠].

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد حديث القرآن العزيز عن فضيلة الإحسان حديثاً مطنباً مفصلاً، فقد تحدث القرآن العظيم عن الأمر به والحث عليه، ودعوة الناس إليه، وذكر أعمال الإحسان وخصاله، ووعد المحسنين بالبشارة والزيادة، والمحبة والثواب والجنة. وهذا فضل عظيم وخير كثير يغتنمه الإنسان من عبادة الإحسان.

إن الإحسان عمل عظيم ينتج عن النفوس السليمة التي يدب فيها الخير ليتجه إلى جهات كثيرة؛ ولذلك قال رسول الله ص: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء)(١).

عباد الله، إن أولى من يحسن إليه الإنسان: نفسه التي بين جنبيه، التي سيُسأل عنها ويحاسب على أفعالها في دنياه وأخراه. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ [المدثر:٣٨].

فكيف تحسن إلى نفسك أيها الإنسان؟

أحسن إلى نفسك بأن تسلك بها الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم

(١) رواه مسلم.

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. فإذا أقبلت على العبادة فأقمها بإتقان، واعملها بلا رياء وابتغاء الخلق، فعمل العبادة وإتقانها من أحسن الإحسان.

وأحسن إلى نفسك بأن تحبسها على الحق، وتحول بينها وبين الباطل، وتلجمها بلجام الصبر عن اتباع الهوى والأمر بالسوء.

وأحسن إلى نفسك بأن تعزها عن مواطن الذل، وتبقيها في هامات العز، وأحسن إلى نفسك بأن تأخذ لها من الدنيا ما يكفيها ولا يلهيها، ويكرمها ولا يهينها، ويحييها ولا يهلكها بهمِّ جمعها وخوف فواته عليها.

وأحسن إلى نفسك بأن تؤدي إلى الناس حقوقهم من نفسك، وتبعد نفسك عن الإضرار بهم.

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها ... لنفسي على نفسي من الناس شاغل.

معشر المسلمين، إن أحق الخلق على الإنسان-بعد نفسه- بالإحسان إليه: والداه اللذان دخل إلى هذه الحياة بسببها، ووصل إلى ما وصل إليه بعد جهدهما ورعايتهما.

فما أجمل أن يحسن إليهما بالوجه المبتسم والكلمة الطيبة، وبطاعة أوامرهما، والاعتناء بهما، وتفقد أحوالهما، وجلب ما يسرهما، وإبعاد ما يضرهما، وخفض الجناح لهما، والسؤال عنهما، وإكرام أصدقائهما، والنفقة عليهما، والدعاء لهما حيين أو ميتين.

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[الإسراء:٢٣-٢٤].

وعن عبدالله بن دينار عن ابن عمر: أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة وعمامة يشد بها رأسه فبينا هو يوماً على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي فقال: ألست ابن فلان بن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا، والعمامة اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك؟! فقال: إني سمعت رسول الله ص يقول: إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه، بعد أن يولي، وإن أباه كان صديقاً لعمر)(١).

أيها الأحبة، ومن الإحسان العظيم: الإحسان بين الزوجين، أن يحسن الرجل إلى زوجته بحسن معاشرتها، وحثها على الخير والطاعة، والنفقة عليها بالمعروف، وإعطائها حقوقها المالية والنفسية والفراشية المشروعة، من غير ظلم، ولا مانع من التأديب بالقول أو بالفعل عند الحاجة من غير كسر أو جرح أو تعذيب؛ فإن تقويم النساء عند الميل والزيغ إحسان مطلوب.

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾[النساء:١٩].

وعن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا

(١) رواه مسلم.

عليه؟ قال: (أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت)(١).

وعلى الزوجة أن تحسن إلى زوجها: بطاعته بالمعروف، والسعي في مراضيه قدر ما تستطيع، والاعتناء ببيته وماله وأولاده، وصيانة نفسها عما يخدش العرض والشرف.

قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ...﴾[النساء:٣٤].

وعن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: أتيت رسول الله ص في بعض الحاجة فقال: (أي هذه أذات بعل؟ قلت: نعم، قال: كيف أنت له؟ قالت: ما آلوه - أي: لا أقصر في طاعته وخدمته- إلا ما عجزت عنه، قال: فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك)(٢). أي: سبب دخولك الجنة بطاعتك له في الحق، أو سبب دخولك النار بمعصيتك له.

عباد الله، ومن مجالات الإحسان: إحسان الوالدين إلى أولادهما، بداية باختيار الأب للأم، واختيار الأم للأب، فهذا أول إحسان إليهم. قال أب لأولاده:

وأول إحساني إليكم تخيري لماجدة الأعراق بادٍ عفافها

ثم الإحسان بتربيتهم التربية الصالحة وتنشئتهم التنشئة النافعة، التي تقوم على مراقبة بغير تجسس، ولين بلا ضعف، وحزم بلا عنف، وتقويم بلا تضييق، واختيار

(١) رواه أبو داود وابن حبان، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد والنسائي، وهو صحيح.

للصديق والجليس من غير إجبار. فيا من شغله ماله وتجارته عن أولاده، اعلم أن تربية الأولاد أهم من تربية الأموال، وحراستهم أولى من حراستها؛ لأن خسارتها تعوض وتسترد، وأما خسارتهم فقد لا تعوض ولا تسترد. فكما تحسن إليهم في غذائهم وكسائهم ودوائهم، فأحسن إليهم بهدايتهم إلى الطريق الصحيح الذي ينقذهم في الدنيا والآخرة. فلا تغش ولدك في صغرهم بنسيانك وإهمالك، فيغشوك في كبرك بتركك وعقوقك.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[التحريم:٦].

وقال النبي ﷺ أنه قال: (ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)(١).

عباد الله، ومن مجالات الإحسان: الإحسان إلى الأقارب، فهم أولى بالإحسان من غيرهم؛ لأن الإحسان إليهم صلة ومعروف. ويكون الإحسان بصلتهم وحسن تعهدهم، وبذل الخير لهم، والسؤال عنهم، ووصل قاطعهم، والحلم عن جاهلهم، والعفو عن مسيئهم. وصنع المعروف لهم. والإحسان إلى الأقارب يعمق هذه الرابطة ويحافظ عليها، ويقضي على أسباب تصدعها، وهو نجاة من القطيعة، ونجاة من الطرد

(١) متفق عليه.

من رحمة الله، وسبب لبركة العمر وسعة الرزق.

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾[محمد:٢٢-٢٣].

وقال رسول الله ص: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)(١).

أيها الفضلاء، الجيران في المنزل أو العمل أو الدراسة لهم حق من الإحسان، فمازال جبريل يوصي النبي عليه الصلاة والسلام بالجار حتى ظن أنه سيورثه من جاره؛ لعظم حق الجار على جاره. فمن الإحسان إلى الجيران: بذل المعروف لهم، وكف الأذى عنهم، وحمايتهم والدفاع عنهم، والصبر ما يصدر منهم من سوء، وتفقد أحوالهم. وهذا كله من إكرام الجار.

قال رسول ص: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)(٢).

أيها المسلم، بث إحسانك –بعد ذلك– بين إخوانك المسلمين، فابذل لهم المعروف القولي والفعلي، آخهم وأرشدهم، وأغثهم وأصلح بينهم، وأفش السلام فيهم، وآثرهم

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

وتعاون معهم في الحق. عظم حرماتهم، فرج كرباتهم، تواضع لهم وتودد إليهم، وأثن عليهم بما تعرف من الخير عنهم، واشفع لهم شفاعة حسنة، وأحسن معاملتهم، وأحسن الظن بهم. وادع لهم، وارحمهم، وارفق بهم، واسترهم، وواسِ فقيرهم، واعطف على أراملهم ويتاماهم، وتجاوز عن معسرهم إذا أسلفته، وسامحهم، واعف عنهم، وأنصفهم من نفسك، واكتم أسرارهم، واصبر على أذاهم. عد مريضهم، وشمت عاطسهم، وأجب داعيهم إلى الخير، واتبع جنازتهم. فإن فعلت ذلك -مع الإيمان- فإن ذلك سعادة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء:٣٦].

وقال رسول الله ص: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال:كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر)(١).

عباد الله، ومن مجالات الإحسان: الإحسان إلى العمال والأجراء والموظفين، بإعطائهم حقوقهم والتخفيف عليهم واحترامهم، وإبعاد الظلم عنهم.

قال صاحب مدين لموسى عليه السلام حين أراد استئجاره في رعي الغنم: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ

(١) متفق عليه.

عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾[القصص:٢٧].

وقال رسول الله ص: (ما خففت عن خادمك من عمله فهو أجر لك في موازينك يوم القيامة)(١). وقال: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)(٢).

أيها المسلمون، ومن مجالات الإحسان: الإحسان بين الراعي والرعية، فإحسان الراعي إلى رعيته بإصلاح الدين وسياسة الدنيا به فيهم، والرفق بهم ورعاية مصالحهم.

وإحسان الرعية: بطاعة راعيهم بالمعروف، ونصحه باللين، ورفع سِير ولاته الجائرين إليه حتى يضبطهم، ويردهم إلى الحق.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩].

وقال رسول ص: (اللّهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به)(٣).

ومن مجالات الإحسان أيضاً: الإحسان إلى الكافر، بحسن معاملته، وإعطائه حقوقه، وتمثل الإسلام الصحيح أمامه، ودعوته إلى الإسلام بالأسلوب الحسن. فقد

---

(١) رواه ابن حبان والبيهقي، وهو صحيح.

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي، وهو حسن.

(٣) رواه مسلم.

يكون الإحسان إليه سبب هدايته، وقد حصل هذا في الواقع كثيراً، وهذا خير عظيم يساق إلى المحسن.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)[١].

ومن مجالات الإحسان كذلك: الإحسان إلى الميت، بحسن تجهيزه، وتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ومواراته، وعدم سبه، والابتعاد عن كسر عضو من أعضائه.

قال رسول الله ص:(لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا)[٢]. وقال: (إن كسر عظم المسلم ميتا ككسره حي)[٣].

ومن مجالات الإحسان أيضاً: الإحسان إلى الحيوان، بعدم إيذائه، وتوفير ما يكفيه من الطعام والشراب، وعدم العبث به وتعذيبه، وإحسان ذبحه إن كان مما يذبح.

قال رسول الله ص: (بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر)[٤].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان، صحيح.

(٤) متفق عليه.

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: (مر رسول الله ص على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها قال: (أفلا قبل هذا؟ أو تريد أن تميتها موتات)؟![1].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه الغفور الرحيم

(١) رواه الطبراني والحاكم، وهو صحيح.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن من فضل الله تعالى على عباده أن عجل لهم بعض ثواب أعمالهم في الدنيا قبل الآخرة؛ حتى يذوقوا حلاوة الجزاء الحسن؛ ليستمروا على تلك الأعمال الصالحات، ويدعوا غيرهم إليها، بعد أن عرفوا طيبها، فمن ذاق عرف ودعا من لم يعرف.

فلهذا فإن الإحسان يثمر لأهله ثمرات يانعة في الحياة الدنيا، وفي الآخرة كذلك.

فالإحسان إلى الخلق يورث صاحبه انشراح الضمير، وسرور النفس، والسعادة والطمأنينة، بل قد يجد المحسن من اللذة والراحة أكثر ممن أحسن إليه، وكم يفرح المحسن حينما يرى أثر إحسانه ظاهراً بين الناس في نجدة ملهوف، أو شفاء مريض، أو إيواء طريد، أو إسعاد أسرة متعففة، أو قضاء على مشكلة في المجتمع، فعندما يشاهد هذه الآثار الحسنة يحمد الله على إعانته على هذا الخير، ويسأله أن يكون لوجهه خالصاً، فيقول: هذا من فضل ربي. فما يجده من هذه الآثار إحسان من الله إليه جزاء إحسانه إلى خلقه. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

عباد الله، إن المحسن قد تُدفع عنه مصائب، وتصرف عنه جوائح، وسبب ذلك:

إحسانه إلى عباد الله تعالى. قال رسول الله ص: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)(١). وقال أيضاً: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء)(٢).

والجزاء من جنس الأعمال.

أيها الكرام الفضلاء، أما الجزاء الأوفى والثواب الأوفر للمحسنين فهو بانتظارهم عند الله الكريم يوم لقائه، يحبهم، ويرضى عنهم، ويكرم نزلهم، ويغفر خطاياهم، ويدخلهم جنة عرضها السماوات والأرض.

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس:٢٦].

نسأل الله أن يجعلنا ممن أحسنوا عبادة الله، وأحسنوا إلى خلق الله.

هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير والسراج المنير....

---

(١) رواه مسلم والأربعة.

(٢) رواه الطبراني، وهو حسن.

قارون وسكرة المال(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ

---

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٩/١١/١٤٣٣هـ، ٥/١٠/٢٠١٢م.

فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٧٦-٨١].

أيها الناس، إن في حديث الغابرين عبرة للمعتبرين، وموعظة بالغة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد من الخالفين؛ لأنه حديث يسوق الذكرى ويكشف النهاية والعقبى؛ ليكون درساً لمن خلف في سلوك درب من سلف أو في عدم سلوكه.

فهي موعظة للإنسان الحي بالإنسان الميت؛ ليصحح المسير ويستشرف المصير؛ وكم أحيا الله بأموات القبور أمواتاً يعيشون في الدور والقصور.

فمن كان واعياً مستقيماً ازداد جداً وتشميراً في سبيله المستقيم، ومن كان معوج الطريق-وعقل الموعظة-أعاد خطى مسيره إلى ربه عبر درب النجاة بعد أن انحرف عنه. والموفق من جعل الله له في غيره عبرة، والمخذول من جُعل عبرة لغيره.

عباد الله، في هذه القصة القرآنية عبر وعظات، وآيات منيرات، توضح للسالك صورة عن الطبيعة البشرية وتعلّقها بالفاني العاجل والمظهر الزائف الخادع.

وتصوّر لها بعض المشاهد الناتجة عن جحود النعمة ونسيان المنعم، وانتصار الهوى على العقل والجهل على الإصابة والحكمة.

تأتي هذه الآيات الكريمة مرغبة ومرهبة، مرغبة في العمل على بناء الحياة الناجحة المطمئنة التي تقوم على صلاح الدنيا والدين، جاعلة الهم الأكبر هو التعلق بالدار الآخرة وعدم الاغترار بزينة الدنيا الزائلة.

ومرهبة أيضاً من ركوب الغرور والجحود والتباهي الممقوت، ومرهبة كذلك من الغفلة عن الآخرة وما فيها، ومن الإغراق في لهو الدنيا وأعراضها الذاهبة.

أيها المسلمون، فحوى هذه القصة وحديثها عن قضية المال ونظرة الناس إليه، وفيها نموذج للغني البطر الذي غرق في النعمة وسكر فيها ونسي المنعم عليه بها، وفيها تعريج للحديث عن تشوف الناس واستشرافهم إلى النعمة التي يرفل بها قارون، ثم العظة ببيان الخاتمة السيئة للمغرور بنعمة الله ورجوع الناس إلى رشدهم بعد أن سباه منظر قارون في فخره وبطره.

تبدأ القصة بذكر اسم الرجل المغرور وانتسابه إلى قوم موسى، وبيان معصيته الكبرى بين قومه، وقيام بعض النصحة منهم بنصحه لعله يعود عن غيه وبغيه بعد أن طمس الأشر والبطر رؤية الحقيقة عنده.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾[القصص].

عباد الله، إن المال هبة من الله تعالى يبسطه على من يشاء ويقدره على من يشاء، وكل ذلك بعلم وحكمة العليم الخبير. قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾[الشورى:٢٧]. وليس للعباد مع هذا التقدير والقسمة إلا الرضا والتسليم من غير تسخط وتضجر؛ لأنه قدر العليم الخبير. فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط.

قال رسول الله ص: (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)[١].

لكن هذا الرضا بالفقر-لمن قدر عليه رزقه- لا يعني البعد عن أسباب الغنى التي بمقدور الإنسان الصالح تحصيلها؛ لأن الإسلام لا يحبذ لأهله أن يعيشوا فقراء وهم بمقدورهم أن يصيروا أغنياء غنى لا يطغيهم ولا يلهيهم.

فالغنى لا يذم لذاته، إنما يذم الأغنياء الذين صرفوا هذه النعمة إلى ما لا ينبغي. ولهذا رغب الإسلام المسلمين في تحصيل الرزق والبحث عنه في مظانه المشروعة، ومدح الأغنياء الصالحين الذي استثمروا هذا الخير في سبل الخير.

قال رسول الله ص-في عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان له اليد الطولى في تجهيز

---

(١) رواه أحمد والترمذي والبيهقي، وهو حسن.

جيش العسرة-: (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين)(١).

عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث إلي النبي ص فأمرني أن آخذ علي ثيابي وسلاحي، ثم آتيه، ففعلتْ، فأتيته وهو يتوضأ، فصعد إليّ البصر. ثم طأطأ، ثم قال: (يا عمرو، إني أريد أن أبعثك على جيش، فيغنمُك الله وأرغب لك رغبة من المال صالحة). قلت: إني لم أُسلم رغبةً في المال، إنما أسلمتُ رغبة في الإسلام فأكون مع رسول الله ص. فقال: (يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح)(٢).

وقد أباح ديننا الحنيف كثيراً من أنواع البيوع والمعاملات المالية التي يكثر فيها المال وينمو، وجعل المعاملات المحرمة في نطاق محدود وإطار ضيق.

وشرع كذلك الأسباب التي يزداد بها المال ويزكو كالزكاة والصدقة، خلافاً لما يظنه البخلاء أن الزكاة والصدقة تنقصان المال.

قال رسول الله ص: (ما نقص مال عبد من صدقة)(٣).

أيها المسلمون، إن المال حينما يميل بصاحبه من الشكر إلى الجحود، ومن التواضع إلى الغرور، ومن اكتسابه من الوجوه المباحة وإنفاقه في الجهات المشروعة إلى أخذه من الطرق المحرمة وبذله في السبل المحظورة إذا كان الأمر كذلك فهذا هو الذي ذمه

---

(١) رواه أحمد والترمذي، وهو حسن.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

(٣) رواه أحمد والترمذي، وهو صحيح.

الشرع في هذه المسألة، وهو الغالب على النفوس البشرية.

قال رسول الله ص: (الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا، وكسبه من طيب)(١).

في هذه القصة يتعالى قارون على قومه بكثرة ماله فيبدو عليه الزهو وازدراء الناس حتى أعرض عن الإسلام لموسى عليه السلام، وأبى قبول نصيحة الناصحين وركب مركب الغرور الذي ساقه إلى الخسف والهلاك.

وهكذا يفعل المال بصاحبه إذا لم يشكر العطية ويعرف حق معطيها، فعند ذلك تؤوب النعمة إلى نقمة والمنحة إلى محنة، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ليس قارون وحده من صيّر نعمة الله عليه نقمة على نفسه، بل هناك أشرون لا يحصون، وفي القرآن الكريم ذكر الله أمثلة عن بعضهم، ففي سورة النحل يضرب الله المثل بقرية أنعم الله عليها بالأمن ورغد العيش، لكنها كفرت ذلك، فأبدلها الله عن تلك النعمة جوعاً وخوفاً ملازمين لها ملازمة الثوبِ الجسد، يقول تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[النحل:١١٢].

وفي سورة الكهف ذكر الله قصة صاحب الجنتين اللتين غرتاه وأبطرتاه، فتحولتا إلى هلاك وبوار، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا

(١) رواه ابن حبان وابن ماجه، وهو حسن.

بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾[الكهف:٣٢]، إلى قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾[الكهف:٤٢].

وفي سورة سبأ ذكر تعالى خبر قوم سبأ في مأرب القريبة من هاهنا، الذين أسرفوا على أنفسهم بالكفر وجحود النعمة، وسئموا الاستمرار فيها لما لم يشكروها، فغرقت تانك الجنتان بأموالهم وآمالهم وأُبدلوا عنهما ثمراً مراً لا ينفع، وتفرقوا في الجزيرة العربية شذر مذر حتى ضرب العرب المثل بتفرقهم بعد ذهاب نعمتهم فقيل: تفرقوا أيدي سبأ، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾[سبأ:١٥-١٦]. إلى قوله: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾[سبأ:١٩].

وفي سورة القلم ذكر قصة أصحاب الحديقة المثمرة الذين منعوا حق الله فيها، فصارت بعد نية السوء إلى ليل أليل من الهلاك والاحتراق، فقال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾[القلم:١٧]، إلى قوله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾[القلم:١٩-٢٠].

عباد الله، إن النماذج القارونية ما زالت منتشرة في كل زمان، وقد توجد في كل بلاد، غير أن القارونيين المتأخرين لم يعتبروا بنهاية قارونهم الأول!، فكأن بطر النعمة يغطي أسماعهم عن سماع المواعظ، وأبصارهم عن رؤيتها، وقلوبهم عن وصولها

إليها. قال تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[البقرة:٧].

أيها الأحبة الفضلاء، في هذه القصة يبرز لنا دور النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجيه الدعوة للعصاة معذرة إلى الله لعلهم عن عصيانهم يرجعون.

إذ قال قوم قارون لقارون هنا: ﴿ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص]، وكذلك وجهت النصيحة إلى المتشوفين إلى ما عند قارون الذين غبطوه على ما أُوتي، قال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[القصص]. إن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي صِمَام الأمان للمجتمعات، وسبب من أسباب رحمة الله بأهلها وبقاء الخير فيها، أما إذا نُهي عن المعروف وضُيِّق على أهله وحوربوا، وأُمر بالمنكر وفسحت المجالات لأصحابه وسُلطت عليهم الأضواء وأُعينوا على منكرهم فذلك منجل حصادِ الفضائل والنعم، والحبل الذي تستنزل به صنوف البلايا والنقم.

فالمنكرات لا تقل ولا تذهب إلا بقيام النصيحة والناصحين، فإذا ولّت النصيحة عن مجتمع فستحل فيهم اللعنة والغضب والشقاء.

قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾[المائدة:٧٨-٧٩].

قال النبي ص: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم)(١).

أيها المسلمون، في هذه القصة إشارة لطيفة إلى مسألة ترشيد المال في الإسلام وكيفية التعامل الصحيح معه. فالمال الحلال نعمة عظيمة على صاحبه حينما يستغله في طلب الآخرة بمساعدة ذوي الحاجة والنفقة في وجوه البر والاستعانة به على إصلاح الدين والدنيا.

والإسلام لا يطلب من رب المال إنفاقه كله ولو في وجوه الخير، بل يأمره أن يبقي لنفسه منه ما يحتاجه؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ** ٣ ﴾[البقرة:٣].

قال كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله ص: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك)(٢).

---

(١) رواه أحمد والترمذي، وهو حسن.

(٢) متفق عليه.

فمن المال المتبقي بعد أداء حق الله تعالى ما ينفقه المسلم على نفسه وأولاده وأهله في المباحات من غير إسراف. ولذلك قال تعالى هنا: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ..﴾[القصص:٧٧].

معشر المسلمين، في هذه القصة ذكر سبب من أسباب الفساد في الأرض وهو المال، فالمال إذا لم يسخر في المباح والخير كان من أكبر دواعي الفساد الخاصة والعامة. يقول تعالى هنا: ﴿...وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[القصص].

وفي هذه القصة يبدو الكبر والغرور مانعاً سميكاً من موانع قبول الحق والاستجابة لداعي الرشاد والهدى. فالنفس المتكبرة أرض صُلبة جدباء لا تقبل غيث النصيحة وكلمة الحق إلا أن يشاء الله، خصوصاً إذا كان الناصح أقل شأناً ومالاً وقدراً من المنصوح. فرفضُ الحق وعدم الإذعان له صفةٌ من صفات المتكبرين، وبهذا عرّف رسول الله ص الكبر بهذا فقال: (الكبر بطر الحق وغمط الناس)[١]. فقارون لما سمع النصيحة من ناس لم يصلوا مرتبته ردها وأبدى استحقاقه الذاتي للنعمة، ولم يعتبر بما جرى لأسلافه من أمثاله. فقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص].

وفي هذه القصة -أيها الأحبة- شنشنة تعرف عن أخزم وعادة تظهر على أهل الكبر

(١) رواه مسلم.

هي أنهم يحبون الظهور بمظاهر العلو وسرقة الأنظار إليهم، ظانين أنهم يزدادون جلالاً وجمالاً، والحقيقة أن الأمر على خلاف ظنهم؛ فإنهم إذا كانوا ينظرون إلى الناس من الأفق البعيد ويرونهم صغاراً في أعينهم فالناس كذلك إليهم ينظرون، فالطائر الكبير المحلق في السماء يرى تحته الأشياء صغيرة جداً، وكذلك الناس يرونه في السماء نقطة دقيقة وقد لا يرونه لصغره.

غير أن ضعاف النفوس وذوي النظرة الدونية يرون ذاك الازدهاء وذلك الشموخ الفارغ للغني المتكبر حقيقة فيتمنون ذلك الحظ المنتفخ! مع أن الحقيقة تقول لهم: إن المظاهر لا تحكي الضمائر غالباً فانتفاخ الطبل لا يعبر عن امتلاء جوفه؛ ولهذا قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ...﴾[المنافقون:٤].

وفي هذه القصة قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)﴾[القصص].

أحبابي وإخواني، إن العلماء العاملين هم حراس الملة اليقظون على أعتابها، الذي يعيشون بين الناس كالشمس للدنيا والعافية للأبدان. فإذا رأوا الناس مقبلين على الفتنة أخذوا بحجزهم حتى لا يتقحموها، وإذا رأوهم مدبرين عن الهدى والخير نادوهم أن هلموا إلينا ندلكم على سعادة الدنيا والآخرة. لكن إذا غاب العلماء عن هذا الحضور وغدوا مع أهل المنكر أو انكفأوا على مصالحهم وتركوا أمر الناس، فكبر على المجتمع أربعاً، وقل عند ذلك:

سلام على الدنيا سلام على الورى   إذا ارتفع العصفور وانخفض النسر!

وفي هذه الآيات يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[القصص].

هذا هو المشهد الأول في هذه القصة مشهد النعمة والزهو بها، وتبقى المشهد الأخير منها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

أيها المسلمون، يقول تعالى: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[لقمان:٢٤].

ويقول: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام:٤٤-٤٥].

نعم، لقد تمتع قارون بالمال ما تمتع، وأخذ من الزهو والغرور ما أخذ، لكنه لم يخلد فساعة الرحيل بقيت تنتظره حتى أدركها، ولم تكن ساعة سرور، بل كانت ساعة أليمة فاضحة، إذ أخذه الله أخذ عزيز مقتدر فبعد النعمة نزلت النقمة، وبعد المهلة فاجأته الأخذة السريعة، وبعد زهوة العلو صدمته عقوبة الخسف، والجزاء من جنس العمل، لقد عاش متكبراً على قومه فصارت نهايته تحت أقدامهم وساخ في الأرض التي يسيرون عليها، جزاء وفاقا.

قال رسول الله ص: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار

الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال)[١].

قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾[القصص].

أيها المسلمون، بعد السكرة صحت الفكرة، وانتبه غافل لم يستفد من يقظته بعد فوات فرصته وهو قارون عندما لقي ربه على حالته، وانتبه غافلون استفادوا من هذا الانتباه وهم قوم قارون، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾[القصص].

هذا هو المشهد الأخير، الذي أسدل الستار على بغي باغ وطغيان طاغٍ، ونهاية بائسة، بعد التعالي والتباهي؛ ليعلِّم العالَمَ أجمع أن طغيان المال إلى زوال، والمتكبرين إلى سفال.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[ق:٣٧].

فيا من أنعم الله عليه نعمة أياً كانت، اشكر النعمة قبل أن تبغتك النقمة، فأدِّ حق الله وحق خلقه منها بلا زهو ولا لهو، ولا إمساك ولا غرور، ولتكن نعمتك سائقة لك إلى مرضاة الله، لا إلى سخطه فعقابه.

ولهذا ختم الله هذه القصة بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[القصص].

---

(١) رواه أحمد والترمذي والنسائي، وهو حسن.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الشاكرين المتقين.

هذا وصلوا وسلموا على محمد وآله...

لذة الصبر (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، إن كثيراً من الناس قد يتجاوزون حدود الحق للحصول على اللذة، فمنهم من يجد لذته في الجاه والتسلط على الآخرين، فيعبر لنيل ذلك جسوراً من الظلم وبحاراً من الدماء، ومنهم من يجد لذته في الشهرة وبُعد الصيت فيسلك لأجلها

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في١٩/١/١٤٣٥هـ، ٢٢/١١/٢٠١٣م.

آفاق الخطيئة ولا يبالي ما دامت ستوصله إلى غايته. ومنهم من يرومها في تعاطي مُذهبات العقول ومفسداته، ومنهم من يبتغيها من الاستطالة على الأعراض ونهش الحرمات، ومنهم، ومنهم....الخ. فهل حقاً وجد هؤلاء لذة حقيقية؟ إنهم قد وجدوا لذة لكنها موهومة مزعومة شابتها الأكدار والمنغصات وعِظم التبعات: خوف وذل، عار وفضيحة، حد وعقوبة، واكتئاب قد يقود إلى الانتحار.

فأين يجد الإنسان الصالح اللذة الحقيقية؛ لأنها مطلب من مطالب الفطرة؟

يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧]، في هذه الآية الكريمة وأمثالها من نصوص الشريعة إرشاد فائق إلى رياض اللذة ومعاهدها الحقيقية.

إن اللذة التي ينبغي أن يتسابق إليها المتسابقون، ويتنافس في نيلها المتنافسون هي طاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم عليه الصلاة وأتم التسليم. فإذا نيلت هذه اللذة طابت بها الحياة والتذ معها كل مباح.

يقول ابن تيمية رحمه الله: " لقد كنت في حال أقول فيها: إن كان أهل الجنة في الجنة في مثل هذه الحال إنهم لفي عيش طيب. وقال آخر: إنه ليمر على القلب أوقات يرقص منها طربا. وقال الآخر: لأهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم".

ومن أعظم صور اللذة في الطاعات: التلذذ بطاعة الصبر.

عباد الله، قال ربنا تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[الملك:١-٢].

تبين هذه الآية الكريمة أن الحياة الدنيا التي يعقبها الموت أن أهلها خلقوا فيها

للابتلاء والاختبار، والمفلحون في هذا الامتحان قليل، والخاسرون فيه كثير. ولم يكن فلاح المفلحين إلا بصبر ومصابرة، وثبات ومجاهدة، فطريق الحق ليس مفروشاً بالزهر والريحان والبسط الحمراء الأنيقة، بل هو طريق محفوف بالمكاره والعقبات الكأداء التي لا يتجاوزها إلا أولو العزم القائم والإيمان الصادق. فالجنة دار نعيم مقيم لا ينال إلا بعمل جاد في سبيل الحق، وانتصار على المعوقات الحائلة بين العبد وبين الوصول إلى تلك الغاية المنشودة.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٢].

ولكن الحياة مع هذه المكاره الملازمة تصبح حياة لذيذة؛ لأن المؤمن ينتظر جزاء ذلك عند الرب تبارك وتعالى، فرضاه في رضا مولاه، ومن وصل إلى هذه الحال وجد في الصبر حلاوة عظيمة.

أيها المسلمون، إن الدين الإسلامي مبني على الصبر في الأفعال والتروك والأقدار.

فالعمل الصالح يحتاج نفساً صبوراً على القيام به وإتمامه والاستمرار عليه، وهذا التكليف يصعب على النفوس التي اعتادت الانفلات وتلبية رغبات الهوى. لكن نفس المؤمن تؤثر طاعة الله تعالى على طاعة أهوائها.

إن عبادة الله سبحانه وتعالى لن تقام إلا بتصبير للنفس على أدائها وإحسانها. قال تعالى في عبادة الجهاد في سبيله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٦].

وقال في عبادة الصلاة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[طه:١٣٢].

وقال في عبادة العفة بالفروج: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النساء:٢٥].

والصبر على العبادة -معشر المسلمين- ليس في حال واحدة، بل يكون في ثلاثة أحوال:

الأولى: صبر قبل العبادة بجعلها خالصة لوجه الله بعيدة عن الأعراض الدنيوية.

والثانية: صبر أثناء العبادة بفعلها كما جاء في الشرع وقتاً وقدراً وعدداً وصفة.

والثالثة: صبر بعد العبادة بالحفاظ على جعلها على الإخلاص من غير أن يطرأ عليها تباهٍ أو تفاخر أو منٌّ.

فإذا عمل المؤمن العبادة وصبر عليه هذا الصبر وجد لها طعماً رائقاً، وعاش في ظلها سعيداً مطمئناً، ناعم البال مستريح الحال، وهذا من علامات الإيمان وأمارات القبول. قال عليه الصلاة والسلام: (من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن)(١).

قال ابن القيم وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: " إذا لم

(١) رواه الطبراني، وهو حسن.

تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحا فاتهمه؛ فإن الرب تعالى شكور، يعني: أنه لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول ".

أيها الإخوة الكرام، أما الصبر على ترك معصية الله فما أعظمه من صبر، وما أشده من حبس للنفس وما أقل حظها منه!

إن الإنسان يعيش في عراك مستمر مع نزغات الشيطان ونزوات النفس الأمارة بالسوء أمام إغراءات الفتن والشهوات ودعواتها الملحة.

وهذا النوع من الصبر قد يفوق الصبر على الطاعة؛ لأن فعل بعض الطاعات قد تصاحبه رغبة طبيعية كأن يكون الإنسان محباً للخير والعطف والإحسان إلى الآخرين.

أما تصبير النفس على ترك المعصية وهي تواقة إليها فهو صبر شديد، لكن المؤمن يعان على هذه الشدة إذا كان ترك المعصية من أجل الله تعالى.

ومن أمارات صعوبة ترك المعصية: أن المعاصي تتوزع على جوارح الإنسان، إذ لكل جارحة منها مطالب من الذنوب.

فما أحسن قلباً صبره صاحبه على ترك كل اعتقاد باطل وشبهة منحرفة، وصبره على هجر الحقد والشحناء وملأه بالمحبة والإخاء.

وما أجمل عقلاً منع عنه صاحبه ورود الأفكار المضلة والآراء السامة، وأناره بمصابيح الهدى والعلم النافع، وما أكثر الأفكار المذمومة هذه الأيام وما أسرع وصولها إلى الأذهان وتأثيرها فيها.

فمنجاة العقل بعد الحماية والتنقية أن يُحَلَّى بالتدبر والتفكر، ويصبر على قبول الحق

من أي لسان جاء ومن أي مصدر ورد مادام من الحق، وأن لا يعار لمن يحشوه بالتيه والضلال.

وما أطيب لساناً حينما يحبسه صاحبه على قول الخير وترك التفوه بالشر، وما أحسن سمعاً أصمه صاحبه عن سماع الباطل وفتحه لقبول الحق، وما أجمل بصراً حجبه المسلم عن رؤية الحرام وصبره على الغض وترك حب التطلع إلى ما لا يحل النظر إليه.

وأكرم بيد مسلم كفها عن البطش في الظلم والانطلاق في تناول المحظورات، وأنعم برجْل وقفت عند حدود المباح ولم تتحرك خطاها إلى تراب الحرام.

فكيف سيعيش مسلم منع تسريح هذه الجوارح في مراعي الهوى وطاعة الشيطان؟

إنه سيحيا حياة طيبة لما انتصر على نفسه فخطمها وأمسك عنانها عن الجموح في محارم الله. وسيذوق على صبره هذا لذات مستمرة أعظم مما لو نال تلك المحرمات.

قال بعض السلف: "من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته". وقال بعضهم: " من غض بصره لله أورثه حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه".

وقال ابن القيم رحمه الله: " اللذة والتنعم بالعبادة إنما تحصل بالمصابرة والتعب أولا، فإذا صبر عليها وصدق في صبره أفضى به الى هذه اللذة، قال أبو زيد: سقت نفسي إلى الله وهي تبكي فما زلت أسوقها حتى انساقت إليه وهي تضحك".

هذه هي الحياة السعيدة في ظلال الصبر على طاعة الله والصبر على هجران معاصيه.

قال ابن المبارك:

رأيـــت الـــذنوب تميـــت القلـــوب وقـــد يـــورث الـــذلَّ إدمانهـــا

وتـــرك الـــذنوب حيـــاة القلـــوب وخـــير لنفســـك عصـــيانها

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، النوع الثالث من أنواع الصبر: الصبر على الأقدار المؤلمة النازلة على الإنسان.

فالإنسان في هذه الحياة عرضة لتغير الأحوال وتقلب الأطوار، ولأن طاقات الإنسان ووسائل علمه محدودة فقد يرى النعمة نقمة، والنقمة نعمة، والسرور شرورا، والشرور سرورا.

غير أن المؤمن ينظر إلى الحياة بمنظار شرعي مضيء فيرى الحقائق على ماهي عليه.

قال رسول الله ص: (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)[1].

والبلاء بالمكاره عندما ينزل على المؤمن يواجهه بالصبر والرضا، حتى ينقلب ألم المصيبة إلى فرحة، وكرهها إلى محبة، والضيق بها إلى سعة في ظلها؛ لأنه يوقن أنها فعل الودود الرحيم العليم الحكيم، وأن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه، وأن

(١) رواه مسلم.

المضرات أبواب المسرات، والمواجع مصاعد الارتقاء إلى العلياء، وأن طلائع الشقاء من أول لمحة هي مفاتيح السعادة إذا وصلت وصادفت قلباً راضيا.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٦-١٥٧].

ويرى المؤمن الصابر الراضي أن هذه الآلام تفتح له من أبواب الخير ما لا يخطر بباله، لو لم يكن له فيها إلا رفع المنزلة والدرجة عند الله وكثرة أجره وثوابه على صبره عليها لكفى.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة، في جسده وأهله وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة)(١).

و قال ص: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط)(٢).

فالمؤمن إذا استحضر هذه الأحوال وعمل بما أمره الله به صار في عيش طيب ولذة ممتدة، فاتسعت له الحياة بعد أن اتسع قلبه وانشرح صدره، وهذه هدية الله في العاجل لكل صابر وراض بقضاء الله وقدره. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[التغابن:١١]. قرئ (يهد) بالهمز: يهدأ من الهدوء. قال علقمة رحمه اللهعند هذه الآية: "هو الرجل تصيبه

---

(١) رواه الترمذي، وهو حسن.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو حسن.

المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم".

ثم صلوا وسلموا على خير البشرية...

مطية النجاة: الخوف من الله(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، إن الله تعالى أنعم على عباده ببسط سابغ رحمته عليهم وعموم رأفته بهم، فما أعظمها من منّة، وما أحسنها من نعمة؛ لأن نيل رحمة الله تعالى طريق سعادة الدنيا والآخرة.

وقد اقتضت رحمة الله تعالى بعباده أن يوجد لهم أسباباً تردهم إليه وتقبل بهم عليه

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤٣٥/٦/٢٥هـ، ٢٠١٤/٤/٢٥م.

حينما ركبوا مطايا الغفلة والتغافل فنسوا حق خالقهم وما خلقوا لأجله فمالوا إلى الدنيا ولم يذكروا أنهم إلى ربهم راجعون، وأنهم بين يديه سيقفون وعلى أعمالهم سيحاسبون، فإما مثابون ونعمت البشرى، وإما معاقبون وبئس المآل إلى سوء الحال.

عباد الله، من تلك الأسباب التي رحم الله بها عباده لكي يرجعوا إليه: التخويف منه ومن عقابه وآثار غضبه. قال تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾[الزمر:١٥-١٦]. وقال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾[الإسراء:٥٩].

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خسفت الشمس فقام النبي ص فزعاً يخشى أن تكون الساعة فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله وقال: (هذه الآيات التي يرسلها الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوف الله بها عباده، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره)(١).

أيها المسلمون، إن الخوف من الله تعالى عمل قلبي يحمل العبد على امتثال أوامر الله وترك نواهيه. وهو عبادة من أجلّ العبادات، وقربة من أعظم القربات؛ لأنه يثمر الطاعات ويحجز عن السيئات.

وهو أمارة من أمارات وجود الإيمان في قلب صاحبه، فإذا وجد الإيمان أنتج

(١) متفق عليه.

الخوف من الله عز وجل. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران:١٧٥]. وهو خلق يبعث على تعظيم الله وإجلاله، والتسليم لشرعه والرضا بأفعاله في خلقه. وهو عمل يعين على الاستفادة من الذكرى والموعظة. قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾[الأعلى:٩-١٠].

وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾[الزمر:٢٣].

أيها المسلمون، إن العبد محتاج إلى ملازمة خوف الله تعالى احتياجاً شديداً؛ لأنه مطية نجاته، وسبيل راحته، وصلاح دنياه وآخرته.

وتعظم أهمية ملازمة الخوف في مثل هذا الزمان الذي قل فيه الصالحون والمصلحون، وكثر فيه الفاسدون والمفسدون، حينما غلبت على الجوارح فتن الشهوات وتغلغلت في العقول فتن الشبهات، فظهرت المعاصي وجاهر العصاة وقلّت الطاعات وأهلها، وكثرت المنكرات وازداد دعاتها والمقبلون عليها، وحورب المعروف وضُيِّق عليه، حتى أصبح المنكر معروفاً والمعروف منكرا، والباطل حقاً والحق باطلاً، والظالم صاحب حق، والمظلوم لا يستحق العيش والبقاء.

في مثل هذه الأجواء المتخمة بالذنوب والمذنبين، والملطخة بتغير المفاهيم والأفكار وتقلب القيم والمواقف تزداد الحاجة إلى التحرز بحصن الخوف من الله

تعالى؛ ليكون ذلك مأوى يعصم الإنسان من الخطيئة وينجيه من عواقبها الوخيمة.

أيها المسلم، الزم خوف الله جل جلاله حياتك كلها، وفي أحوالك جميعها، في سرك وعلنك في بيتك وفي عملك وفي كل جهة توجهت إليها. الزم خوف الله في ذاتك: خف الله في قلبك أن يطلع عليه وفيه ما لا يرضيه، وخف الله في عقلك أن يحمل فكراً يضاد شرع الله ووحيه، وخف الله في لسانك أن تنطق بالسوء الذي يغضب ربك.

وخف الله في عينيك أن تزيغ إلى الحرام، وخف الله في سمعك أن يصغي إلى الباطل، وخف الله في يدك أن تكتب المنكر أو تظلم بالبطش بين الخلق بقتل أو أخذ للمال من غير حله. وخف الله في رجلك أن تسعى إلى الحرام، وتقف في مواطن الشر والمنكر.

يأيها المسلم، ليكن خوف الله تعالى رفيقك مع والديك ومع زوجتك وأولادك ومع جيرانك ومع أقاربك. فخوف الله هو الذي يمنعك من ظلمهم والتقصير من إيفائهم حقوقهم.

وإذا كنت والياً أو مسؤولاً فليكن خوف الله تعالى رقيبك الذي لا ينام حتى لا تجور ويصبح الظلم والخيانة والغش ديدنك بين رعيتك. وإذا كنت موظفاً أو عاملاً في أي وظيفة أو عمل كنت فاجعل خوف الله تعالى معك دائماً حتى لا تخون أمانة الوظيفة أو العمل الذي حملتها.

أيها المسلمون، إن الخوف من الله عبادة عظيمة تحتاج إلى بذل جهد في تحصيلها واكتسابها والمحافظة عليها بعد حصولها. فالتفكر في أسماء الله وصفاته ومعرفتها يرسخ في قلب المسلم إجلال الله تعالى وتعظيمه والكف عن مساخطه والمسارعة إلى مراضيه. فحينما تفكر في أسماء الله تعالى: العظيم الجبار القهار القدير المنتقم القوي المتين العزيز الكبير ونحوها من الأسماء القهرية تتربى في نفسك هيبة الله تعالى وخشيته، فمن أنت أيها الإنسان حتى تعصي الله تعالى وتفوت قدرته أو لا يدركك قهره وجبروته؟ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢﴾[العنكبوت:٢٢].

وعندما تتأمل في أسماء الله: العليم اللطيف الخبير السميع البصير ونحوها يزرع ذلك في قلبك الخوف من الله تعالى. فأين تستطيع أن تعصي الله تعالى ولا يعلم بك ولا يراك ولا يسمعك ولا يرقب عملك؟!

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾[الأنعام:٥٩].

عباد الله، إن هذا الكون الفسيح يحوي آيات باهرات تدل على قدرة الله وإبداع صنعه وعنايته بخلقه وكثرة خيره المسدى إليهم. فالإنسان العاقل إذا نظر إلى هذا الخلق البديع المحكم العظيم وتأمل فيه واعتبر بما رأى وشاهد دعاه ذلك إلى خوف الله تعالى وخشيته وحب طاعته والبعد عن معصيته. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

وقال: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[غافر:٥٧].

أيها المسلمون، إن استحضار الإنسان لساعة رحيله عن الدنيا وملاقاته الموت وانتقاله إلى الدار الآخرة التي تكشف فيها السرائر ويبرز ما في الضمائر ويحاسب الإنسان فيها على ما قدم في حياته الدنيا، ثم المصير إلى جنة عرضها السماوات والأرض أو إلى نار وقودها الناس والحجارة إن استحضار هذا المشهد المستقبلي الحق في ذهن الإنسان يدفعه دفعاً شديداً إلى خوف ربه، وإجلاله أن يكون من عصاته الذين ينزل بهم غضبه ويحل عليهم عقابه.

لقد حمل الجهل بدين الله كثيراً من الناس على ترك واجبات الإسلام والانغماس في حمأة الحرام بلا رادع من خوف أو حاجز من خشية تحول بينهم وبين ركوب الباطل ومجاوزة الحلال إلى الحرام. لذلك كان على المسلم أن يتعلم شرع الله تعالى حتى يعرف الحلال فيأتيه والحرام فيجتنبه. فمعرفة شرع الله من أعظم الأسباب التي تعين على تحصيل خوف الله تعالى في قلب المسلم؛ ولذلك قال تعالى عن العلماء العاملين الصادقين:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨].

عباد الله، إن للجلساء والمجالس في أي مكان كانت أثراً كبيراً في تحصيل خوف الله تعالى في القلب أو في تحطيم ما تبقى من بنيانه.

فالرفقة الصالحة في البيت أو المسجد أو العمل أو اللقاءات الاجتماعية تعين من كان معها في تلك الأماكن على أن يكون من أهل الخشية لله تعالى؛ لأنه سيسمع هناك الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وسيرى المعروف ظاهراً والمنكر خافتا. أما إذا كانت الرفقة سيئة ليس لها همّ في صلاح الإنسان واهتدائه فإنه سيجد لديهم التباطؤ عن الطاعات والمسارعة إلى المنكرات. فيملئ سمعه وبصره من الباطل الذي يُرتكب أو يتحدث الجلساء عنه.

وهذا سيجعله يتجرأ على هتك ستر الخوف والسير في دروب المعصية إلا من رحم الله.

قال النبي ص: (مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة)[١].

وهذا الحديث مثلٌ يقرّب معنى حصول الانتفاع من الجليس الصالح، وحصول الضرر من الجليس السيء.

---

(١) متفق عليه.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن بعض الناس يقولون بألسنتهم: إننا نخاف الله تعالى، ولكن هذه دعوى:

والدعاوى إن لم تقم بينا ت عليها أصحابها أدعياء

فالبراهين هي التي تكشف عن صدق القائلين أو كذبهم. فالخوف الصادق هو الذي يجعل صاحبه من المسابقين إلى الطاعات فرضها ونفلها. والخوف الصادق هو الذي يحجز الإنسان عن الإسراف على نفسه بالذنوب والمجاهرة بها والإصرار عليها. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾[الإنسان:٩-١٠].

وقال رسول الله ص: (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل)[1].

فاختبر نفسك أيها المسلم هل أنت من أهل الخوف من الله تعالى أو لا؟ انظر كم رصيدك من الطاعات والأعمال الصالحات، وانظر حالك مع الذنوب وكيف إقبالك

(١) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح.

عليها، وهل أنت من التائبين منها أو من المصرين عليها؟. إن الخوف الصادق هو الذي يجعل صاحبه مفكراً بالآخرة يتذكرها ويعمل لها ويجعلها أكبر همه. فامتحن نفسك - أيها الإنسان- لتنظر صدق خوفك وكم نصيب الآخرة من قلبك ومن ليلك ونهارك، وكم نصيب الدنيا في ذلك، وما الأرجح منهما؟.

أيها المسلمون، إن الخوف من الله تعالى هو روح الحياة السعيدة في هذه الدنيا. فما أجمل أن يكون الإنسان من أهل الخوف الصادق من الله تعالى.

وما أحسن المجتمع حينما ترفرف عليه أعلام الخوف من الله في كل أرجائه. فلا يرى الناس عند ذلك إلا ما يسر ويسعد ويفرح. ولا مكان عند ذلك للجريمة والخديعة والشقاء والاضطراب والقلق.

فيا عباد الله، يا من عرفتهم لماذا خلقتم إلى هذه الدنيا ازرعوا في نفوسكم الخوف من الجبار في الليل والنهار؛ لتَسعدوا ولتُسعدوا وربوا أهاليكم وأولادكم ومن ولاّكم الله عليهم على الخوف من الرب القادر العليم؛ ليكون ذلك رقيبهم في السر والعلن، ولو ذهبت مراقبتكم لهم فإن ذلك الحس فيهم يرقبهم. نسأل الله أن يجعلنا من أهل خشيته والخوف منه.

هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير...

منهج رسول الله في التعامل مع الأزمات[١](١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران:١٠٢].
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء:١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، إنه لا يخفى عليكم ما تمر به البلاد الإسلامية عموماً وبلادنا خصوصاً من أزمات داخلية وأزمات خارجية. خلّفها البعد عن تعاليم الإسلام في الفكر والعمل والواقع. لقد صارت مادة الأزمة بكل مشتقاتها المعجمية عنصراً ملازماً للحياة العربية والإسلامية في عالم اليوم، فإذا ذكرت الأزمة انصرف الذهن إلى

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٢٤/٢/١٤٣٥هـ، ٢٧/١٢/٢٠١٣م.

المسلمين، وإذا ذُكر المسلمون انصرف الذهن إلى الأزمات!

إن هذه الأزمات تتفاقم يوماً بعد يوم، وتمتد بيننا عمودياً وأفقياً فترة بعد فترة، حتى كثر نتاجها السيئ من القتلى والجرحى، والفقراء والجوعى، والأرامل واليتامى، والسجناء والأسرى والمشردين والمقهورين والمرضى والمهمومين والساخطين والمكتئبين.

و توزعت أحوال الناس حيال أزماتهم الخاصة والعامة مواقف شتى: فمنهم من سلك طريق اليأس والإحباط، فانسدت أمام عينيه سبل الفرج حينما قطعها عن نفسه بقنوطه، ومنهم من انتظر مجيء الحلول من الخارج، واستعد لذلك بتقديم التنازلات الدينية والوطنية، ومنهم من ركب لعلاج الأزمة مطايا الحرام من الاعتداء على دماء الناس وأموالهم واستقرارهم ظاناً أن الأزمة لا تعالج إلا بتوليه وانتقامه من خصومه، ومن الناس من بقي متفرجاً منتظراً حلاً من أي جهة جاء من الأرض أو من السماء.

عباد الله، إذا تأمل الإنسان العاقل في هذه الطرق لعلاج الأزمة سيجد أنها طرق مسدودة غير سالكة وغير موصلة إلى العلاج الشافي.

غير أنه قد بقي طريق صحيح لدواء الأزمات، ولكن السالكين فيه قلة والداعين إليه لا يسمع لهم، ولو أسمعوا لا يستجاب لهم؛ لأن هناك حواجز من الأهواء والشهوات الصادة قامت في عقول كثير من الناس وقلوبهم حالت بينهم وبين الرضا بهذا الطريق فضلاً عن سلوكه.

هذا الطريق الصحيح هو: علاج الأزمة علاجاً إسلامياً واعياً يقوم على فهم الإسلام فهماً شمولياً لا قاصراً ولا متحيزاً، يداوي الأزمة بمعرفة الإسلام معرفة صحيحة وبمعرفة الواقع معرفة فاحصة، فالإسلام دواء في كل زمان ومكان، ولكنه يحتاج إلى فهم صحيح وتنزيل صحيح وطبيب حاذق يضع العلاج المناسب في مكانه وزمانه المناسبين.

هذا العلاج هدفه الأمة بجميع فئاتها وليس هدفه جماعة أو حزباً أو عنصراً بأعيانها. لا يتبنى سياسة الإقصاء الظالم ولا التهميش المسيء ولا الاستحواذ الآثم، إنما يفعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي.

إننا -معشر المسلمين- لا نستطيع الرضا بطريق الإسلام الصافي علاجاً لأزماتنا حتى يكون لدينا يقين بصحته وصلاحه للهدف المنشود؛ فإن المريض المتشكك بدوائه لا ينتفع به، بل قد يضره. فبدلاً من الحركة الواقفة والدوران في دائرة مغلقة، والسعي في المشروعات الفئوية الضيقة ينبغي على عقلاء الأمة وقادتها الصالحين أن يبحثوا لها عن علاج شاف متكامل يكفيها ما نزل بها من أوجاع أقعدتها عن التقدم والحركة الناجحة.

فالإنسان العاقل لا يستسلم للأمراض حتى تهلكه، بل يبحث عن الطبيب والمشفى والدواء.

وما دام أن العلاج الناجح لأزماتنا هو الأخذ الصحيح بالإسلام اعتقاداً وعملاً

في الواقع، فتعالوا اليوم نقلب صفحات الأيام التي عاشها خير من تمثل الإسلام في باطنه وظاهره وهو نبينا ص لننظر كيف عالج الأزمة حتى تولّت أو خفّت.

أيها المسلمون، لقد عاش رسول الله ص حياة النبوة ثلاثاً وعشرين سنة يبني فيها أمة لتقود العالم، فتعددت لذلك الأزمات التي واجهها وعالجها بما جاء به من النور الذي تبددت أمامه جحافل الظلمات. فما أحوج العالم اليوم إلى محمد، كما قال المفكر الانجليزي برناردشو: "ما أحوج العالم إلى محمد؛ ليحل مشاكل العالم وهو يحتسي فنجان قهوة". نعم لقد مات رسول الله لكنه ترك لنا تركة ضخمة وثمينة من الهدى يمكننا أن نعالج بها مشكلاتنا بالرجوع إليها هذه التركة الغالية هي كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء:٥٩].

أيها المسلمون، لقد بعث الله تعالى محمداً عليه الصلاة والسلام في قوم لا يعرفون معبوداً إلا الصنم، ولا يدينون بدين سوى الشرك بالله، فلما بدههم بالدعوة إلى التوحيد وعبادة رب واحد رموه بالعداوة عن قوس واحدة.

لكن رسول الله بدأ تكوين الجماعة المسلمة تحت نيران التهديد والوعيد وصلف الصدود والتحديات.

وكان بانتظار هذا النور الذي بدأ بصيصه يتشعشع شيئاً فشيئاً في مكة ظلماتٌ من الاضطهاد والتعذيب والإيذاء القولي والفعلي. الذي تحول بعد ذلك إلى أفعال تمارس ضد المؤمنين باستمرار من سب وشتم وسخرية واستهزاء وضرب وقتل واعتداء.

لقد استعملت الفئة الكافرة ضد الفئة المؤمنة أنواعاً من الحروب منها: النفسية والإعلامية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الفردية.

وفي ظل هذه الأزمة الكبيرة التي تفرعت أطرافها مع أزمة قلة المؤمنين وضعفهم وعجزهم شرع رسول الله بعلاج الأزمة علاج الطبيب البصير الخبير، فكان أول دواء استعمل أن أمر رسول الله أصحابه بالصبر وتحمل إيذاء المشركين المتنوع؛ لأن الصبر عاقبته حميدة، ولن تُنال الرغائب وتبلغ الآمال والمطالب إلا بعبور جسر الصبر. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤].

عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ص وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا: له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا

الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)[1].

ويمر عليه الصلاة والسلام على آل ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم يعذبون فيقول لهم مسلياً ومبشراً: (صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة).

لقد ظهرت حكمة رسول الله ص في هذا الدواء الناجع وهو يأمر الصحابة به حينما يمر بهم وهم يعذبون، فلو أنه أمرهم بالمواجهة العسكرية في هذه الظروف غير المتكافئة لكان في ذلك الاستئصال والفناء.

ومن الأدوية التي عمل بها رسول الله ص في تلك الحال: التربية الإيمانية، فلقد غرس في نفوس الصحابة الكرام الإيمانَ بالله واليوم الآخر وحب الجنة وأسقاهم نمير القرآن العذب، وبين لهم أن ما عند الله خير من الدنيا وما فيها، فلما تغلغلت هذه المعاني في نفوسهم هان عليهم في سبيله كل عناء، وتحملوا في طريقه كل بلاء، ولو وجُلدت الأجساد وقطعت الرقاب؛ ولذلك لم يرتد أحد منهم سخطة لدينه؛ لأن الإيمان خالطت بشاشته القلوب.

فبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي تحمل حر بطحاء مكة وأحجارها المحماة التي بسطت على بدنه الطاهر لم يقبل مساوماتهم وعروضاتهم، ولم يأبه بتهديداتهم ليرفع عن نفسه العذاب؛ لأنه مزج حر التعذيب وشدته ببرودة الإيمان ولذته فغلبت برودةُ الإيمان ولذته حرارة العذاب وشدته فثبت على الحق.

إن أمة الإسلام اليوم تحتاج إلى تربية إيمانية أحوج من الطعام والشراب، حتى

(١) رواه البخاري.

يشعر المسلم بوجوده ووظيفته في هذه الحياة، وحتى يستطيع التغلب على أزماته ومعاناته. فأين معاني الإيمان وتمثل هدي القرآن في حياتنا اليومية؟ ما نصيب الدين في قلوبنا وتفكيرنا وعملنا وآمالنا؟ إن من لم يترب إيمانياً لن يستطيع الصمود الصحيح أمام الأزمات.

عباد الله، وكان من الوسائل التي استعملها رسول الله ص في التعامل مع الأزمات: وسيلة التفاؤل وهو النظر المشرق إلى الآفاق المضيئة التي تنتظر الحق وأهله بعد ذهاب ليالي البلاء.

لقد نزع رسول الله من نفوس الصحابة عروقَ اليأس والقنوط وزرع فيها الاستبشار بالمستقبل الوضاء، ولم يكن ذلك في زمن السراء بل كان في عنفوان الضراء وشدتها.

كما في قوله السابق لخباب: (والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون).

قال البراء: لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول الله ص، فجاءة وأخذ المعول فقال: (بسم الله)، ثم ضرب ضربة، وقال: (الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة)، ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال: (الله أكبر، أعطيت فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن)، ثم ضرب الثالثة، فقال: (بسم الله)، فقطع بقية الحجر، فقال: (الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني).

إن تعدد الأزمات التي تمر بالمسلمين وتعقدها تحتم عليهم المزيد من التفاؤل والاستبشار؛ فإن تكاثف الشدة يؤذن بالانفراج، واشتداد الظلام يبشر بالانبلاج، وليس هذا من المثالية، بل من الواقعية؛ فالتاريخ حافل بالشواهد.

إن رسول الله -مع عمله بالوسائل السابقة لعلاج الأزمة- قد عمل بوسائل أخرى ممكنة تخفف وطأة البلاء فكان من ذلك: الإذن بالهجرة إلى الحبشة أولاً من بعض الصحابة، ثم هاجر بنفسه مع بقية الصحابة بعد ذلك إلى المدينة. وهذا العلاج كانت له ظروفه الجغرافية الخاصة، لكنه كان علاجاً ناجعاً في تلك الفترة الحرجة للأزمة التي دامت عدة سنوات.

عباد الله، ومن تعامل رسول الله مع الأزمة: استعمال الثقة بالله تعالى وإحسان الظن به؛ لأن الله مع عبده المؤمن بحمايته ونصره وتأييده بقدر ثقته وحسن ظنه به.

قال رسول الله ص: (إن الله جل وعلا يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله)[1].

لقد خرج رسول الله من مكة مطارداً وقد اتفقت كلمة قريش على قتله وتصفيته، أو الإتيان به حياً أو ميتاً بعد أن انفلت من بين أيديهم إلى غار ثور الذي كمن فيه حتى ينقطع الطلب الذي قد وصل إلى باب الغار، فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال رسول الله ص تلك الكلمة الواثقة المطمئنة: (يا

(١) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.

أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما)[١].

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾[التوبة: ٤٠].

أمة الإسلام، إننا بحاجة ماسة إلى تقوية الثقة بالله تعالى في نفوسنا وتثبيت اليقين في قلوبنا بقرب الفرج وتولي ظلام الأزمات. وما تتابعُ الفتن والبلايا إلا للتمحيص والتخليص وتمييز الصفوف وكشف الوجوه الخادعة على حقيقتها. فالمحن هي التي تميز الواثقين من بين الزائفين وتُري الناس الصادقين والكاذبين. قال تعالى تعليقاً عما حدث في غزوة أُحد: قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢)﴾[آل عمران: ١٣٩-١٤٢]. وقال: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾[العنكبوت: ٢-٣].

---

(١) متفق عليه.

إن الثقة بالله تعالى وحسن الظن به تجعل المسلم يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله أرحم به من نفسه، وأحرص منه على مصلحته، وأعلم منه بما ينفعه، وأقدر منه على الدفاع عنه وعن دينه، والانتقام من أعدائه، لكنه تعالى جعل في خلقه سنناً لابد أن تجري؛ ليصفو الحق وأهله من الغبش، وليكونوا أكثر جلاء وفداء ونقاء.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، وكان من منهج رسول الله ص أيضاً في التعامل مع الأزمات: أنه ربى المسلمين على أنهم أمة واحدة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، أو هم كالبنان أو كالبنيان يشد بعضه بعضا، يتقاسمون المضرات كما يتقاسمون المسرات. وكان من صور هذا العلاج الذي قام به عليه الصلاة والسلام: جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وتأليف قلوبهم فآخى بين المهاجرين والأنصار، وأذاب أسباب التفرق الجاهلية من الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والحمية المشؤومة. فصار الناس جسداً واحداً تحت راية واحدة في دائرة واحدة سيدهم وعبدهم أحمرهم وأسودهم عربيهم وعجميهم. فإذا أردنا اليوم حل أزماتنا فلنكن كذلك.

ومن صور هذا العلاج: إجابة المستغيث من المسلمين على من بغى عليه ونصره والوقوف بجانبه بقدر الاستطاعة، ففي سوق بني قينقاع لما اعتدى اليهودي على المرأة المسلمة فاستغاثت بالمسلمين نصرها المسلمون فقُتل اليهودي وأجلي بنو قينقاع حينما نقضوا العهد واعتدوا على عرض المسلمة وقتلوا المسلم الذي أغاثها.

وقبيل فتح مكة عندما نقضت قريش عهدها وساعدت بني بكر في الاعتداء على

قبيلة خزاعة حلفاء رسول الله وقتلوا منهم مقتلة فأسرع عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله يستنصره، وقال له:

يـــا رب إني ناشـــد محمـــدا حلــف أبينــا وأبيـــه الأتلـــدا
قـــد كنـــتمُ وُلْـــدا وكنـــا والـــدا ثمـــت أســـلمنا فلـــم ننـــزع يـــدا
فانصرـــ هـــداك الله نصرـــاً أيـــدا وادع عبـــاد الله يـــأتوا مـــددا
فـــيهم رســـول الله قـــد تجـــردا إن ســـيم خســـفاً وجهـــه تربّـــدا
في فيلـــق كـــالبحر يجـــري مزبـــدا إن قريشـــاً أخلفـــوك الموعـــدا
ونقضـــوا ميثاقـــك المؤكـــدا وجعلـــوا لي في كـــداء رصّـــدا
وزعمـــوا أن لســـت أدعـــو أحـــدا وهـــم أذل وأقـــل عـــددا
هـــم بيتونـــا بـــالوتير هجّـــدا وقتّلونـــا ركعـــاً وســـجدا

فقال رسول الله ص: (نصرت يا عمرو بن سالم). فكان فتح مكة.

واليوم -يا معشر المسلمين- كم نسمع من استغاثات وصرخات مسلمة مكلومة تستنصر وتستغيث بنا فلا يجيبها إلا رجع صوتها الموجع.

قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾[الأنفال:٧٢].

ولكن:

لقـــد أســـمعت لـــو ناديـــت حيـــاً ولكـــن لا حيـــاة لمـــن تنـــادي

ومن صور علاج رسول الله الأزمة باستشعار أن أمة الإسلام أمة واحدة: القيام بالمواساة الاجتماعية بين المسلمين، وتقاسم لقمة العيش بين الغني والفقير. فقد ربى رسول الله صحابته الكرام على هذا المبدأ تربية ناجحة حتى صارت المبادرة منهم، فعطف الواجد على المعوز والقادر على العاجز، فعاشوا حياة تحفها المحبة والألفة والاجتماع والاتحاد.

قال رسول الله ص: (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم)[1].

وللحديث بقية إن شاء الله في خطبة الجمعة القادمة.

هذا وصلوا على القدوة المهداة....

---

(١) متفق عليه.

منهج رسول الله في التعامل مع الأزمات[٢](١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، لقد كان الحديث في خطبة الجمعة الماضية عن منهج رسول الله ص في التعامل مع الأزمات المتعددة: أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية، وتبين لنا هناك أنه عليه الصلاة والسلام قد اتخذ عدة وسائل في مواجهة الأزمة كان منها: الصبر والتربية الإيمانية، والتفاؤل والهجرة، والثقة بالله وحسن الظن به، والإخاء وجمع الكلمة، واستشعار أن الأمة بناء واحد ينصر بعضها بعضاً، ويواسي بعضها

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤٣٥/٣/٢هـ، ٢٠١٤/١/٣م.

بعضا.

وفي هذه الخطبة إن شاء الله نستكمل ما تبقى من هذا الموضوع.

أيها المسلمون، من الوسائل التي واجه بها رسول الله الأزمات واستدفعها بها: الفرار إلى الله بالعبادة، فالعبادة راحة وسلوان، وقرار واطمئنان، ولا تأنس بها إلا النفوس الصالحة التي انتصرت على هواها، فالإقبال على عبادة الله تعالى والاستئناس بها -عندما تدلهم الخطوب- لا تتأتى لكل أحد؛ فإن كثيراً من النفوس تكون أقرب إلى النفور منها إلى الإقبال؛ لانشغالها بالبلية التي تأخذ بجميع الفكر والعمل.

ولهذا كان أجر العبادة أيام الفتن أكثر من غيرها، قال رسول الله ص: (العبادة في الهرج كهجرة إلي)[1].

فمن العبادات التي كان يقبل عليها رسول الله عليه الصلاة والسلام في الأزمات: الصلاة، فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا شغله أمر أو أهمّه ونزل به فزع إلى الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه، وتتضمن الخضوع والانكسار بين يدي الله ودعاءه والإقبال عليه، والصلاة الخاشعة التي يقبل فيها صاحبها على الله تعالى بقلب منيب ورجاء منصرف عن الخلق إلى الخالق تهدّ جبال الهموم هدا، وتفك عقد حبال الأزمة المشتدة، وتنقل الإنسان الملتجئ إليها من وهج الضيق والمعاناة إلى ظلال الاطمئنان

---

(١) رواه مسلم.

والتفاؤل. فعن عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (كان النبي ص إذا حزبه أمر صلى)[1].

ولهذا كان رسول الله ص يقول: (وجعلت قرة عيني في الصلاة)[2].

فيا عباد الله نحن في أيام فتن عظيمة وأزمات متلاطمة فما أحوجنا فيها إلى كثرة العبادة والإقبال على الله تعالى وملءِ الفراغ بها؛ لعلها أن تكون باب نجاة يخرجنا من بوتقة الشدائد والمضائق.

أيها الأحبة الكرام، ومن الوسائل التي استخدمها رسول الله في علاج الأزمات: الدعاء والتضرع بين يديه، وهذه الوسيلة نوع من العبادة.

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله ص كان إذا حزبه أمر قال: (لا إله إلا الله الحليم العظيم لا إله إلا الله رب العرش الكريم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم، ثم يدعو)[3].

إن رسول الله ص حينما ضاق به الأمر في مكة؛ لكثرة الصد والإيذاء خرج إلى الطائف لعله يجد قلوباً ألين من قلوب أهل مكة يسكب فيها النور والهدى، لكنه وجد قلوباً أشد غلظة وأكثر قسوة، فرجع إلى مكة دامي القلب والعقب من أثر حجارة كلامهم وحجارة سفهائهم فقال في أثناء رجوعه: (اللّهم إليك أشكو ضعف قوتي،

(١) رواه أبو داود، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد والنسائي والحاكم، وهو صحيح.

(٣) رواه مسلم وأحمد.

وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين،إلى من تكلني؟إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري؟إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك)[١].

انظروا -أيها الأحبة- إلى هذه الكلمات النيرات ما أجملها، وفي معاني هذا الدعاء ما أعمقها، إنها حروف مشرقة برقت من قلب اكتوى بنار الحزن على إدبار الناس عن الإقبال على الإسلام، لكنها تفوح بطيب الاستقرار الروحي باللجوء إلى الرب تبارك وتعالى.

وفي طريق رجوعه بعث الله إليه البشائر المطمئنة، فقد أسلم له نفر من الجن حينما أعرض الإنس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[الأحقاف:٢٩-٣١].

فأين نحن اليوم من الدعاء الخالص في خضم هذه الأزمات؟ فالدعاء دواء ناجع تستدفع به المشكلات، وتستنزل به الرحمات، وتحمى به الأنفس والحرمات، ولكنه يحتاج إلى إقبال وإخلاص ومداومة وصبر ويقين بلا استبطاء.

---

(١) رواه الطبراني، وقال الهيثمي: فيه ابن اسحاق وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

إن الأمــور إذا انســدت مســالكها — فالصـبر يفـتح منهـا كـل مـا اُرتتجـا

أخلقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته — ومـدمنِ القـرع للأبـواب أن يلجـا

أيها المسلمون، ومن الوسائل أيضاً: العمل الجاد والاستعداد المقدور عليه، فرسول الله وأصحابه لم يكونوا -عندما تنزل بهم الملمات- قاعدين ينتظرون الفرج السماوي بدون أسباب وعمل دنيوي يقومون به. بل قاموا بما يستطيعون من الأعمال في مواجهة الشدة؛ ففي مكة قوى رسول الله في قلوب الصحابة عود الإيمان حتى صلُب فكان الواحد منهم بأمة، ودعاهم إلى الحركة بالدين حتى يزداد عدد المسلمين فيكونوا قوة أمام الكافرين. فلما هاجر استوفى رسول الله بقية جوانب الاستعداد المادي والمعنوي التي لم تكن ظروف مكة ملائمة لفعل ذلك، فكون الدولة الإسلامية الأولى التي بدأت تقوى شوكتها آنذاك يوماً بعد يوم. وفي غزوة الأحزاب لما انحدر الكفار مشركوهم وكتابيوهم كالسيل الهادر لاستئصال شأفة المسلمين سارع رسول الله وأصحابه إلى العمل الجاد لصد هذا العدوان الغاشم فقاموا بحفر الخندق الذي كان من أسباب حماية الله لهم من بطش الكفار المعتدين.

فيا أيها المسلمون، إن سرطان الأزمات الذي مازال يرهق جسد الأمة ويسيح فيه متسعاً إذا لم يتدارك بعمل شامل في جميع الأصعدة لإيقافه فإنه سيقضي على مقدرات الأمة ويضعها في الحضيض فيصعب الانتشال بعد ذلك.

أمة الإسلام، ومن الوسائل التي استعملها رسول الله أيضاً في صد تيار الأزمة: الحيطة والحذر، وهذا مبدأ صحيح يدعو إليه التفكير الصائب والشرع الحنيف. قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾[النساء:٧١].

وقد عمل رسول الله بهذه الوسيلة في أحوال كثيرة، فمن ذلك: الإسرار بالدعوة في مكة مدة ثلاث سنين حتى تكونت القاعدة الإيمانية التي ينطلق بها بعد ذلك لمواجهة الكفر والكافرين، ومن ذلك: التورية في غزواته، فكان لا يغزو غزوة إلا ورّى بغيرها، ومنها أنه لما قدم المدينة كان لا يبيت إلا محروساً.

وإن الناظر في أزمات المسلمين اليوم يرى أن من بين أسبابها: قلة الحيطة والحذر من أعدائها، بل إنها سلمت لهم الزمام لقيادة شؤونها والاطلاع على أسرارها، فصار حالها كالذي سلم غنمه للذئاب لتحافظ عليها من الكلاب.

لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم

ومن الوسائل كذلك: الحكمة والحلم والنظرة البعيدة الثاقبة للأمور خاصة في الأزمات الداخلية التي تنخر الأمة من الداخل. فقد عانى المسلمون الأُول ضرر المنافقين الذين كانوا يعملون على الإجهاز على الإسلام أو إصابته في مقتل بوسائل متعددة، فقد كان من بين المنافقين: عبد الله بن أبي ابن سلول الذي تبدى نفاقه علناً قبيل غزوة أحد برجوعه بثلث الجيش، وكذلك ما فعله في غزوة المريسيع، وبقوله في المهاجرين: " أو قد فعلوها! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا؟ والله ما نحن وهم إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل".

هذه المواقف السلولية أثارت حفيظة بعض الصحابة الأغيار فاستأذنوا رسول الله في قتل ابن أبي، فقال رسول الله: (دعه؛ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)(١).

وبعد هاتين الحادثتين وحلم رسول الله عليه فيما مضى. افتضح ابن أبي افتضاحاً لا يستطيع ستره بعد ذلك، فكان إذا تحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه. فقال رسول الله لعمر: (كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لي: اقتله لأرعدت له أُنُف، ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلته).

ومن الوسائل كذلك: ضبط الوضع الداخلي بتحكيم شرع الله في الناس وإقامة العدل وتطبيق حدود الله على من يستحقونها. وهذا العمل هو صمام أمان لحفظ المجتمع وعامل طرد للفساد من بين الناس، فالمفسدون بين الناس قلة، وأغلب الناس ينشدون العدل والأمن والاستقرار والحفاظ على الحقوق ويكرهون التعدي عليها.

فإذا طبقت شريعة الله بين الناس وصارت هي الحاكمة عليهم حصل الخير الكثير وزال الشر الكبير. وحدود الله جوابر وزواجر تنفع المحدود وتمنع الآخرين عن فعل الجريمة التي فيها حد.

فأي مجتمع مسلم لم تحكمه الشريعة الإسلامية لن يخرج من أزماته ولن يرى شواطئ السلامة حتى يقبل بشرع الله في جميع شؤونه. إن رسول الله عليه الصلاة

(١) متفق عليه.

والسلام قد عمل على امتثال الإسلام في الناس بقوله وبفعله وحكم الناس به حتى رضوا به، ولم يحابِ أحداً أو يمنع حقاً من أحد قريباً كان أو بعيداً.

في الصحيحين، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ص؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ص، فكلمه أسامة فقال رسول الله ص: أتشفع في حد من حدود الله؟! ثم قام فاختطب ثم قال: (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

عباد الله، ومن الوسائل التي استخدمها رسول الله في مواجهة الأزمات: الصلح والمعاهدة مع الكفار، وفحوى هذا الصلح: حصول السلامة المشتركة بين الطرفين، فلا يتعرض طرف لآخر بالحرب والعدوان. فقد عقد رسول الله-حين قدومه المدينة- مع اليهود مواثيق مصالحة على السلامة والمواطنة المشتركة القائمة على الوفاء والالتزام ببنود العهد. وعقد رسول الله مثل ذلك مع بعض قبائل العرب المحيطة بالمدينة، وكذلك عقد مع مشركي قريش صلح الحديبة. ولم يكن في جميع تلك المعاهدات تقديم تنازلات من دين الله؛ فلهذا لا بأس بالمعاهدة والمصالحة مع الكفار بشرط أن لا يكون في ذلك بنود تخالف شرع الله وتضر بالمسلمين وتستوجب الوصاية عليهم.

أيها المسلمون، ومن الوسائل أيضاً: وسيلة الحرب المتنوعة: النفسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية. فالحرب شر لابد منه عند الاضطرار إليه.

قــال تعــالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾[البقرة:٢١٦].

فقد كثر الإيذاء للمسلمين في مكة ولم يكن بوسعهم المواجهة العسكرية فاتخذ رسول الله الحرب النفسية، فقد كان رسول الله حول الكعبة يوماً يطوف فجعل المشركون يغمزونه ببعض ما يقول فعرف ذلك في وجهه، ثم مضى. فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرف ذلك في وجهه، ثم مضى. ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال: (تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح)، فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً فوالله ما كنت جهولا، فانصرف رسول الله ص)[(١)]. فهذه الكلمة وقعت في أنفسهم موقعاً عظيماً.

وكان أبي بن خلف يتوعد رسول الله بالقتل، فقال رسول الله: (بل أنا أقتلك إن شاء الله)، فلما طعن رسول الله أبياً يوم أحد وكان خدشاً غير كبير كان أبي: يقول: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فو الله لو بصق علي لقتلني.

ومن الحرب الإعلامية التي استخدمها رسول الله وأصحابه ضد الكفار: ما حصل يوم الأحزاب من نعيم بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قال: يا رسول الله، مرني بما شئت، فقال رسول الله: (إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت؛ فإن الحرب

(١) رواه أحمد، وهو حسن.

خدعة)، فقام نعيم بشن حرب إعلامية ناجحة واسعة النطاق ألقت في صفوف المشركين الفرقة والتخاذل حتى كانت من أسباب انقشاع جمعهم عن المدينة.

وأما الحرب الاقتصادية فإن ثمامة بن أثال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أسلم وذهب إلى مكة للعمرة قال لقريش: " ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ص. وكانت يمامة ريف مكة، فانصرف إلى بلاده، ومنع الحمل إلى مكة، حتى جهدت قريش، وكتبوا إلى رسول الله ص يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلي إليه حمل الطعام، ففعل رسول الله ص". رحمة بهم.

وأما الحرب العسكرية فكانت هي الخيار الوحيد أمام رسول الله حيال الأزمة التي يقوم الكفار فيها ضد المسلمين؛ لأن البداءة كانت منهم والاعتداء حصل من قبلهم. فقد خاض رسول الله مع المشركين غزوة بدر وأحد والأحزاب وفتح مكة وحنين إضافة إلى بعض السرايا. وخاض مع اليهود غزوة بني قريظة وخيبر، وخاض مع النصارى معركة مؤتة.

إذا لم تكن إلا الأسنة مركباً فما حيلة المضطر إلا ركوبها

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، ومن الوسائل التي اتخذها رسول الله في مواجهة الأزمة أيضاً: تطبيق عقيدة الولاء والبراء: الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين. وهذا المبدأ يحفظ عقيدة المسلمين من الاهتزاز والذوبان في عقيدة الكفر. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾[المائدة:٥١]. فرسول الله عليه الصلاة والسلام لما خرج لغزوة أحد رأى كتيبة حسنة التسليح منفردة عن سواد الجيش فسأل عنها، فأخبر أنهم من اليهود يرغبون في المساهمة في القتال ضد المشركين، فسأل: هل أسلموا؟ فقالوا: لا، فأبى أن يستعين بهم؛ لأنه لا يأمن مكرهم وغدرهم.

عباد الله، إن أعداء الإسلام لا يمكن أن يأتي يوم عليهم يبذلون فيه أموالهم وجهودهم من أجل إصلاح أوضاع المسلمين تحت أي مسمى سواء في أيام السلم أم أيام الحرب.

إن من أمثلة ذلك: ما يحصل في بلادنا فيما يسمى بالحوار الوطني، فهل ينتظر العقلاء في هذا البلد أن يكون صلاح أوضاعنا على يد مجلس الأمن الذي هو خلف كل أزمة حصلت وتحصل للمسلمين، فمتى عطف المفترس يوماً على الضحية؟.

لقد تابع الكثير من الناس في هذه الأيام الحديث عن وثيقة المبعوث الأممي بشأن القضية الجنوبية، والتي أحدثت ردود أفعال كثيرة، واستياء شعبياً واسعاً وجدلاً سياسياً كبيراً؛ لتضمنها أموراً خطيرة تمس عقيدة الشعب اليمني المسلم وشريعته ووحدته واستقراره. وقد قام الشرفاء من أبناء هذا البلد بإدانة هذه الوثيقة الخطرة كل في مجاله وبما يقدر عليه. ومن ذلك أن علماء اليمن أصدروا بياناً رافضاً هذه الوثيقة؛ لما تضمنته من أخطار دينية ووطنية.

فهذه الوثيقة تتضمن انتهاكاً لسيادة الشريعة الإسلامية بتقديم الاتفاقات الدولية عليها.

وتضمنت هذه الوثيقة مصادرة حق الشعب في اختيار أسلوب حياته وحكامه. وتضمنت تفتيت وحدته إلى دويلات صغيرة. وتضمنت أسساً تعمق الهيمنة الأجنبية وتضع البلاد تحت الوصاية الدولية. وتضمنت التسهيل للشركات الأجنبية في نهب ثروات البلاد.

ولا يسع المقام لذكر تفاصيل هذه الوثيقة المشؤومة والرد عليها. فنسأل الله أن يفرج عنا وعن سائر المسلمين في كل مكان.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

وقتك حياتك(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، هناك أمر أضاعه كثير من المسلمين وغفلوا عنه، مع أنه رأس مالهم في الحياة، والعجيب أن بعض الكافرين يهتمون به أكثر من كثير من المسلمين، واستفادوا منه حتى ظهرت آثار استفادتهم منه في الواقع بما يبهر العقول. هذا الأمر هو موضوع

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٨/٧/١٤٣٣هـ، ٨/٦/٢٠١٢م.

الوقت.

لقد اعتنى القرآن الكريم بموضوع الوقت عناية كبيرة من وجوه عديدة، فمن ذلك أنه تعالى جعله نعمة من النعم التي سخرها للإنسان. فقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾[إبراهيم:٣٣].

والزمن إنما هو الليل والنهار. ومن ذلك: أن الله تعالى أقسم ببعض الأوقات؛ وذلك لأهمية الوقت. فأقسم تعالى بالفجر وبالضحى وبالعصر وبالليل وبالنهار.

عباد الله، لقد قسم الله تعالى عمر الإنسان فجعله سنين وشهوراً وأياماً وساعات. وجعل في هذه الأوقات عبادات تضبط وقت المسلم لتكون هي ميزان الوقت كله.

فميزان اليوم والليلة: الصلوات الخمس، وميزان الأسبوع: الجمعة، وميزان العام: رمضان، وميزان العمر: الحج، فمن ضيع ميزانه فقد ضيع رأس ماله وربْحه معاً.

إن وقت الإنسان هو حياته وعمره، فمن أذهب وقته فيما لا ينفعه عند ربه فقد أذهب حياته وعمره؛ لأن الدنيا لا تعمر إلا باستغلال الوقت، والدين لا يتم ولا يكمل لصاحبه إلا باستغلال الوقت.

فما الذي أوصل العلماء العظماء إلى مراتب العظمة وجعلهم في منازل عالية من الحفظ والفهم والتفكير والإنتاج النافع لغيرهم في حياتهم وبعد مماتهم؟ إنه استغلال الوقت ومعرفة قيمة الزمن.

وما الذي بلغ ببعض العباد إلى الآفاق السامية من كثرة العبادة والدأب عليها إلا

استثمار الوقت وصرفه في هذا الجانب العظيم.

وفي عصرنا الحاضر نرى الكفار جعلوا للوقت أهمية كبيرة، ومن إدراكهم ذلك بنوا الحياة الحديثة بما أفرزته عقولهم من النظريات، وما أنتجته من المخترعات. فقد كان بعض المخترعين يقضي. عشرين ساعة في التفكير والبحث والإنتاج من غير كلل ولا ملل.

وبعضهم يقرأ الصحيفة في أماكن الخلاء!.

إذا أردتم أن تعرفوا الفرق بيننا وبينهم في هذا الجانب فتأملوا ماذا نصنع في صالات الانتظار في المطارات والمستشفيات وغيرها وماذا يصنعون هم لاستغلال الوقت.

في عام (١٩٧٠م)انعقد مؤتمر في جنيف حضرته ست عشرة دولة وأصدروا قانون الفراغ الدولي لكيفية توظيف الوقت ومعرفة استغلاله.

أيها المسلمون، ألم يعلمنا ديننا أن نستثمر أوقاتنا، ونعمرها قبل مفاجأة الشواغل؟

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ص لرجل وهو يعظه: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)[1].

فالشباب مرحلة عمرية ثمينة تجتمع فيها مشجعات كثيرة على العمل وملء الفراغ من النشاط والحيوية والقوة وقلة الأعباء ونحو ذلك.

(١) رواه الحاكم والبيهقي، وهو صحيح.

فالشاب إذا استغل هذه المرحلة بالعلم والعمل الدنيوي النافع أمّن مستقبله واستراح عند كبره؛ لأن الشباب خميرة المستقبل وأساسه ورأس ماله. فمن ضيع شبابه بالدعة واللهو والعبث والكسل فقد ضيع أعظم كنز في حياته.

إن الشبان والشبات إذا لم يعرفوا شرف الوقت وقيمته قضوا أوقاتهم فيما يضرهم ديناً ودنيا فنتج عن ذلك الانحراف والجريمة. وجروا على آبائهم مشكلات وأحزاناً طويلة، وسوقوا للمجتمع الفساد والطرق غير السوية.

فمن كان سبب وصولهم إلى هذا البلاء؟

إن من أعظم الأسباب: وجود الفراغ الممتد الذي لم يجدوا من يوجههم إلى استغلاله.

فأين دور الآباء والأمهات في توجيه أولادهم؟ ماذا قدموا لهم لملئ فراغهم بما ينفعهم في الدين والدنيا؟

وأين دور الإعلام بما يمتلك من قوة التأثير ووسائل الجذب في توجيه الشباب إلى استغلال أوقاتهم.

بل إن واقع كثير من وسائل الإعلام يشهد بأنها تدعو إلى تضييع الوقت وملئه بالتوافه وما يعود ضرره على الإنسان في الدنيا والآخرة.

وقد حدثني أحد محرري الأخبار في الإذاعة أن وزير الإعلام زارهم وحثهم على إدراك الشباب وإنقاذهم بعد رأى كثرة فسادهم وإفسادهم داخل المجتمع، أو لم يشعر الوزير أن وسائل الإعلام التي يديرها لها الدور الأكبر فيما يجري؟!.

تلوم على القطيعة من أتاها ... وأنت سننتها للناس قبلي!

فيا أيها الشاب، أدرك نفسك واستغل شبابك فيما ينفعك في دنياك وأخراك.

أيها المسلمون، إن الحياة فرصة لا تعود، والوقت سريع الانقضاء لا يؤمن بالسكون والوقوف. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾[الروم:٥٥].

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائقٌ وثواني

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذّكر للإنسان عمرٌ ثاني

والوقت يؤمن بالذهاب ولا يؤمن بالإياب، ما مضى منه فلن يؤوب.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[المؤمنون:٩٩-١٠٠].

أمنية من الأماني لا تحقق وهي عودة الزمن:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

أيها المسلم، إن الحياة مزرعة فاستغل الوقت وازرع فيها ما يفيدك، فإذا لم تزد في حياتك شيئاً كنت زائداً عليها.

قال الحسن البصري رحمه الله: "يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يومك ذهب بعضك".

فاستغل وقتك وأنت تستطيع أن تعمل قبل أن تأتي عليك أوقات وأحوال لا تقدر على العمل فيها. إن وقتك ثمين وغالٍ فإذا ملكته ملكت العلم النافع والعمل الصالح

وملكت المال وملكت الجاه، وملك المؤمن به الدنيا والآخرة إن أراد.

ولو كان الوقت شيئاً رخيصاً لرأيناه يباع ويشترى في الأسواق، ولكنا ما رأينا ذلك. فدل على أنه لا يقدر بثمن.

مر أحد الصالحين بقوم يلعبون فقال: "لو كان الوقت يُشترى لاشترينا من هؤلاء أوقاتهم".

ولى الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك يشترى أو يرجع

أيها الأحباب، إننا لو تأملنا في حياتنا لوجدنا أننا نضيع أوقاتنا، كأننا نطمئن نفوسنا بأننا سنبقى في هذه الحياة مئات السنين.

قال رسول الله ص: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك)[1].

فيا صاحب السبعين ويا صاحب الستين كم من الوقت في سنينك هذه قضيته في الشيء النافع؟

كم كان منها للآخرة، وكم كان منها للنوم والأكل والشرب والدعة والاستمتاع والطفولة؟ لمن الأكثر؟ قد لا يبقى منها للآخرة إلا عشرون سنة أو خمس عشرة سنة، فكيف سيقابل اللهَ تعالى عبدٌ عمره للآخرة عشرون سنة أو خمس عشرة سنة فقط، فكيف بمن ضيع كل ذلك؟!

عباد الله، إن مما يشهد على تضييع أكثر الوقت فيما لا ينفع: أن نصيب الآخرة من

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

الوقت لا يمثل إلا الهامش من جدول الحياة؛ إذ أكثر الأوقات وأحسنها تصرف للدنيا وما بقي فللآخرة ممن يعمل للآخرة.

ومن ذلك أيضاً: وجود الفراغ الكبير في الليل والنهار عند بعض الناس، حتى ملوا هذا الفراغ؛ ليقول عند ذلك: تعال نضيع الوقت! أفما يدري هذا الإنسان أنه يضيع كنزاً من كنوزه التي وهبه الله إياها؟!

ومن شواهد التضييع: قلة الإنتاج الشرعي والحياتي، ففي الجانب الشرعي تلاحظ قلة العبادات وقلة المحفوظات وقلة القراءة وقلة التأليف والكتابة النافعة.

وفي الجانب الحياتي: يُشاهد أن المسلمين أقل الأمم -الآن – إنتاجاً في المخترعات والمصنوعات والمزروعات والنظريات وغير ذلك.

فمن الأمثلة الإحصائية التي ذكرها بعض الباحثين- مما يبين الفارق بين إنتاج المسلمين وإنتاج غيرهم في جزئية من الجانب العلمي-: أن إنتاج العالم العربي في القصة الأدبية (٣٠٠)قصة في العام، وإنتاج الغرب (١٥٠٠٠)قصة في العام!.

والأدلة كثيرة على ظاهرة تضييع الوقت عندنا نحن المسلمين، بل قد صار الفراغ مشكلة من المشكلات التي توجد في المجتمع، ولم يعد نعمة وكنزاً ثميناً.

ليس السبب في هذا التضييع إلا التربية والعيش في بيئات لا تعرف قيمة الوقت وشرفه وأنه نعمة من الله تعالى يجب شكرها باستغلالها في عظائم الأعمال وإعطاء العمل ما يستحقه من الوقت بدون زيادة أو نقصان.

قال رسول الله ص: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)(١).

أي: كثير من الناس خاسر في هاتين النعمتين والقليل منهم الرابح فيهما، فمن لم يستغل صحته فيما ينفعه ديناً ودنيا ندم حين مرضه، ومن لم يعمر الوقت بما يفيده تحسر عندما يشغل عن ذلك، فحلت الخسارة على الصحيح الغافل والفارغ المضيع بعد أن كانت السوق قائمة والسلعة قيّمة والثمن موجود.

إن الزمن مما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة ماذا صنع فيه.

قال رسول الله ص: (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم)(٢).

عباد الله، إن إضاعة الوقت مشكلة تلد مشكلات أخرى كالأمراض النفسية والبدنية والأخلاقية، فمن الفراغ دخل الشيطان على الإنسان وتولدت الوساوس وعُملت المعاصي.

قال أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجِده ... مفسدة للمرء أيّ مفسده

وقال آخر:

لقد هاج الفراغ عليك شغلا ... وأسباب البلاء من الفراغ

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) رواه الترمذي والطبراني، وهو صحيح.

فيا أيها المسلمون من أنعم الله عليه بفراغ فليغتنمه بعمل نافع، فالفراغ لا يعني اللعب وترك العمل. قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾[الشرح:٧]. يعني: إذا فرغت من عمل صالح فاشرع في عمل آخر.

يروى عن البخاري رحمه الله عنه أنه كان يقول:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع — فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيته من غير سقم — ذهبت نفسه الصحيحة فلته

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إذا عرف الإنسان العاقل شرف شيء سارع إلى الإفادة منه، فالوقت ثمين فماذا أنت فاعل بوقتك أيها المسلم؟

ابدأ باستغلال الوقت في أداء الحقوق التي عليك لله تعالى والحقوق التي عليك للخلق، فانظر الواجبات من العبادات وأضف إليها المستحبات فاعملها، وانظر حق والديك وحق زوجتك وحق أولادك وحق من ولّيت عليه فاقتطع جزء من الوقت لأداء كل ذي حق حقه.

قم بأعمالك الدنيوية بقوة وأمانة من غير انشغال بها عن الآخرة، فلا بارك الله عملاً شغل عن واجب لله على العبد.

والحذر الحذر من البقاء بغير عمل مباح مع القدرة عليه، قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "إني لأكره أن أرى الرجل سبهللاً لا في عمل دنيا ولا عمل آخرة".

في عصرنا الحاضر وجدت وسائل حديثة يمكن الانتفاع بها كالقنوات والجوالات والحواسيب وغير ذلك من الأجهزة النافعة لشغل الفراغ، فينبغي أن تستغل في الخير ويحذر أن تكون مصدر شر على الإنسان.

عباد الله، إننا بعد أيام قليلة مقبلون على عطلة صيفية للطلاب والطالبات وفيها

متسع من الوقت فلا يليق بالعاقل أن يضيع عليه أو على أولاده هذا الوقت الثمين هدراً، بل يعمر بالفائدة في البيت أو في المحاضن الآمنة المفيدة من مساجد أو مراكز أو مدارس أو معاهد تجتنى منها الثمار الطيبة المفيدة.

فهذه فرصة والفرص قد تذهب بلا عودة.

إذا هبــت رياحـــك فاغتنمهـــا   فعقبـــى كـــل خافقـــة ســـكون
ولا تغفــل عـــن الإحســـان فيهـــا   فــلا تــدري السكون متــى يكــون

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

ولا تفسدوا في الأرض(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، إن أحب خلق الله أنفعهم لخلقه، وإن من أحب الأعمال إلى الله تعالى إدخالَ السرور على المؤمن، قال رسول الله ص: (أفضل الأعمال أن تدخل على

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٨/٣/١٤٣٣هـ،١٠/٢/٢٠١٢م.

أخيك المؤمن سرورا، أو تقضي عنه دينا، أو تطعمه خبزا)[١].

فمما يسر المؤمن: تعريفه بالحق، وقضاء دينه، وإعانته عند الحاجة لطعام أو شراب أو كساء، والشفاعة له، ونصره وحمايته وتفريج كروبه وهمومه.

قال رسول الله ص: (اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ص ما شاء)[٢].

قال وهب بن منبه رحمه الله: (إن أحسن الناس عيشاً من حسن عيش الناس في عيشه، وإن من ألذ اللذة إدخال اللذة والإفضال على الإخوان".

ولأجل هذا-معشر المسلمين- كان خير الناس أربعةً؛ لأنهم صلحوا وكانوا من أسباب صلاح حياة الناس الدنيوية والأخروية، فهم صالحون ومصلحون.

أولهم: الحاكم العادل الذي ينعم الناس في ظل حكمه بتحصيل الخيرات واندفاع المضرات، فكما أحسن إلى الناس أحسن الله إليه بالجزاء الحسن، قال رسول الله ص: (سبعة يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل..)[٣].

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل- وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)[٤].

---

(١) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا، وهو حسن.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

وثانيهم: العالم العامل، الذي يدل الناس على ما ينفعهم من خير الدنيا والآخرة، ويظل حارساً أميناً على تخوم الدين من كل عدوان معرفي، ويراه الناس على الهدى والاستقامة فيفيدون من سمته ودله ما يحثهم على الخير ويحجزهم عن الشر.

فلأجل هذا الخير الذي يستفيده الناس منه عظمت مكانته وأجره عند الله تعالى، فعن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)(١).

وثالثهم: المجاهد في سبيل الله تعالى، وهو الحامي بيضة الإسلام والمدافع عن كرامة المسلمين وعزتهم وأمنهم، والمزيل للحجب التي تصد الناس عن الحق حينما يفتح البلاد الكافرة؛ ليدخل الناس في دين الله، فالمجاهدون مشعل نار يحرق عدوان المعتدين وصدِّ الصادين عن الحق، ومشعل نور يضيء للناس طريق الحق بعد إزاحة ظلام الظالمين؛ ولأجل هذا كانت منزلتهم وثوابهم عند الله عظيما ،

قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا،

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان، وهو صحيح.

دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[النساء:٩٥-٩٦].

وقال رسول الله ص: (مثل المجاهد في سبيل الله -و الله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم الدائم الذي لا يفتر من صيام ولا صدقة حتى يرجع، وتوكل الله تعالى للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة)(١).

ورابعهم: الباذل ماله في حوائج المسلمين، فهو الذي لا يجد مجالاً يحب الله أن ينفق له فيه- في نجدة ملهوف أو إعانة محتاج أو رفع شأن الدين- إلا وكان من المسارعين بماله في تلك الجهات، فالمنفقون المخلصون هم السحب التي لا يكف وابلها في سبل الخير، التي تنفع الإسلام والمسلمين؛ ولأجل هذا كان فضلهم عند الله عظيما.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:٢٦١-٢٦٢].

وقال رسول الله ص: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب -ولا يقبل الله إلا الطيب- فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلّوه حتى تكون مثل الجبل)(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

وقال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[١].

أيها المسلمون، وفي مقابل هؤلاء الصالحين المصلحين، نجد الفاسدين والمفسدين الذين يعكرون حياة الناس في دينهم ودنياهم ويكدرون عليهم معايشهم- نجدهم في شر المنازل، وأشقى الأحوال.

إن أولئك المفسدين أعضاء مريضة في جسم المجتمع تحتاج إلى علاج ناجع حتى يسلم المجتمع من انتشار دائهم. ونفوس أولئك المفسدين نفوس سبعية لا تحب أن تعيش إلا على رؤية الإشلاء وسفك الدماء وسماع التوجعات والآهات.

فلا يروق لها أن ترى الناس مستريحين مطمئنين متحابين متآلفين، وإنما تريد أن تسعد وهي تشاهد عليهم الشقاء والفقر والدماء والاختلاف والتنازع، وعلى ذلك الركام تبني سعادتها ومجدها الموهوم.

ولكن الحقيقة الشرعية والتاريخية تقول لأولئك المفسدين: إنهم لن يستريحوا حقاً حتى يُريحوا غيرهم، ولن يهنأوا بعيش حتى يهنأ الناس.

قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[الشورى:٤٠].

(١) متفق عليه.

فإن النفوس المستقيمة تسعد سعادة كبيرة حينما ترى الناس سعداء، خصوصاً إذا كانت هي سبب تلك السعادة.

قال عروة بن الورد:

إني امرؤ عافي إنائيَ شِرْكة　　وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

أتهزأ مني أن سمنتَ وأن ترى　　بجسميَ مسَّ الحق والحق جاهد

أفرِّق جسمي في جسوم كثيرة　　وأحسو قَراح الماء والماء بارد

عباد الله، إن الناظر في واقعنا اليوم يجد أن الفساد قد استشرى وظهر ولم يعد خافيا نادرا، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم:٤١].

وهذا الفساد الذي يحدث في الأرض نوعان:

نوع ينتج عن المعاصي والذنوب فيكون عقوبة وجزاء على تلك الخطايا.

ومن ذلك الجدب والقحط والكوارث والفتن. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[الأعراف:٩٦].

والنوع الآخر فساد بالمعاصي المتعدية التي تصنعها الأيادي المفسدة؛ رغبة في تحقيق مصالحها ونزواتها، ومحبة لرؤية الضرر يصيب الآخرين.

فمن مظاهر إفساد تلك الإيادي المفسدة:

الإفساد في الدين والعقيدة، ببث الشرك والبدع وتشجيع أهلها، وفتح ما يسمى بالحرية الدينية والفكرية والتي تعني في حقيقتها فتح باب الردة بين المسلمين.

والإفساد في العلم والمعرفة، وذلك بإصدار الفتاوى التي تحل ما حرم الله، ومثل تغيير المناهج الصالحة والإتيان بمناهج أخرى تخالف الشريعة، ومثل وأد العقل المسلم ومحاربته والإجهاز عليه.

والإفساد في الحكم، وذلك بجعل القوانين الوضعية بديلاً عن الشريعة الإسلامية، باسم الديموقراطية أو الدولة المدنية، ومثل ترك إقامة حدود الله تعالى، وتنحية الصالحين عن مراكز القرار وتعيين المفسدين مكانهم.

والإفساد في الأخلاق، وذلك بتشجيع الفحش والرذيلة وترك أهلها بدون نصح أو ضبط.

والإفساد في الإعلام، وذلك بتغييب الإعلام الهادف الذي يبني الأجيال على الفضيلة ويربيهم على العمل والإنتاج الصالح وعدم إشغالهم بتوافه الأفكار والأفعال.

والإفساد في التعدي على حقوق الآخرين، كالقتل والسطو على الأموال وهتك الأعراض.

أيها المسلمون، إن الفساد بجميع صوره وأشكاله لم يقم إلا على أسباب اتكأ عليها حتى قام وظهر، فمن تلك الأسباب.

ورود الشبهات على العقل والشهوات على القلب والاستقرار فيهما؛ فالقلب حينما

يفسد ومعه العقل يفسد الجسد كله، كما قال عليه الصلاة والسلام: (ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)(١).

ومن الأسباب: أن يكون في القلب كره للصلاح وأهله، كحال المنافقين، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[البقرة:٨-١٦].

ومن الأسباب: الإعراض عن شرع الله تعالى، قال عز وجل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[محمد:٢٢-٢٣].

ومن الأسباب: الإغراق في حب الدنيا والميل إليها، وعدم محاسبة المفسدين

(١) متفق عليه.

الذينيزيدهم هذا الترك إفساداً على إفساد.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الفساد إذا استشرى بين الناس وكثر بسبب ذلك الفاسدون والمفسدون فلينتظر الناس البلايا والرزايا الخاصة والعامة.

فبغض الله تعالى لأهل الإفساد نتيجة من النتائج، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة:٦٤].

وحصول الهلاك والدمار ونزول النقم وخراب العيش نتيجة أخرى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[الفجر:٦-١٤].

أيها المسلمون، إن رؤية المجتمع وهو يعج بالفساد والمفسدين ليحزن كل إنسان صالح، ولكن ذلك الحزن يجب أن ينتقل إلى عمل صادق حكيم لإزالة الفساد في الأرض؛ حتى لا تعم العقوبة الصالح والطالح.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[المائدة:٧٨-٧٩].

وعن أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة:١٠٥].وإني سمعت رسول الله ص يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده)[١].

ولفظ النسائي: إني سمعت رسول الله ص يقول: (إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب).

لهذا كان تغيير الفساد مهمة جماعية تبدأ من النفس بتربية الإنسان نفسه ومن تحت يديه على الصلاح وحب أهله وكره الفساد وفاعليه.

ثم ينطلق بعد ذلك إلى المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحكمة وأسلوب حسن بقدر استطاعته.

وعلى من ولاه الله تعالى أمراً من أمور المسلمين إزالة الفساد في ولايته وإيقاف المفسدين عند حدهم، وإلا كان مشاركاً لهم في الفساد بتركه لهم، وهذا من المشاقة في الحكم.

قال رسول الله ص: (اللّهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه،

---

(١) رواه الأربعة وابن حبان، وهو صحيح.

ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به)[1].

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

(١) رواه مسلم.

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين(١)

إن الحمد لله نحمده ونشكره، ونؤمن به ولا نكفره، نتوكل عليه ونفوض أمورنا إليه، ونعلق آمالنا به، ونطلب حاجاتنا منه، له وحده نصلي ونسجد، وإليه نسعى ونحفد، نرجو رحمته ونخشى عذابه، إن عذابه الجد بالكفار ملحق. له الحمد لعزته ورحمته، وفضله ونعمته، سبحانه من إله عزيز غالب منيع الجانب، يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه أعزه الله بطاعته وأكرمه برسالته وجعله هادياً وشفيعاً لأمته، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السائرين على طريقته والمقتفين لأثره وسنته وسلم تسليما.

أما بعد، فاتقوا الله-عباد الله-فتقوى الله هي العز والشرف، فمن اتقى الله أعلى الله قدره، ورفع ذكره وإن كان عبداً حبشيا، ومن ضل عن تقوى الله أدناه الله ولو كان حراً قرشيا. فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

أيها الناس، اعلموا أن لله تعالى ذاتاً تخالف الذوات، وأسماء وصفات لا تماثل الأسماء والصفات؛ لأنه تعالى ذو الكمال والعظمة والجلال، فمن كماله: أن له الأسماء الحسنى والصفات العليا، وجميع الخلق مفتقرون إلى آثارها على الدوام. وقد أعلم

(١) ألقيت في مسجد ابن تيمية في ١/٢/١٤٢٩هـ

سبحانه عباده أن له أسماء وصفات بالغة في الحسن الغاية، وفي الكمال النهاية، فقال جل ثناؤه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه:٨].

فمن أسمائه تعالى: العزيز، وهو اسم كريم يدل على كمال العزة ونهايتها، ومعناه: الممتنع الذي لا يغلبه شيء، والقوي الغالب على كل شيء. فهو سبحانه له عزة القوة التي يدل عليها من أسمائه القوي المتين، وعزة الامتناع فإنه الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضروه ولا نفعه فينفعوه، بل هو الضار النافع والمعطي المانع. وله سبحانه عزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة له خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه.

عباد الله، إن عز الله تعالى مستغنٍ عن غيره، وعزة خلقه مستمدة من غيرهم، فالله تعالى عزيز بذاته، قال عز وجل: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾[الإسراء:١١١]. أي: ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير.

إن الإنسان قد يوصف بالعزة ولكنه قد يضعها في غير موضعها، فقد يقسو بها على غيره، وقد تكون له عزة لكنها مشوبة بضعف أو جهل أو عجز عن الانتصار في الحق، أو بعد عن العفو عند المقدرة، أو قد تكون له عزة غير أنه لا يستطيع أن يهبها لغيره. أما الله

تعالى فإنه عزيز حكيم ينزل العزة منازلها قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران:١٨].

والله عزيز رحيم يرحم عباده ويرأف بهم، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[الشعراء:٧-٩].

والله عزيز قوي ذو انتقام يأخذ بعزته وقوته كل من أراد ممن حاد عن طريق الحق، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[الحج:٤٠].

والله عزيز بعزته وحده خلق مخلوقاته، وهو وحده يحاسبهم، ويأخذ الجاني بجنايته؛ لعلمه بعباده وسعة إحاطته بهم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾[النمل:٧٨].

والله عزيز غفور، يغفر وهو قادر على العفو والمغفرة كما هو قادر على الأخذ والعقوبة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك:٢].

والله عزيز وهاب يعطي من يشاء ويهب من يشاء ما يشاء فضلاً منه وعدلا، قال تعالى: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾[ص:٨-٩].

والله عزيز حميد محمود في عزته سبحانه يضعها في الحق كما هو محمود في سائر أسمائه وصفاته. قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى

ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾﴾[إبراهيم:١].

ولما كانت عزة الله صفة من صفات الله تعالى جاز القسم والاستعاذة بها، قال النبي ص: (بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب، ألم أكن أغنيك عما ترى؟!قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك)[1]. وفي حديث الرقية (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد)[2].

أيها الأخوة الأكارم، ومن أسماء الله تعالى في هذا الباب أيضاً: المعز، الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء من عباده كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران:٢٦].

فهو سبحانه مصدر العزة فلا تطلب إلا منه، فمن طلبها من غيره أذله الله، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾[يونس:٦٥]. وقال: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾[مريم:٨١-٨٢].

عباد الله، إن أولى الناس بنيل عزة الله: أنبياؤه وعباده الصالحون الذين يسعون لمرضاته وترك مساخطه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

قال تعالى عن مقال المنافقين في رسول الله عقب غزوة المريسيع ورد الله عليهم: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المنافقون:٨].

عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا. وقال أيضا: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله ص فأرسل رسول الله ص إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله ص وكذبني، فأصابني هم لم يصبني مثله، فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾. فأرسل إلي رسول الله ص فقرأها علي ثم قال: (إن الله قد صدقك)(١).

قال بعض العلماء: "عزة الله: قهره من دونه، وعزة رسوله: إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم".

إن الله تعالى يعز عباده الصالحين في الدنيا بأن يرفع قدرهم ويصلح أمرهم، ويظهر حجتهم ويدحر عدوهم ويجعل لهم العاقبة الحسنة.

كان رسول الله ص يقول: (لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده، وغلب

(١) متفق عليه.

الأحزاب وحده، فلا شيء بعده)[1].

ويعز الله المؤمنين في الآخرة فيبعثهم آمنين ويرفع شأنهم في العرصات بين الواقفين، وينجيهم من عذابه ويدخلهم إلى رضوانه. قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)﴾[يونس:٢٦].

ويذل الله في الدنيا من خالف أمره وعصاه من الكافرين والمنافقين والمبتدعين والعاصين، فيجعلهم يعيشون في شقاء وضعف واضطراب وحيرة، وهزيمة وجهالة، وأبى الله إلا أن يذل من عصاه. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠)﴾[المجادلة:٢٠].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢)﴾[الأعراف:١٥٢].

قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ نائلة لكل من افترى بدعة؛ فإن ذل البدعة ومخالفة الرشاد متصلة من قلبه على كتفيه، كما قال الحسن البصري: إن ذل البدعة على أكتافهم وإن هملجت بهم البغلات وطقطقت بهم البراذين: وهكذا روى أيوب السختياني عن أبي قلابة الجرمي أنه قرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ فقال: هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة، وقال سفيان بن عيينة: كل صاحب بدعة ذليل".

---

(١) متفق عليه.

ومن الكفرة الأصلاء الذين كتب الله عليهم الذل أينما ثقفوا: اليهود، وإن علوا وقتاً فإن الذل ينتظرهم عقبه، قال تعالى عنهم: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)﴾[البقرة:٦١].

وفي الآخرة يبعث الله من حاده أذلة صاغرين، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥)﴾[الشورى:٤٥].

أيها المسلمون، إن عزة المؤمن لا تعني البطش والتعدي والظلم، ولكنها تعني التواضع للمؤمنين والغلظة بالحق على الكافرين. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾[المائدة:٥٤]. فعزة النفس غير الكبر إذ العزة معرفة الإنسان حقيقة نفسه، والكبر جهل الإنسان ذلك، قيل للحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "إن الناس يزعمون أن فيك كبراً أو تيهاً، فقال: ليس بتيه، ولكن عزة المسلم، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)﴾[المنافقون:٨]".

أيها الناس، إن العزة كنز ثمين يطلبه أصحاب النفوس الشريفة، ويبذلون في سبيله كل غال ونفيس، ولو كان في حصولها بذل المهج:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

والناس مختلفون في منازل العزة وأسبابها: فمنهم من يراها بالجاه، ومنهم من يراها بالنسب، أو بالمال، أو كثرة الأولاد، أو القوة والسيطرة على الآخرين. وهذه الجهات وإن كانت من العز إلا أنها في الحقيقة عزة ناقصة غير تامة وفانية غير باقية، فللدنيا أمواج متلاطمة تقلب الأحوال.

والعاقل -عباد الله- لا ينبغي له أن يفخر بعزة سوى عزة تامة باقية وتلك هي العزة بالإسلام والإيمان اعتقاداً وعملاً.فالعزة بالإسلام لا تكون عزة حقيقة تامة حتى يتمثل المسلم الإسلام في أقواله وأعماله، قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: "إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله".

أيها المسلمون، إن من ينظر في هذا الدين الحنيف يجد فيه صوراً وأسباباً للعزة، فمن تلك الأسباب:

الجهاد الصادق في سبيل الله، قال رسول الله ص: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[١].

وقال رسول الله ص: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير،

(١) رواه البيهقي وأحمد وأبو داود، وهو صحيح.

ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن، قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت)[١].

إن ترك الجهاد في سبيل الله هلاك ومذلة وتكدير لصفاء الدنيا التي يكدرها أعداء الإسلام على المسلمين؛ فقد أنزل الله تعالى حينما مال بعض الأنصار إلى الأرض والزرع- بعد أن جاهدوا وقاتلوا حيناً- قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥] قال أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد"[٢].

قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في إحدى خطبه: "أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء ولزمه الصغار، وسيم الخسف ومنع النصف".

قال أبو الطيب:

تَرَكنا لأطرافِ القَنَا كلَّ شهوةٍ ... فليسَ لنا إلاَّ بهنَّ لِعابُ
نُصرِّفُهُ للطَّعنِ فوقَ حواذرٍ ... قد انقصَفَتْ فيهنَّ منهُ كِعابُ
أعزُّ مكانٍ في الدُّنى سرجُ سابحٍ ... وخيرُ جليسٍ في الزَّمانِ كِتابُ

أيها المسلمون، ومن صور العزة وأسبابها في هذا الدين: إقامة معتقد البراء من

---

(١) رواه البيهقي وأحمد، وهو حسن.

(٢) رواه أبو داود والحاكم، وهو صحيح.

الكافرين، والافتخار بهذا الدين في وجوههم، وترك موالاتهم ومناصرتهم ومحبتهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)﴾[المائدة:٥١-٥٢].

إن الذليل من هذه الأمة من يسعى لتقديم قرابين الرضا لأعداء الله كي يرضوا عنه يبتغي بذلك العزة عندهم، وهو في الحقيقة يوصل نفسه إلى حمأة الذل والهوان عند الله وعند المؤمنين بل وعند أولئك الكافرين.

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)﴾[النساء:١٣٨-١٤٠].

عباد الله، ومن صور العزة وأسبابها: قناعة الإنسان ورضاه بما قسم الله له دون التطلع إلى ما ليس له؛ فإن ذلك الاكتفاء عز وغنى.

قال النبي ﷺ: (ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس)(١).

قال الشافعي رحمه الله:

---

(١) متفق عليه.

رأيـــت القناعـــة رأس الغنـــى فصـرـــت بأذيالهـــا ممتســـك
فـــلا ذا يـــراني عـــلى بابـــه ولا ذا يـــراني بـــه منهمـــك
فصرـــت غنيـــاً بـــلا درهـــم أمـــر عـــلى النـــاس شـــبه الملـــك

ومن القناعة: الاستغناء بالله عن سؤال الناس وتكففهم أو سرقة أموالهم ونهبها واختلاسها؛ فإن المسألة وأخذ المال الحرام ذل في الدنيا والآخرة.

قال النبي ص: (أتاني جبريل فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس)(١).

وقال: (المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك، إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان أو في أمر لا يجد منه بدا)(٢).

فاطلبوا حوائجكم -عباد الله- بعزة النفس فما عند الله خير وأبقى وكل شيء يجري بقدر وقضائه.

اضرع إلى الله لا تضرـع إلى النـاس واقنـع بيـأس فـإن العـز في اليـاس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم إن الغنـي مـن اسـتغنى عـن النـاس
فـالرزق عـن قـدر يجـري إلى أجـل في كـف لا غافـل عنـي ولا نـاسي
فكيـف أبتـاع فقـراً حـاضراً بغنـى وكيـف أطلـب حاجـاتي مـن النـاس

(١) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، وهو صحيح.
(٢) رواه الطبراني، وهو حسن.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه، وعلى آله وأصحابه ومن والاه،

أما بعد:

أيها الناس، لازال عند العقلاء من الخلق أن الغيرة على الحمى والحق من العزة والرفعة، ألا وإن من أعظم الحرم والحمى: حمى الإسلام، فالمسلم العزيز من يغار على دينه أن يدنس من قبل أعداء الله أو يستذل مسلم لأجل تمسكه به، فيشعر المسلم بالعزة حينما ينصر ذاك الأخ المسلم، وإنه ليكويه الأسى والذل إذا رأى الكفرة والمنافقين يسومون أخاه المسلم الذل وهو عاجز عن غوثه ونصرته.

ومن الغيرة والعزة: الحفاظ على النفس والعرض والمال وحمايتها من الصيالة عليها.

عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: (فلا تعطه مالك، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار)(١).

أيها الأحبة الأفاضل، إن صفوة المؤمنين وخيرة عباد الله الصالحين: العلماء العاملون، رفعهم الله بالعلم والعمل، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) رواه مسلم.

مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة:١١].

فما أحسن أنوار العزة تلوح عليهم إذا قاموا بحق العلم الذي يحملونه حق القيام، ولم يصيروا ناطقين بالباطل أو ساكتين عن الحق، لا يخافون في الله لومة لائم. قال أبو العيناء: "لما حج الخليفة المهدي دخل مسجد رسول الله ص فلم يبق أحد إلا قام، إلا ابن أبي ذئب، فقال له المسيب بن زهير: قم؛ هذا أمير المؤمنين، فقال: إنما يقوم الناس لرب العالمين، فقال المهدي: دعوه، فلقد قامت كل شعرة من رأسي".

وما أحسن قول الجرجاني وهو يتحدث عن عزة العلماء: "

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً ... من الذم أعتد الصيانة مغنما
إذا قيل هذا مشرب، قلتقد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل أهل الأرض أرضاه منعما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما ... بدا طمع صيرته لي سلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة ... إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس تعظما
ولكن أذالوه جهاراً ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

الوصية آداب وأحكام(1)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبيه محمد بن عبد الله ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الناس، اعلموا أن الحياة الدنيا منزل موقوت، كل من فيها يموت، ولا يبقى إلا الحي القيوم الذي يحيي ويميت. قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[الرحمن:٢٦-٢٧].

فالموت نهاية كل مخلوق على هذه الدار، ليتنقل بعد ذلك إلى حياة أبدية في الجنة أو

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ربيع الآخر، ١٤٣٥هـ، يناير ٢٠١٤م.

النار.

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[الأنعام:٦٢].

وهذه النهاية التي تنتظر كل حي نهاية لا يعلمها إلا الله تعالى، فالآجال بيد علام الغيوب، فلا يدري أحد من الخلق متى يموت وأين يموت. قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان:٣٤].

عباد الله، إن إخفاء زمن موت الإنسان عنه له حكم وغايات كثيرة، لعل من أظهرها: أن يبقى الإنسان على استعداد دائم للموت بملازمة الطاعات وهجر السيئات، فيكون عبداً لله حقاً حتى يأتيه اليقين وقد ربا رصيده من الحسنات وصلحت روحه للاستقرار في تلك الغرفات في الجنة. قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر:٩٩].

أيها المسلمون، ألا وإن من الاستعداد المطلوب: أن يحرص كل مسلم ذكراً كان أم أنثى على إبراء ذمته من الحقوق التي عليه للناس، ومن حقوقه لدى غيره. فينظر إلى الديون التي عليه فيوثقها بالكتابة الواضحة حتى لا تضيع حقوق الناس بعد موته فيحمل وزر ذلك يوم القيامة، مع ما يحصل بعد الموت بين الورثة وأهل الديون من الخلاف والتنازع.

ويسجل أيضاً ما وجب عليه من الكفارات والنذور والوعود والزكوات ونحو ذلك، إن كان عليه من ذلك شيء. وينظر كذلك إلى أمواله المدينة عند الناس فيوثقها بالوثائق الصحيحة التي تثبت له هذا الحق لدى غيره، حتى لا يضيع جزء من ماله على

ورثته بعد موته. وهذه هي الوصية الواجبة على المسلم؛ لأن هذه الامور حقوق واجبة عليه.

وهناك وصية مستحبة، وتكون بتخصيص إنسانٍ جزءاً من ماله يوصي به ليصرف في وجوه الخير من صدقة على الفقراء والمحتاجين، ومن بناء مساجد أو دور للعلم والاستشفاء أو نحو ذلك من أبواب الخير.

عباد الله، إن الله تعالى شرع لعباده الوصية قبل الموت بما يرجع إليهم بالخير من بذل شيء ابتغاء وجه الله تعالى للأقارب أو للأباعد.

قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾[البقرة:١٨٠-١٨٢].

لقد كان بعض الناس في الجاهلية يوصي ببعض ماله قبل أن يموت للأجانب من أجل الإضرار بالأقارب، فلما جاء الإسلام أمر بالوصية للأقارب؛ لأنهم أولى بالمعروف ابتداء بالوالدين فمن بعدهم. فلما نزلت آيات المواريث في سورة النساء وبينت أنصبة الأقارب الوارثين نسخت الوصية لكل وارث وبقيت مشروعة في حق الأقارب غير الوارثين وفي حق الأجانب. قال رسول الله -ص: (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث)(١).

عباد الله، يستحب للمسلم المبادرة بالوصية خاصة في حق من له أو عليه حقوق

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح.

للخالق تعالى أو المخلوقين، خصوصاً إذا دهمه مرض أو عزم على سفر أو كان في أيام حروب وفتن.

قال رسول الله ص: (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده)(١). وينبغي في الوصية التي فيها حقوق للموصي أو عليه أن يشهد عليها شهوداً عدولاً، حتى تسلم الوصية من الرد أو التحريف أو التكذيب.

أيها المسلمون، إن على من أراد أن يوصي وصية مستحبة يتقرب بها إلى الله تعالى بعد موته أن ينتبه لأمور منها:

أولاً: أن تكون الوصية من ماله الحلال الخالص؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، فالوصية بالمال الحرام من أجل القربة غير مقبولة. فإن كان لديه مال حرام وأراد براءة الذمة من هذا المال الحرام فعليه أن يعيده إلى أهله إن كانوا معروفين، وإلا تصدق به عنهم.

ثانياً: أن تكون الوصية بالثلث فما دونه؛ حتى لا يكون في الوصية هضم لحق الورثة، وما زاد على الثلث فهو راجع إلى إجازة الورثة، فإن رضوا نفذت الوصية وإلا نفذت بقدر الثلث.

ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (عادني النبي ص في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت فقلت: يا رسول الله، بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: لا، قلت: فالثلث؟ قال: والثلث كثير. إنك أن تذر ورثتك

(١) متفق عليه.

أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك).

مع أن الأولى أن لا يوصي المسلم بالثلث، بل بأقل من ذلك.

فعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع؛ فإن رسول الله ص قال: (الثلث والثلث كثير)[1].

هذا في حق من له وارث من أصحاب الفروض أو العصبات، أما من ليس له وارث من أصحاب الفروض أو العصبات فيجوز له أن يوصي بماله كله في أبواب الخير.

ومن التنبيهات المهمة: أن لا يكون في الوصية ضرر أو تعمد إضرار بالوارثين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾[النساء:١٢]. قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: "الإضرار في الوصية من الكبائر".

ومن الإضرار: أن يميل بعض الآباء أو الأمهات إلى بعض الأبناء أو البنات دون بعض فيتحيل في الوصية له فيوصي لأولاد ذلك الابن أو تلك البنت. وهذه الحيلة غير جائزة شرعاً، قال رسول الله ص: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)[2].

ومن التنبيهات: أن على الموصي أن يعلم أن الوصية للأجانب إنما تستحب في حق من له ماله كثير وله ورثة غير محتاجين، أما من كان ذا مال قليل وله ورثة محتاجون

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

فالوصية قد تكره في حقه؛ لأنه عدل عن الأقربين إلى غيرهم، والرسول عليه الصلاة والسلام قد قال لسعد: (إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس). قال الشعبي رحمه الله: (ما من مال أعظم أجراً من مال يتركه الرجل لولده ويغنيهم به عن الناس".

لكن يجوز للموصي أن يوصي ببيت لبعض الورثة ويقول: هذا البيت للمطلقات من بناتي أو الفقراء من أبنائي وبناتي، وقد فعل هذا بعض الصحابة كالزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أيها المسلمون، إن من أهم المهمات التي ينبغي أن ينظر إليها الموصي: اختيار الوصي الذي يقوم بتنفيذ وصيته والإشراف عليها من بعده. فمن شروط الموصي: أن يكون أميناً، فالخائن الذي يخشى سطوه على الوصية وتبديلها لا ينبغي جعله وصياً. ومن شروطه: أن يكون ذا قدرة ومعرفة وفهم للوصية إلى تحملها وعنده كفاءة في تنفيذها وإيصالها إلى ذويها. ولا يشترط في الوصي أن يكون رجلاً، بل يصح أن يكون امرأة بشرط أن تكون عاقلة عارفة بحقوق الوصية وواجباتها؛ فقد جعل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وصيته على أولاده من بعده.

معشر المسلمين، إن الموصي إذا مات فقد أفضى إلى ربه وحمل أمانته بوصيته أوصياءه والوارثين من قرابته. فعلى الأوصياء أن يعرفوا أن الوصية التي تحملوها أمانة عظيمة سيسألون عنه إن فرطوا فيها يوم القيامة هل أدوها إلى أهلها أو لا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾[النساء:٥٨].

فعلى الأوصياء أن ينفذوا وصية ميتهم كما هي في حدود الشرع بدون ظلم أو

تقصير. وأن يحذروا كل الحذر من تبديلها بخيانة أو زيادة غير مشروعة أو نقصان أو كتمان. فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ ﴾[البقرة:١٨١]. وفي واقع الناس مظاهر تدل على خيانة بعض الأوصياء أقارب كانوا أم أباعد. فكم من نساء ظلمت حقوقهن بسبب خيانة الأوصياء، وكم من أيتام ذهبت تركتهم إلى خزائن وصي خائن.

وكم من رجال خدعهم الأوصياء وأخذوا من أموالهم بعد ميتهم ما لا يصح لهم أخذه.

ورب العزة جل وعلا يقول: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾[البقرة:١٨٨].

ويقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾[النساء:١٠]. لكن يجوز للورثة والأوصياء تبديل الوصية في حالتين:

الأولى: أن تكون الوصية في شيء محرم شرعاً، فيجوز تبديلها إلى ما ينفع الميت كبناء مسجد أو شيء ينفع الفقراء ونحو ذلك.

والحالة الثانية: أن تكون الوصية فيها جور، كالوصية لبعض الورثة، فيجب-عند ذلك- تغيير الوصية إلى العدل الشرعي بإعطاء كل وارث حقه الذي فرض له شرعاً من غير زيادة ولا نقصان.

وفي هاتين الحالتين يقول تعالى: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢ ﴾[البقرة:١٨٢].

عباد الله، إن الإنسان إذا مات كانت هناك حقوق خمسة متعلقة بعين تركته وهي

على الترتيب كالآتي:

الحق الأول: الزكاة وأروش الجنايات، فإذا كانت عليه زكاة أو أرش أو دية بدأ الورثة بأداء هذا الحق قبل أي حق آخر.

الحق الثاني: مؤن تجهيز الميت من شراء كفن وقبر وأجرة حفار إذا كان يحفر بالأجرة وما يتعلق بالدفن. ولا يدخل في هذا الحق ما يفعله بعض الورثة في أيام العزاء من استئجار صالة وذبح ذبائح وإقامة ولائم ونحو ذلك. فإن أخذ مال التركة لأجل هذه الأعمال لا يجوز إلا برضا الورثة جميعاً. مع أن بعض ما يحدث اليوم من مراسيم العزاء يخالف شرعنا الحنيف.

الحق الثالث: الديون المرسلة في الذمة، فإذا كان على الميت ديون فيجب على الورثة والأوصياء قضاؤها من عين التركة قبل تنفيذ الوصية وتقسيم التركة.

الحق الرابع: الوصية، وتنفذ قبل توزيع التركة بشروطها السابقة.

الحق الخامس: تقسيم التركة بين الوارثين ذكوراً وإناثاً كما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

فعلى الورثة والأوصياء أن يتقوا الله تعالى في هذه الأمانة التي حملوها وأن يلتزموا شرع الله في تنفيذها قبل أن يأتي يوم تظلم ورثتهم كما ظلموا ورثة غيرهم قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾[النساء:٩].

وقبل أن يأتي يوم القيامة فيؤدي الخائن حقوق غيره من حسناته، فإن لم تكن له حسنات حمل من سيئات من ظلمه.

قال رسول الله ص: (من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)[١].

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه البخاري.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن من أهم ما يهم الإنسان الصالح بعد وفاته: حال أولاده الدينية من بعده، إذ يخشى عليهم الانحراف أو الاعوجاج عن الطريق المستقيم الذي كانوا يسيرون عليه مع والدهم.

ولهذا تستحب الوصية من الآباء للأولاد بملازمة طريق الهداية وعدم العدول عنها، والموفق من الأولاد، والبار بوالديه من يلزم تلك الوصية النافعة. فهذان النبيان الكريمان: إبراهيم وابنه يعقوب عليهما السلام يوجهان الوصية النافعة لذريتهما، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[البقرة:١٣١-١٣٣].

عباد الله، إن وصايا الأنبياء عليهم السلام وصايا للأمة؛ لأن النبي بمثابة الأب لأمته فهو يحرص على الخير لها كما يحرص الأب على الخير لولده.

يقف رسول الله ص في حجة الوداع في ذلك الجمع الإيماني المهيب فيوصي الأمة قائلاً: (إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في

بلدكم)[1].

ويقول: (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله)[2].

أيها المسلمون، ولقد سار الصالحون على افتتاح وصاياهم لأولادهم وذويهم بالوصية بالطاعة والتحذير من المعصية عند توديع الدنيا.

فقد أوصى بعض السلف أولاده فقال: " أوصيكم بتقوى الله؛فإنها عصمة باقية، وجُنة واقية، والتقوى خير زاد، وأفضل في المعاد، وأحصن كهف، وأزين حلية".

ولما احتضر المهلب بن أبي صفرة أوصى بنيه فقال:" أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم؛ فإن تقوى الله تعقب الجنة، وإن صلة الرحم تنسئ في الأجل، وتثري المال، وتجمع الشمل وتكثر العدد، وتعمر الديار، وتعز الجانب. وأنهاكم عن معصية الله؛ فإنها تعقب النار، وإن قطيعة الرحم تورث القلة والذلة، وتفرق الجمع، وتذر الديار بلقعاً، وتذهب المال، وتطمع العدو، وتبدي العورة".

نسأل الله أن يحيينا مسلمين، وأن يتوفانا مؤمنين، غير خزايا ولا مفتونين، وأن يرزقنا الذرية الصالحة، آمين.

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار...

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

الإيمان باليوم الآخر وأثره في صلاح الفرد والمجتمع(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، اعلموا -رحمني الله وإياكم- أنكم خُلقتم لأمر عظيم، وجئتم الدنيا لأمر جسيم، وأن داركم هذه خلقت للفناء ولم تخلق للبقاء، وأن القرار في غير هذا الدار إما في الجنة وإما في النار. فالشمس إلى غياب والعمر إلى ذهاب، والحياة إلى موت

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١١/٧/١٤٣٥هـ، ١١/ ٤/ ٢٠١٤م.

والموت إلى بعث للحساب. فلا بد إذن من يوم آخر يجمع الله فيه الأول والآخر، فتبلى فيه السرائر وتظهر فيه الضمائر، ويجازى كل عامل بما عمل. ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾[الحاقة:١٨].

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾﴾[الانشقاق:٦].

قال رسول الله ص: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه)[1].

أيها المسلمون، إن يوم القيامة حق لا شك فيه، وموقف جمعٍ لا تخلف عنه، ومورد عدل لا مفر منه، وخبر صدقٍ لا كذب فيه. ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الذاريات:٢٣]. ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾[المطففين:١٢].

وإن كذب به الكافرون، واستهزأ بإخبار الرسل به المستهزئون فإنه آت لا محالة. قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾[التغابن:٧]. وقال: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾[يونس:٥٣].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خطب رسول الله ص فقال: (يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[الأنبياء:١٠٤][2].

عباد الله، إن الحياة الدنيا بما يجري فيها لتقول للعقلاء: إن هناك يوماً عادلاً للفصل بما جرى من الناس عليها، فالعدل والحق قد يغيب في الدنيا، فالقوي يسطو

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

على الضعيف، والقادر يقهر العاجز، والعزيز يغلب الذليل، والغني يمتهن الفقير ويطغى عليه. فيموت هؤلاء كلهم: يموت الظالم والمظلوم، والقاهر والمقهور، والمعتدي والمعتدى عليه، وقد لا يحصل لصاحب الحق استيفاء حقه، ولا للمظلوم القصاص ممن ظلمه هنا، فلا بد إذن من يوم عادل تُرد فيه المظالم ويأخذ المظلوم حقه من الظالم، ويحاسب فيه ذوو التعدي والجرائم بما اكتسبوا من الذنوب والمآثم.

معشر المسلمين، إن واقع كثير من المسلمين اليوم يدعو العاقل للتسآل: أهؤلاء الناس يؤمنون باليوم الآخر صادقين، ويعتقدون أنهم إلى ربهم راجعون، وأنهم على أعمالهم محاسبون، هل خطر في أذهانهم يوم القيامة الذي يوقف الإنسان فيه بين يدي ربه فيسأله عن الصغيرة والكبيرة في حياته الدنيا.﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[المطففين:٤-٦]. عصيان كبير للخالق سبحانه وتعالى بالمجاهرة بانتهاك الحرمات، وترك الفرائض والواجبات، وإغراق في الدنيا وغفلة عن يوم المعاد. وكذلك انتهاك لحقوق المخلوقين من ظلم وتقتيل وإيذاء وإذلال وسلب ونهب وإفساد لذات البين للتفريق والتناحر وإساءة للإسلام بمحاربته تحت مسميات كثيرة.

لا شك أن هناك غفلة وتغافلاً عن الاهتمام باليوم الآخر بيننا نحن المسلمين، فأين مناهج التعليم التي تربي النشء على الإيمان العملي باليوم الآخر وتغرس في نفوسهم همة الاستعداد له؟ وأين الوسائل الإعلامية المختلفة التي تصلح المجتمعات بالدعوة إلى الاعتناء بهذا اليوم العظيم وتربي الناس على زيادته وإظهار آثاره العملية على النفس والمجتمع؟!

ولا ريب أن الإيمان باليوم الآخر قد ضعف في القلوب فظهرت آثاره السيئة على الجوارح، حتى صار بعض المسلمين يعيش للدنيا كل وقته، ويقترف الموبقات ويسرف على نفسه بارتكاب المحرمات من أجل إصلاح دنياه. ولو فكر الإنسان قليلاً بأنه سيلقى الله تعالى لما فعل ما فعل.

عباد الله، إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان وعقيدة من عقائد الإسلام، لكن الذي حدث ضعف هذا الركن العظيم حيث أصبح عقيدة لا يتبعها عمل، وسبب هذا الضعف: الجهل بالله وبدينه، فمن جهل عظمة ربه وجلاله واطلاعه عليه لم يستعد للقائه، ومن جهل دينه فلم يعرف متطلبات هذا الإيمان وكيفية تحقيقه وسبل غرسه في النفس عاش بعيداً عن العمل لذلك اليوم. وأصبح همه ووقته وجهده مصروفاً في خدمة حياته الدنيا. ألا يتأمل في قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)﴾[الأعلى: ١٦-١٧]، وقوله: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77)﴾[النساء:٧٧].

إن الحرص على الدنيا-يا عباد الله- قد صار جاثماً على القلوب فأنسى الإنسان آخرته وجعله وقفاً على رغباته وشهواته. حتى أسرف في الانشغال بكسبها، وتعمق في الاعتناء بلهوها، وأكثر من متابعة مشكلاتها وأحداثها من غير حاجة، ولم يكتف منها بما يكفيه ويعنيه بل صار مهتماً بما يلهيه وقد يطغيه.

وما هكذا يعيش محب الآخرة، وما لهذا خُلق، وليس هذا عيشه الذي يستحق هذا الكد والجد. إنما هو لغيره ممن قال الله فيهم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7)﴾[الروم:٧]. لقد خشي رسول الله ص على أمته أن يؤول حالها إلى هذا التنافس والانشغال بالدنيا عن الآخرة بالدنيا عن الآخرة، وقد وقع ما خشيه.

قال رسول الله ص: (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم)(١).

وإذا أردنا أن نعرف مقدار الحرص على الدنيا والاهتمام بها في حياتنا فلنسأل أنفسنا هذا السؤال: كم نصيب الآخرة من وقتنا في اليوم والليلة، وما مقدار الحرص على الآخرة بجانب الحرص على الدنيا؟ فليجب كل إنسان عنه في حاله وأعماله.

أيها المسلمون، لا بد أن نستيقظ ونصحو ونقوي إيماننا باليوم الآخر، فنفكر في حقيقة كل من الدنيا والآخرة لنختار لأنفسنا خير الدارين وأبقاهما وأعلاهما وأوفاهما وأزكاهما وأهناهما. قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف:١٠٩].

وقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت:٦٤].

أيها المسلم، في أي موقع كنت في هذه الحياة تفكر فيمن قبلك ماذا أخذوا معهم من دنياهم إلى قبورهم؟ هل أخذوا الرئاسة والجاه، أو القصور والأموال، أو الاتباع والجيوش؟ لم يأخذوا من ذلك شيئاً. إنما أخذوا شيئاً واحداً فقط هو ما قدموه من عمل صالح أو طالح في هذه الحياة يلقون الله به يوم القيامة. فقوِّ إيمانك بهذا اليوم لتقدم عملاً صالحاً ينفعك في ذلك الوقت.

عباد الله، إن النفس مطبوعة على حب العاجل وإيثاره على الموعود الآجل، فهي تحب

(١) متفق عليه.

التمتع والانطلاق في الملذات ولو من غير حلها، وتحب العلو والترأس، ولو كان بظلم الآخرين وإيذائهم، وتكره إتيان الطاعات ولزوم حدود ما أبيح لها. فقوِّ إيمانك باليوم الآخر- أيها المسلم- بمجاهدتها وتصبيرها وزمِّ قيادها لسلوك طريق الآخرة، وعدها أن ما فاتها اليوم ستلقى أفضل منه غداً، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[القصص:٦٠].

من أراد زيادة إيمانه باليوم الآخر فليقبل على قراءة القرآن قراءة متأنية متدبرة، وليقرأ سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وينظر في سيرته العطرة ليشاهد معالم التربية الناجحة على الإيمان باليوم الآخر.

قال النبي ص: (اللّٰهم لا عيش إلا عيش الآخرة)[١]. أي: لا عيش يبقى ويُطلب ويرغب فيه إلا عيش الآخرة.

يدخل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيرى أثر الحصير في جنب رسول الله ص فبكى فقال رسول الله: (ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله؟! فقال رسول الله ص: أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة)[٢]؟ وعند ابن حبان أن رسول الله ص قال: (يا عمر، مالي وللدنيا وما للدنيا ولي، والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أتى رجل النبي ص فقال: يا رسول الله، إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها فمره يعطيني أقيم بها حائطي فقال رسول الله ص:

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(أعطه إياها بنخلة في الجنة)فأبى فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي ففعل فأتى أبو الدحداح النبي ص فقال: يا رسول الله ص: إني قد ابتعت النخلة بحائطي وقد أعطيتكها فاجعلها له، فقال رسول الله ص: (كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة)مرارا فأتى أبو الدحداح امرأته فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط فقد بعته بنخلة في الجنة فقالت: ربح السعر)[١].

أيها المسلمون، لقد كان رسول الله ص يربط أذهان الأمة بأشياء كثيرة حتى لا تنسى اليوم الآخر والاستعداد له.

ومن ذلك: أنه كان يربط القيام ببعض الأعمال الصالحة بالإيمان باليوم الآخر؛ لأن صاحب هذا الإيمان يدفعه إيمانه إلى المبادرة والامتثال. قال رسول الله ص: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)[٢].

وقال أيضاً: (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوبا من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه)[٣].

وقال كذلك: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها

---

(١) رواه ابن حبان، وهو صحيح، أصله في الصحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود، والطبراني، وهو حسن.

الخمر)[1].

فنسأل الله أن يعمر قلوبنا بالإيمان به، والإيمان بلقائه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه الترمذي والنسائي والحاكم، وهو حسن.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، والصلاة والسلام على النبي محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

عباد الله، إن الإيمان القوي باليوم الآخر صلاح للدنيا والآخرة، وصلاح للفرد والمجتمع.

ومن قارن بين مجتمعين: مجتمع قوي الإيمان ومجتمع ضعيف الإيمان سيجد الفرق واضحاً، فمجتمع قوة الإيمان سيعمه الخير والاطمئنان ويرفرف عليه الاستقرار والأمان، وستجتمع فيه صنوف النعم، وستندفع عنه جموع النقم.

وأما المجتمع الآخر الذي ضعف إيمانه فسيكون بؤرة للفساد المتنوع، ومرتعاً للاضطراب والخراب، وميداناً لتوافد المصائب وارتحال الرغائب.

عباد الله، إن قوي الإيمان باليوم الآخر يعيش سعيداً مطمئناً؛ لأنه يعلم أن حياته الحقيقية تكون في دار غير هذه الدار. وإن صدق الإيمان باليوم الآخر يدفع صاحبه إلى مراقبة الله في كل أعماله، ويحثه على الإقبال على طاعة الله تعالى والإخلاص له فيها. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾[الزمر:٩]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي

﴿الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

واليقين الصحيح باليوم الآخر يجعل الإنسان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، فيجعل همه وغايته ومقصوده العمل للآخرة.

وصحة الإيمان بالآخرة يعين المسلم على تطهير قلبه من أمراض القلوب من غل وحقد وبغضاء وشحناء نحو إخوانه المسلمين.

عباد الله، إن من أعظم ثمرات الإيمان باليوم الآخرة: أنه يحجز الإنسان عن المعاصي ويوقفه عن اقترافها لعلمه بأنه سيؤاخذ بها ويحاسب عليها. فإذا أراد أن يعصي الله في حقه، أو يتعدى على عباده بظلم أو إضرار ذكّره إيمانه بالخطر فحجزه عن تلك الخطيئات. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾[هود:١٠٣]. وقال: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾[البقرة:٢٣٢].

ومن أعظم ثمراته كذلك: أنه يسلي المظلوم والمقهور والمريض والضعيف والمبتلى، فالمظلوم ينتظر القصاص من ظالمه. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الأنبياء:٤٧].

وقال رسول الله ص: (وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها

إياه في دم ولا مال)[١].

وأما صاحب البلاء فهو ينتظر أجره على بلائه عند الله تعالى في ذلك اليوم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[النساء:١٠٤]. فيا أيها الناس إذا أردنا السعادة والنجاة فلنقوِّ إيماننا باليوم الآخر ولنجعل الآخرة في قلوبنا ونصب أعيننا، ولنجعل الدنيا في أيدينا ومعبراً لنا إلى مصيرنا، فمن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل.

﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[البقرة:٢٨١].

هذا وصل وسلموا على الهادي البشير والسراج المنير...

---

(١) رواه أحمد والطبراني، وهو صحيح.

فهرس خطب المجموعة الثالثة

مقدمة المجموعة الثالثة.. ٥

الإيمان هو الحياة.. ٧

الخطبة الثانية ١٥

الجليس وأثره على جليسه.. ١٨

الخطبة الثانية ٢٧

آداب المجالس وآفاتها.. ٣٠

الخطبة الثانية ٣٧

الأمانة في الحكم.. ٣٩

الخطبة الثانية ٤٧

الأمانة في العمل والوظيفة.. ٥٠

الخطبة الثانية ٥٩

الانتصار على الخوف في الأزمات ٦٢

الخطبة الثانية ٧١

الحدود الشرعية: عدلٌ ورحمة.. ٧٤

الخطبة الثانية ٨٧

الذنوب: أسبابها وآثارها.. ٨٩

الخطبة الثانية ٩٧

في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٍ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ... ﴾ الآيات.................. ٩٩

الخطبة الثانية.. ١٠٨
السلام: فضائله وآدابه وأحكامه ١١٠
الخطبة الثانية.. ١١٨
الصراع بين الحق والباطل، سنة كونية ١٢١
الخطبة الثانية.. ١٢٩
العيش في ظلال العدل.. ١٣٢
الخطبة الثانية.. ١٤٢
الكسب المشروع والكسب غير المشروع وآثار كل منهما.. ١٤٤
الخطبة الثانية.. ١٥٣
المرأة ما لَها وما عليها.. ١٥٦
الخطبة الثانية.. ١٦٦
إنسان السلام.. ١٦٩
الخطبة الثانية.. ١٧٦
بر الوالدين.. ١٧٩
الخطبة الثانية.. ١٨٨
حق البُنُّوة ١٩١
الخطبة الثانية.. ٢٠٠
تطاول الأقزام على عَلَم الأعلام.. ٢٠٥
الخطبة الثانية.. ٢١٣
حرمة قتل النفس المعصومة.. ٢١٦
الخطبة الثانية.. ٢٢٥

حلاوة الصلاة.......... ٢٢٧

الخطبة الثانية ٢٣٨

خذوا حذركم ٢٤١

الخطبة الثانية ٢٤٩

ذم الكذب.......... ٢٥١

الخطبة الثانية ٢٦٠

رسالة إلى الظالم والمظلوم.......... ٢٦٢

الخطبة الثانية ٢٦٩

سحائب الرحمة.......... ٢٧١

الخطبة الثانية ٢٧٩

صفات عباد الرحمن.......... ٢٨٢

الخطبة الثانية ٢٩٥

ضريبة الانهزام.......... ٢٩٩

الخطبة الثانية ٣٠٦

ظاهرة تكفف الناس وسؤالهم.......... ٣٠٨

الخطبة الثانية ٣١٨

عقيدة الولاء والبراء وأثرها في حياة الأمة.......... ٣٢٠

الخطبة الثانية ٣٢٧

فضل إحسان الإنسان إلى غيره.......... ٣٣٠

الخطبة الثانية ٣٤١

قارون وسكرة المال.......... ٣٤٣

الخطبة الثانية.. ٣٥٥
لذَّة الصبر.. ٣٥٨
الخطبة الثانية.. ٣٦٥
مطية النجاة: الخوف من الله.. ٣٦٨
الخطبة الثانية.. ٣٧٦
منهج رسول الله في التعامل مع الأزمات[١] ٣٧٨
الخطبة الثانية.. ٣٨٨
منهج رسول الله في التعامل مع الأزمات[٢] ٣٩١
الخطبة الثانية.. ٤٠١
وقتك حياتك ٤٠٣
الخطبة الثانية.. ٤١٢
ولا تفسدوا في الأرض.. ٤١٤
الخطبة الثانية.. ٤٢٣
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ٤٢٦
الخطبة الثانية.. ٤٣٨
الوصية آداب وأحكام... ٤٤١
الخطبة الثانية.. ٤٥٠
الإيمان باليوم الآخر وأثره في صلاح الفرد والمجتمع................. ٤٥٢
الخطبة الثانية.. ٤٦٠
فهرس خطب المجموعة الثالثة ٤٦٣